٢٣

علـوم اللغــة

دراسات علمية مُحَكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتـــاب دورى

المجلد السادس | العدد الثالث | ٢٠٠٣

دار غريب
للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية محكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دورى

مج٦، ع٣، ٢٠٠٣

قيمة الاشتراك السنوى:

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد:

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة.

المراسلات:

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى:

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو العدد الثالث والعشرون من سلسلة علوم اللغة، يصدر بإشراف أ. د/ سعيد حسن بحيرى أستاذ علم اللغة ورئيس قسم اللغة بكلية الألسن جامعة عين شمس .

ويضم هذا العدد بحوثًا قيمة مختلفة فى النحو ، مثل جملة الحال المنفية فى الشعر الجاهلى، والفرق بالحركة بين المعانى المختلفة، وفى الأصوات مثل الخصائص الصوتية لقبائل وسط الجزيرة العربية، وفى الدرس المقارن مثل همزتى الوصل والقطع فى اللغة العربية. وتحرص المجلة على التنوع والثراء والجدة ، وتأمل هيئة التحرير أن يلقى ذلك المجهود الذى يبذل فى إصدارها ابتغاء وجه الله تعالى واستمرار البحث العلمى اللغوى لتأكيد الريادة العلمية فى العالم العربى ،وإثبات رسوخ أقدامه فى وطننا العزيز - صدرًا رحبًا وثقة واسعة لدى الباحثين اللغويين من الأجيال المختلفة . ومن فضل القول التنويه إلى أن مجلة علوم اللغة ترحب بنشر الدراسات اللغوية الجادة التى يتقدم بها الباحثون للإسهام فى دعم وجود المجلة واستمرار رسوخها العلمى، إذ تتيح للباحثين الحيز المناسب لعرض بحوثهم فى مجالات البحث اللغوى، سواء فى الدرس اللغوى التقليدى أو الاتجاهات الحديثة، فهما متكاملان، لا نستغنى بأحدهما عن الآخر، بل إننا لا نمل التأكيد على أن الدرس الحديث لا جدوى منه إذا انفصل عن القديم ، الذى يدعمه ويبرز أصالته ويحقق المعادلة الصعبة الهادفة إلى تثبيت ركائز التوازن العلمى.

والله ولى التوفيق

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

جملة الحال المنفية فى الشعر الجاهلى
دراسة فى النحو والدلالة

د . على محمد هنداوى

كلية الآداب - جامعة عين شمس

المبحث الأول
الحال عند النحاة

١) تعريفه :

لاشك أن التعرف على ماذكره النحاة عن الحال - يمثل المفتاح لدراسة الحال دراسة نحوية دلالية سواء أكانت الدراسة شاملة لكل أنواعه أم لنوع واحد ، أم لأكثر من نوع .

وسوف أعرض لآراء النحاة فى تعريفهم للحال، وما ذكروه عن صفة الحال والفروق بينه وبين ما يشبه الحال من جهة أو من أكثر من جهة؛ حتى يتبين لنا خصوصية الحال سواء من حيث التركيب أو الصيغة أو الدلالة.

قال المجاشعي : «يقال : ما أصل الحال ؟

والجواب : أن أصل الحال ما دل على انقلاب الشئ عما كان عليه فى وقت فعل من الأفعال مما يصلح أن يكون صفة لنكرة، واشتقاقها من : حال الشئ يحول - إذا انقلب عما كان عليه[١] فأحال الشئ تحول من حال إلى حال . وأحال الرجل تحول من شئ إلى شئ ... » .

وقال ابن الكمال : الحال لغة : نهاية الماضى وبداية المستقبل.

واصطلاحاً : ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظا ، نحو : ضربت زيدا قائماً ، أو معنى ، نحو : زيد فى الدار قائماً ، يؤنث ويذكر، والتأنيث أكثر، وجمعه أحوال ، وأحولة : وهذه شاذة » [٢] وقال عبد القاهر:

(١) شرح عيون الإعراب ، المجاشعى ١٤٤ .

(٢) تاج العروس « حول »

الحال هو ما يحتمل التحول والتنقل، وحقيقتها أنها الهيئة التى يكون عليها الشئ عند ملابسة الفعل واقعاً منه أو واقعاً عليه » [٣] وسنعرض ذلك مفصلاً .

ويمكن أن نجمع المشترك بين تعريفات النحاة للحال فنقول : الحال وصف فضلة دالة على هيئة صاحبه من فاعل أو مفعول به أو منهما معاً، أو ما يقوم مقامهما متضمناً ما فيه معنى «فيه» غير تابع ولا عمدة ، وحقه النصب ، وقد يجر بباء زائدة .

قال ابن مالك : الحال هو ما دل على هيئة وصاحبها، متضمنا ما فيه معنى فيه، غير تابع ولا عمدة ، وحقه النصب، وقد يجر بباء زائدة وقال فى الألفية :

الحال وصف، فضلة منتصب مفهم فى حال كـ« فرداً أذهب»

وقال ابن عقيل فى شرح البيت : عرف الحال بأنه الوصف الفضلة المنتصب للدلالة على هيئة ، نحو فردا أذهب ، فـ «فرداً » حال لوجود القيود المذكورة .

وخرج بقوله فضلة – الوصف الواقع عمدة ، نحو : زيد قائم ، وبقوله للدلالة على الهيئة، التمييز المشتق، نحو : لله دره فارساً ، فإنه تمييز لاحال على الصحيح، إذ لم يقصد الدلالة على الهيئة، بل التعجب من فروسيته؛ فهو لبيان المتعجب منه، لا لبيان الهيئة .

وكذلك : رأيت رجلاً راكباً ، فإن راكباً – لم يسق للدلالة على الهيئة، بل لتخصيص الرجل.

---

(٣) المقتصد فى شرح الإيضاح ١ / ٦٧٦ .

وقول المصنف : مفهم في حال – هو معنى قولنا للدلالة على الهيئة(٥) .

وقال المكودى : وخرج بقوله : مفهم في حال – التمييز ، نحو : لله دره فارسا ؛ لأنه لايفهم في حال ؛ لكونه على تقدير من » (٦) .

وقال الهوارى الأندلسى : اعلم أن الحال وصف أو في حكمه، واقع فضلة ، ببيان لهيئة من هو له، غير مقصود به التخصيص، فقولنا : وصف – جنس يشمل الحال والنعت ، والخبر المشتق .

وقولنا : أو في حكمه – ليدخل الحال التى هي في تقدير المشتق كقوله تعالى : « فانفروا ثبات » [النساء ٤ / ٧١] ، وكقولهم : جاء وحده .

وقولنا : فضلة – ليخرج الخبر .

وقولنا : بيان لهيئة من هو له – ليخرج التمييز ؛ لأنه لبيان الذات ، لا لبيان الهيئة . وقولنا : غير مقصود به التخصيص، ليخرج النعت (٧) .

٢) صفته والعامل فيه وخصوصيته

قال المجاشعى : صفة الحال أن تكون نكرة قد تم الكلام دونها، وذلك نحو قولك : جاء زيد راكبا . فراكب – نكرة جاءت بعد معرفة – هي زيد – قد تم الكلام دون الراكب؛ لأنك لو قلت :

جاء زيد – وسكت – لكان الكلام تاما.

وهي جواب عن كيف ؟ ألا ترى أنك إذا قلت : كيف رأيت زيداً ؟

---

(٤) شرح التسهيل ٢ / ٣٢١ .
(٥) شرح ابن عقيل ٢/٢٤٣.
(٦) شرح المكودى على ألفية بن مالك ٣٦٧/١ .
(٧) شرح ابن عقيل ٢/ ٢٩٠ .

- كان الجواب - قائماً ، أو قاعداً ، أو صالحاً ، أو سقيماً ؟ ، وما أشبه ذلك...» .

«ويقال : لم لم يجز أن يكون العامل فى الحال إلا فعلاً أو معنى فعل؟ والجواب أن يقال إنما كان ذلك من قبل أن الحال ما دل على انقلاب الشئ عما كان عليه فى وقت فعل من أفعاله .. فإن خرجت عن هذا بطل المعنى الذى يوجب الحال، وقد يمكن أن تخرج إلى معنى الخبر، وإلى معنى المفعول به ، ولاتكون حالا ؛ إذ من حقيقتها أن تنعقد فى وقت كون المذكور عليها بفعل، وهذا يقتضى أن يعمل فيها فعل، فإن عدم فمعنى فعل» .

«ومعنى الفعل على ضربين :

أحدهما : ما تضمنه التنبيه والإشارة فى نحو قوله تعالى : « وهذا بعلى شيخاً » [هود ١١/٧٢] ، و « فتلك بيوتهم خاوية» [النمل ٢٧ / ٥٢] والمعنى : انتبه إليه شيخاً ، وأشير إليها خاوية .

والثانى : مادل عليه الظرف من الاستقرار ، نحو قولك : فيها زيد قائماً . وفيها قائماً زيد . ولو قلت : قائماً فيها زيد، أو زيد قائماً فيها - لم يجز ... لأنه إذا كان معنى كان غير متصرف، وإذا لم يتصرف لم يتصرف معموله ليكون المعمول مشاكلاً للعامل» (٨) .

وتشبه الحال - المفعول به والظرف والتمييز والنعت فى بعض الأوجه وتفترق عن كل منها من بعض الأوجه .

قال عبد القاهر فى شرح الإيضاح : اعلم أن الحال قد اكتسبت شبها

(٨) شرح عيون الإعراب ، ١٤٥ - ١٤٦ .

من الظرف وشبها من المفعول الصحيح، فأما مشابهتها الظرف فمن حيث إنك إذا قلت : جاء زيد راكبا، فالمعنى جاءنى زيد فى حال ركوبه. وأما مشابهتها المفعول الصحيح، فمن حيث إنك إذا قلت : جاءنى زيد راكبا - وجدته عاريا من حرف الظرف فلا تقول جاءنى زيد فى راكب، كما لاتقول فى قولك : ضرب زيد عمرا - ضرب زيد فى عمرو .

فأما وجه امتناعها أن تجرى مجرى المفعول الصحيح، فهو أن معنى الفعل يعمل فيها كما يعمل فيها الفعل المحض ..

وأما امتناع الحال أن تجرى مجرى الظرف على الإطلاق، فهو أن معنى الفعل إذا عمل لم يجز تقديمها عليه، فلا تقول : قائماً أى من فى الظرفية، فقولنا جاء زيد صباحاً : أى فى الصباح فى الدار زيد، وإن كنت تقول : كل يوم لك ثوب جديد (٩).

فهذه الفروق من حيث العمل والعامل ، وقد فرق المجاشعى بين الحال والظرف من حيث المعنى أو الدلالة فقال : فلم جاز أن تجعل الحال مفعولا فيه ؟ قيل لشبهها بالظرفين من قبل اشتمالها على ذى الحال كاشتمال الظرفين على ما يقع فيهما من الحوادث ، ألا ترى أنه يحسن أن يقال : جاء زيد فى هذه الحال، كما تقول : جاء فى هذا اليوم، وجاء فى هذه الناحية ؟

ويقال لم شبهت الحال بالتمييز؟ والجواب أن يقال : لاحتمال الفعل أنواعا كاحتمال المميز. ألا ترى أنك إذا قلت : أقبل زيد، جاز أن يقبل على أحوال كثيرة، وكذلك إذا قلت : إمتلأ الإناء - جاز أن يمتلئ من أصناف

---

(٩) المقتصد فى شرح الإيضاح ١/٦٧٣.

كثيرة، فإذا قلت : ماء ، أوزيتا، أولبنا، أو عسلا – بينت كما بينت الحال حين ذكرت (١٠).

وقال عبد القاهر : اعلم أن الحال يشبه التمييز من وجهين :

أحدهما : أنه نكرة كما أن التمييز كذلك، لا تقول : جاءنى زيد الراكب. ومررت بعمرو القائم، كما لاتقول : عشرون الدراهم ، وامتلأ الإناء الماء ، بل تقول : جاءنى زيد راكبا، وامتلأ الإناء ماء.

والوجه الثانى : أن فيه بيانا وكشفا للإبهام كما أن التمييز كذلك(١١).

وأما الوجه الذى يفارق منه الحال التمييز فهو أن أصل الحال أن يكون صفة، كقولك : جاءنى زيد راكبا وأصل التمييز أن يكون اسما كقولك : امتلأ الإناء ماء ، وعشرون درهما، لأن الحال ما يحتمل التحول والتنقل. وحقيقتها أنها الهيئة التى يكون عليها الشئ عند ملابسة الفعل واقعاً منه، أو واقعاً عليه، فإذا قلت : جاءنى زيد راكبا – فالركوب هيئة زيد عند وقوع المجئ منه .. وهذا المعنى بابه الصفات، والتمييز يقصد به تمييز الجنس»(١٢).

«والحال واجب التنكير لئلا يوهم النعتية عند نصب ذى الحال أو عدم ظهور إعرابها .. (١٣) وقال الشيخ أبو على الفارسى : فإن قلت : فقد قالوا : طلبته جهدك، وطاقتك، ورجع عوده على بدئه، وأرسلها العراك، وهذه معارف، وهى أحوال ، فالقول : إن هذه الأشياء ليست أحوالا ، وإنما

(١٠) شرح عيون الإعراب ١٤٦ .
(١١) المقتصد ١ / ٦٧٥ .
(١٢) المقتصد ١ / ٦٧٦ .
(١٣) شرح التسهيل ٢ / ٣٢٢.

الحال الفعل الذى وقعت هذه المصادر فى موضعه، والتقدير: طلبته تجتهد، وأرسلها تعترك، فدل جهدك والعراك على تجتهد وتعترك . فالفعل هو الحال فى الحقيقة، وهذه الألفاظ دالة عليه »[١٤].

ويختلف الحال عن النعت ويقال للنعت الوصف والصفة ، والنعت عبارة الكوفيين، وربما استعملها البصريون.

قال أبو الفداء : النعت تابع يدل على معنى فى متبوعه أو متعلقه مطلقاً .

قوله تابع كالجنس لأنه يشمل جميع التوابع.

قوله يدل على معنى فى متبوعه – كالفصل؛ فإن يخرج جميع التوابع سوى النعت؛ لأنها جميعا لاتدل على معنى فى متبوعها.

وقوله : مطلقاً – احترز به عن الحال من المنصوب؛ لأنها من المنصوب أو من غير المنصوب لايشتبه أنها ليست تابعة لذى الحال فى الإعراب، وذلك نحو : ضربت زيداً قائماً ، وإن توهم فيه أنه تابع يدل على معنى فى متبوعه، لكن لايدل عليه مطلقا، بل حال صدور الفعل عنه[١٥] . واعلم أن الموصوف يوصف تارة باعتبار حاله، نحو : مررت برجل عالم. وتارة باعتبار متعلقه، نحو مررت برجل حسن غلامه . والنعت الذى هو حال الموصوف يتبع الموصوف من حيث الإعراب فى الرفع أو الجر أو النصب ومن حيث التعريف والتنكير فى أحدهما ومن حيث العدد فى الإفراد أو التثنية أو الجمع، ومن حيث النوع فى التذكير أو التأنيث [١٦] .

---

(١٤) المقتصد ٢ / ٦٧١ .

(١٥) الكناش فى النحو والصرف ، أبو الفداء الملك ،المؤيد ، ص ١٠١ .

(١٦) نفسه ١٠٢ .

والنعت الذى هو بحال متعلق الموصوف يتبع الموصوف فى الإعراب والتعريف أو التنكير، ولم يجعل تابعاً للموصوف فيما تبقى ، بل كان حكم النعت بالنظر إلى المتعلق (١٧) .

أما صاحب الحال فيقول عنه ابن مالك «قد تقدم أن الحال خبر فى المعنى وأن صاحبه مخبر عنه، فأصله أن يكون معرفة، وكما جاز أن يبتدأ بنكرة بشرطى حصول الفائدة وأمن اللبس، كذلك يكون صاحب الحال نكرة بشرط وضوح المعنى وأمن اللبس، ولا يكون ذلك فى الأكثر إلا بمسوغ(١٨) .

مسوغات كون الحال نكرة : [ملخصا عن شرح التسهيل] .

١ - تخصص صاحب الحال بوصف كقول الشاعر :

نجيت يارب نوحا واستجبت له   فى فلك ماخر فى اليم مشحونا

٢ - تخصصه بالإضافة، كقوله تعالى : «وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين» (فصلت ٤١ / ١٠)

٣ - أن يكون قبل صاحب الحال نفى، كقوله تعالى: «وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم » [الحجر ١٥/ ٤] فقوله: «ولها كتاب معلوم» جملة حالية مقرونة بواو الحال، وصاحب الحال قرية.

٤ - وقوع صاحب الحال ، بعد نهى أو استفهام ، ومن مجئ ذلك بعد النهى قول قطرى:

لايركنن أحد إلى الإحجام   يوم الوغى متخوفا لحمام

(١٧) نفسه ١٠٥ .

(١٨) شرح التسهيل ٢ / ٣٣١ .

ومن مجئ ذلك بعد الاستفهام :

يا صاح هل حم عيش باقيا فترى لنفسك العذر فى إبعادها الأملا

٥ – تقدم صاحب الحال عليها : نحو هذا قائماً رجل

وأنشد سيبويه لذى الرمة :

وتحت العوالى فى القنا مستظلة ظباء أعارتها العيون الجآذر

٦ – كون الجملة مقرونة بالواو، كقوله تعالى : «أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها» [البقرة ٢ / ٢٥٩] .

وكقول الشاعر :

مضى زمن والناس يستشفعون بى فهل لى إلى ليلى الغداة شفيع

لأن الواو رفعت توهم كون الجملة نعتا .

وهذه هى أهم مسوغات مجئ صاحب الحال نكرة .

ومن الملاحظات المهمة فى هذا الشأن أن جملة النعت لا تأتى مصدرة بالواو ، وقد نص ابن هشام على أن الخبر لايقترن بالواو [١٩] .

٣) مجئ الحال جملة

قال الجرجانى : الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، سواء أفادت، كقولك : زيد قائم ، أو لم تفد ، كقولك: إن تكرمنى [٢٠] .

وقد اتفق النحاة على وقوع بعض الجمل موقعاً إعرابياً ، وهى الجملة

---

(١٩) مغنى اللبيب ٥٣٧

(٢٠) التعريفات ٧٨

الواقعة خبرًا والواقعة مفعولاً ، والواقعة حالاً ، والجملة المضاف إليها، والجملة الواقعة بعد الفاء أو إذا جوابا لشرط جازم، والجملة التابعة لمفرد، والتابعة لجملة لها محل(٢١) .

وتؤول الجملة بالنكرة، يقول ابن يعيش : الجمل نكرات ، ألا ترى أنها تجرى أوصافا على النكرات، ولولا أن الجمل نكرات لم يكن للمخاطب فيها فائدة، لأن ما يعرف لا يستفاد ، فلما كانت تجرى أوصافا على النكرات لتنكيرها، أرادوا أن يكون فى المعارف ذلك، فلم يكن أن يقال : مررت بزيد قام أبوه، وأنت تريد النعت لزيد لأنه قد ثبت أن الجمل نكرات، والنكرة لا تكون وصفا للمعرفة (٢٢) .

ويرى الحيدرة اليمني أن الجملة يحكم عليها بالبناء؛ لأنها من مجموع كلمتين ، أو كلمات، والعامل الداخل عليها يطلب معمولا واحدا، فلم تكن كلمة أولى من كلمة، فتمانعت الكلمات. وصار عاملها مشبها للحروف التى لم تستبدل، فلما ضعفت بنيت الجملة، وصار الإعراب حكما لا لفظا فهذه علة، والعلة الثانية أن الجملة نقلت إلى معنى الآحاد، والنقل يغير الشئ عما هو عليه فبنى »(٢٣) .

والدليل على أن الجملة تؤول بنكرة أنه إذا أريد وصف المعارف بالجمل جيء بالاسم الموصول الذى يقوم بوظيفة تعريف الجملة، وذكر ابن سيده أن الذى من الأسماء الموصولة التى يتوصل بها إلى وصف المعارف بالجملة (٢٤).

---

(٢١) مغنى اللبيب ، ملخصاً من ص ٥٣٦ .

(٢٢) شرح المفصل ٣ / ١٤١

(٢٣) كشف المشاكل ١٩٦/٢ .

(٢٤) اللسان (لذا)

والجملة الحالية من القيود التى تقع موقع القيود الاسمية، يقول ابن رشد : وأما الفعل فإنه يقيد بالمعانى اللازمة، والمعانى اللازمة لكل فعل خمسة : ظرف الزمان نحو قولك : خرج زيد يوم الجمعة. وظرف المكان، نحو قولك : قام زيد أمامك والاسم المشتق منه الفعل وهو المسمى مصدرا، نحو قولك : خرجت خروجاً ... والشئ الذى كان من أجله الفعل هو علة الفعل الغائية، نحو قولك : خرج زيد طلَباً للمعروف . والخامس تقييد الفاعل بالصفة التى كان عليها وقت الفعل، وقد يقيد بها المفعول فى الفعل المتعدى، والفعل فى هذه الجملة يكون مظهراً ، نحو جاء زيد راكباً ، وقد يكون مضمراً ، نحو : زيد فى الدار قائماً ، أى استقر (٢٥).

وقال وأما الجمل الثوانى، وهى المركبة من اثنين : إما البسيطة، وإما المركبة - فإنها تتركب على ثلاثة أنحاء : إحداها : أن يكون إحدى الجملتين، وذلك يكون فى الكلام الخبرى بحروف الشرط وغيرها من الحروف التى فيها معنى الشرط... وفى هذا الباب يدخل القسم وجوابه ... والنحو الثانى : أن تقع جملة موقع الاسم المقيد من الجملة البسيطة ، أعنى أن تكون جملة تقع موقع المفعول أو الحال ، أو موقع الصفة؛ أو غير ذلك من أنواع الأسماء التى هى قيود ...(٢٦)

٤ - مجئ الحال جملة منفية :

أ - مسألة النفى :

النفى هو من أقسام الخبر مقابل الإثبات والإيجاب ، وقيل بل هو شطر الكلام كله ، والفرق بينه وبين الجحد أن النافى إن كان صادقاً سمى

(٢٥) الضرورى فى النحو ٦٣ .

(٢٦) الضرورى فى النحو ، ابن رشد.

كلامه نفيا ومنفياً أيضاً ولا يسمى جحداً ، وإن كان كاذباً سمى جحدا ونفيا أيضاً ، فكل جحد نفى وليس كل نفى جحداً ، والنفى عند المتكلمين هو المعلوم الغير الثابت (٢٧) . ويدور معنى النفى فى اللغة حول عدة معان، منها أن يقال نفى الشعر وانتفى إذا تساقط، والسيل ينفى الغثاء يحمله ويدفعه، والنفى عن الأرض الطرد، وانتفى منه تبرأ ، ونفى الشئ نفيا جحده ، ونفت السحابة الماء مجته، والنفى ما نفته الحوافر من الحصى وغيره فى السير ، ونفاية الشئ بقيته وأردؤه، والطائر ينفى بجناحيه نفيانا كما تنفى السحابة الرش والبرد ، وكل ما رددته فقد نفيته ، ونفيت الدراهم أثرتها للانتقاد(٢٨) .

وقد نبه بعض الدارسين إلى أمور تتصل بالنفى، ويفيد بعضها فيما نحن بصدده من دراسة الجملة المنفية التى تقع حالا .

الأمر الأول : رد الزعم بأن شرط صحة النفى عن الشئ صحة اتصاف المنفى عنه بذلك الشئ ، وهو مردود بمثل قوله تعالى (وما ربك بغافل عما تعملون) هود ١١ / ١٢٣ ، والصواب أن انتفاء الشئ عن الشئ قد يكون لكونه لايمكن منه عقلا، وقد يكون لكونه لايقع منه مع إمكانه(٢٩) .

الأمر الثانى : نفى الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات نحو (وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام) الأنبياء ٢١/٧ أى بل هم جسد يأكلون ، وقد يكون نفيا لهما نحو (لايسألون الناس إلحافا) البقرة ٢/٢٧٣ ، أى لا سؤال لهم أصلا فلا يحصل منهم إلحاف، ويسمى هذا

---

(٢٧) انظر : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، للتهانوى ٢/١٧٢٢ - ١٧٢٣ .

(٢٨) اللسان (نفى) .

النفى عند أهل البديع نفى الشئ بإيجابه. وعبارة ابن رشيق فى تفسيره أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشئ وباطنه نفيه بأن ينفى ما هو من سببه كوصفه، وهو المنفى فى الباطن . وعبارة غيره أن ينفى الشئ مقيدا والمراد نفيه مطلقاً مبالغة فى النفى وتأكيداً له. ومنه (ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به) المؤمنون ٢٣/ ١١٧ فإن الإله مع الله لايكون إلا عن غير برهان، ومنه (ويقتلون النبيين بغير الحق) البقرة ٢/ ٦١ فإن قتلهم لايكون إلا عن غير حق ، ومنه (الله الذى رفع السماء بغير عمد ترونها) الرعد ١٣ / ٢ فإنها لاعمد لها أصلاً .

الأمر الثالث : قد ينفى الشئ رأساً لعدم كمال وصفه أو انتفاء ثمرته كقوله تعالى فى صفة أهل النار (لايموت فيها ولا يحيى) طه ٢٠/ ٧٤ فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة.

الأمر الرابع : المجاز يصح فيه بخلاف الحقيقة وأورد عليه (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الأنفال ٨/ ١٧ فإن المنفى فيه هو الحقيقة. وأجيب بأن المراد بالرمى هنا المترتب عليه وهو وصوله إلى الكفار، فالوارد عليه النفى هنا مجاز لاحقيقة، والتقدير وما رميت خلقا إذ رميت كسبا أو مارميت انتهاء إذ رميت ابتداءً .

الأمر الخامس : نفى الاستطاعة الواردة فى القرآن قد يراد به نفى القدرة والإمكان نحو (فلا يستطيعون توصية) يس ٥٠، وقد يراد به نفى الامتناع نحو (هل يستطيع ربك) المائدة ٥/ ١١٢ على القراءتين أى هل يفعل أو هل يجيبنا ، فقد علموا أن الله قادر على الإنزال

---

(٢٩) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/ ١٧٢٢ .

(٣٠) كشاف اصطلاحات الفنون ٢/ ١٧٢٣ .

وأن عيسى قادر على السؤال، وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة نحو (إنك لن تستطيع معى صبرا) الكهف ١٨ / ٧٢ .

الأمر السادس : من قواعدهم أن النفى إذا دخل على كلام فيه قيد توجه إلى القيد خاصة وأفاد ثبوت أصل الفعل. قال أبو القاسم فى حاشية المطول : التحقيق أن هذه القاعدة ليست كلية بل أكثرية إذ يحتمل أن يقصد نفى الفعل والقيد جميعا بمعنى انتفاء كل من الأمرين مثل : ما جئت راكبا بمعنى : لا مجئ ولا ركوب ، أو بمعنى انتفاء القيد من غير اعتبار لنفى الفعل أو إثباته كما إذا قلت لم أضرب كل أحد، بمعنى أن الضرب لم يقع على كل أحد من غير اعتبار لنفى الضرب وإثباته، وهذا مراد من قال إن رفع الإيجاب الكلى أعم من السلب الكلى والسلب عن البعض مع الإيجاب للبعض، وهذا كثير الوقوع فى الكلام، أو انتفاء الفعل من غير اعتبار لنفى القيد أو إثباته كقوله تعالى (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) آل عمران ٣/١٣٥ . هذا إذا اعتبر القيد أولاً ثم نفى. وإن اعتبر النفى أولاً ثم قيد رجع النفى إلى المقيد حتى إذا كان القيد هو العموم مثلا أفاد نفى العموم على الأول وعموم النفى على الثانى والتعويل على القرائن، انتهى. وفى بعض حواشى البيضاوى أن رجوع النفى إلى القيد إنما يكون إذا كان القيد مما لايلزم المقيد وإن كان مما يلزمه يرجع إلى المقيد(٣٠) .

وقد أحسن الدكتور إبراهيم أنيس إذ أشار إلى أن اللغات تعبر عن النفى بسبل وأساليب لا تطابق دائماً الأساليب المنطقية أو الرياضية، برغم

---

(٣١) من أسرار اللغة ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣٢) السابق ١٧٨ .

أنه معنى عقلى مشترك بين جميع العقول، فاللغة مثلا لا تكاد تشتمل على لفظين تأبى التوسط بينهما كما يريد المناطقة ، كما أن المتكلم والسامع لا يقتصران فى فهم الكلام على ما يوجبه العقل ومنطقه، وإنما يستلهمان من الخيال نصيبا غير قليل لفهم العبارات وإدراكها، فالمرء وإن لم يستسغ القول بعقله فقد يستسيغه بخياله، ويستعين بذلك الخيال على إدراك أن فلانا من الناس قد يجمع بين صفتين متضادتين كالغنى والفقر، ثم لا يزال به الخيال حتى يقتنع بمثل هذه الفكرة ويطمئن إليها (٣١)، فالتضاد أو التناقض فى الاستعمال اللغوى لا يسايران الدقة المنطقية بل يحيدان عنها فى كثيرمن الأحيان. والنفى اللغوى لا يكون عادة إلا بأداة تشعر بهذا النفى، فإذا خلا الكلام من أداة نفى ، وعبر مع هذا عن النفى، عد مثل هذا نفيا ضمنيا، يطمئن إليه المنطقى ويعده من طرق النفى، ولكن اللغوى يأبى اعتباره من أساليب النفى، ففى بعض أساليب التمنى والاستفهام الإنكارى والشرط بلو حين تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط، نلحظ نوعا من النفى الضمنى الخالى من أداة النفى (٣٢). ويضيف الدكتور أنيس فى تقصيه الفروق بين النفى اللغوى والنفى المنطقى أن نفى النفى ينتج الإثبات ولا شئ غيره فى ذهن المنطقى والرياضى، ولكنه من الناحية اللغوية ليس إلا تأكيدا للنفى... فاللغات حين تكرر أداة النفى فى موضع ما من الجملة إنما تهدف بهذا إلى توكيد فكرة النفى لا الإثبات(٣٣) ويبرز الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى جانباً مهما من جوانب الإصلاح فى النظر إلى مسألة النفى اللغوى، إذ يرى أنه من المفيد المجدى فى دراسة

---

(٣٣) نفسه ١٧٩ .

(٣٤) نحو المعانى ، ١٢٥ .

التراكيب والأساليب لو جمعت أدوات النفى، ودرست معانيها، ما اختلف منها وما اتفق ، فى صعيد واحد؛ إذن لفقه الدارس معنى النفى بكل أداة ولتبين موضعه من الاستعمال، ولعرف لكل حرف معناه بمقارنة تلك الحروف بعضها ببعض (٣٤) . ويرى الدكتور الجوارى أن صرف الاهتمام إلى الأثر الإعرابى وجودا أو عدما هو العلة فى توزيع ما حقه أن يكون فى باب واحد ، على أبواب متخالفة، فغلبة أمرالإعراب هى التى جعلت نفى الفعل المضارع فى الاستقبال مثلا يدرس فى باب نواصب المضارع حين تدخل عليه « لن » وأهمل دخول الأداتين « ما » و « لا » وهما نافيتان فلم يعرض لهما، لأنهما لاتؤثران فى إعراب المضارع، بحجة أنهما مما لا يختص بالدخول عليه، فلا يغير حركة آخره. على أن « لن » لا يكاد يجمعها بنواصب المضارع إلا حركة الإعراب فى الفعل الداخلة عليه، وإلا معنى الاستقبال الذى يستفيده الفعل المضارع من دخول أدوات النصب عليه؛ وإلا فأى علاقة معنوية بين التعليل بـ « كى » فى قول القائل : سعيت لكى أزورك ، وبين قوله «ظننت أنى لن أجدك فى بيتك » ؟ (٣٥) .

ب - الحال الجملة :

اشترط النحاة فى جملة الحال أن تكون خبرية خالية من دليل استقبال أو تعجب ، فلا تقع جملة طلبية ولا تعجبية ولا ذات السين أو سوف أو « لن » أو « لا » وجوز الأمين المحلى وقوع جملة النهى نحو :

اطلب ولا تضجر من مطلب

وعلة المنع عند من منع وقوع الجملة المسبوقة بـ « لن » أو «لا»

(٣٥) نحو المعانى ١٢٥ ١٢٦ .

الناهية حالا ، ليست دلالتهما على النفى، بل تمحض الفعل بعدهما للمستقبل ، بدليل أن من الجمل التى تقع حالا جملاً منفية بأدوات أخر، مثل «لا» التبرئة فى مثل قوله تعالى (والله يحكم لا معقب لحكمه) الرعد ١٣ / ٤١ ، و «لا» النافية للمضارع نحو (وما لنا لا نؤمن بالله) المائدة ٥/٨٤، و «ما » التى لنفى المضارع ، كقول امرئ القيس : [٣٦].

ظللت ردائى فوق رأسى قاعدا   أعد الحصى ما تنقضى عبراتى

و «لم» كالآية (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) الأحزاب ٣٣/٢٥.

وتتضمن الجمل الواقعة حالا ضميرا يعود على صاحب الحال يربطها به وقد تجامعه واو الحال أو تغنى عنه فى غير مؤكدة ولا مصدرة بمضارع مثبت أو منفى بـ «لا» أوماض تال لإلا أو متلو بأو ، ... ومن اجتماع الواو والضمير فى المصدرة بليس قوله تعالى (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه) البقرة ٢/٢٦٧ ، [٣٧]. ومثله :

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى   ولست بمقلى الخلال ولا قالى[٣٨]

ومن انفراد الواو :

دهم الشتاء ولست أملك عدة   والصبر فى السبرات غير مطيع

وحكى سيبويه الاستغناء عن الواو بنية الضمير إذا كان معلوما

---

(٣٦) شرح التسهيل ، لإبن مالك، ٢ / ٣٦١، والبيت فى ديوانه ٣٦.

(٣٧) انظر السابق . ويقول العكبرى (ولستم بآخذيه) مستأنف لاموضع له، (إلا أن تغمضوا..) فى موضع الحال ؛ أى إلا فى حالة الإغماض. التبيان ٢١٩/١.

(٣٨) ديوان امرئ القيس ١١٠ ، ومختار الشعر الجاهلى ٣٩/١ .

كقولك : مررت بالبر قفيز بدرهم .. وقد تخلو جملة الحال من الواو والضمير عند ظهور الملابسة .. وقد تصحب الواو المضارع المثبت أو المنفى بلا ، كما فى قراءة غير نافع (٢٩) (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) البقرة ٢/١١٩ وإن كانت الجملة مصدرة بمضارع منفى بلم جاز فيها ما يجوز فى الجملة الاسمية من إفراد الضمير كقوله تعالى (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) آل عمران ٣/١٧٤ ومنه قول زهير (٤٠):

كأن فتات العهن فى كل منزل نزلن به حب الفنا لم يحطم

وكقول امرئ القيس (٤١):

فأدرك لم يجهد ولم يثن شأوه يمر كخذروف الوليد المثقب

ومن إفراد الواو قول عنترة (٤٢):

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابنى ضمضم

ومن اجتماع الواو والضمير قوله تعالى (أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شئ) الأنعام ٦/٩٣، وكقول النابغة (٤٣):

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليـــد

يقول ابن مالك : وكثرت شواهد لم ، لأن ابن خروف قال : فإن كانت ماضية معنى لا لفظا احتاجت إلى الواو، كان فيها ضمير أو لم يكن،

---

(٣٩) وقراءة نافع بجزم المضارع على أن لا ناهية؛ انظر : إتحاف فضلاء البشر ١٤٦ ، وفيه : « والباقون بضم التاء ورفع اللام على البناء للمفعول بعد لا النافيه، والجملة مستأنفة »، وانظر : التبيان ١/ ١١٠ ، وشرح التسهيل ٢/٣٦٨.

(٤٠) شرح المعلقات السبع، للزوزنى ٥٣، وديوانه شرح الأعلم ٥ .

(٤١) ديوانه ١٩ ، وشرح التسهيل ٢/٣٩٢.

(٤٢) شرح ديوانه ١٥٤ .

والمستعمل بخلاف ما قال. والمنفى بلما كالمنفى بلم إلا أنى لم أجده مستعملا إلا بالواو كقوله تعالى (ولما يأتكم نبأ الذين خلوا من قبلكم) البقرة ٢/ ٢١٤. وكقول الشاعر (٤٤):

بانت قطام ولما يحظ ذو مقة ... منها بوصل ولا إنجاز ميعاد

ولو كان الماضى معنى لا يقع حالا إلا وقبله قد مقدرة لامتنع وقوع المنفى بلم حالا، ولكان المنفى بلما أولى منه بذلك، لأن «لم» تنفى فعل، ولما تنفى قد فعل..(٤٥).

ومذهب ابن خروف أن المضارع المنفى بلم لابد فيه من الواو كان ضميرا أو لم يكن، .. وقال ابن مالك: والمنفى بلما كالمنفى بلم فى القياس، إلا أنى لم أجده إلا بالواو نحو الآية (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم..) التوبة ٩ / ١٦ والمنفى بما فيه الوجهان أيضاً .. والمنفى بإن قال أبو حيان: لا أحفظه من كلام العرب، والقياس يقتضى جوازه نحو: جاء زيد إن يدرى كيف الطريق، قياسا على وقوعه خبرا فى حديث «فظل إن يدرى كم صلى» (٤٦).

ويرى ابن يعيش أن الفعل المضارع إذا دخل عليه النافى جاز دخول الواو عليه وتركها، لشبه الجملة الفعلية فى هذه الحال بالجملة الاسمية من حيث صار أول جزء منها غير فعل، قال الله تعالى، فى قراءة ابن

---

(٤٣) ديوان النابغة الذبيانى ٣٣ .

(٤٤) شرح التسيهل ٢/ ٣٧٠ .

(٤٥) شرح التسهيل ٢ / ٣٧٣

(٤٦) الهمع ٢/ ٢٥١ ، ٢٥٢ . والحديث فى صحيح البخارى، كتاب السهو، «حديث ١٢٣١»، وفى صحيح مسلم فى الصلاة، حيث ١٩ ، ٢٠ .

عامر[٤٧](ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يونس ١٠/٨٩ فقوله لاتتبعان في موضع الحال، فهو مرفوع والنون علامة الرفع، وليس بنهى لثبوت النون فيه ، ولا تكون نون التأكيد، لأن نون التأكيد الخفية لاتدخل فعل الاثنين عند ابن يعيش، والتقدير فاستقيما غير متبعين ... وقال تعالى (فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا تخاف دركا ولا تخشى)،

طه ٢٠ / ٧٧، فقوله لاتخاف دركا ولا تخشى فى موضع الحال، فأتى بالواو فى موضع ولم يأت بها فى موضع ، فإذا أتى بها فلشبه الجملة الفعلية بالاسمية لمكان حرف النفى، ومن لم يأت بها فلأنه فعل مضارع[٤٨].

جـ - النفى وتنوع الدلالة :

يعبر عن النفى فى اللغة بوسائل وأدوات متنوعة، أشهرها بطبيعة الحال أدوات النفى، وقد سبقت الإشارة إلى أنه يمكن أن يخلو الكلام من أداة نفى، مع تضمنه النفى، وهو ما يسمى النفى الضمنى، كما فى أساليب التمنى والاستفهام الإنكارى، والاستثناء، إذ ينص ابن يعيش مثلا على أن «إلا» الاستثنائية » تخرج الثانى مما دخل فيه الأول ، فهى شبه حرف النفى، فقولنا : قام القوم إلا زيدا، بمنزلة قام القوم لازيد »[٤٩]، بل إن مما

(٤٧) فى هامش التبيان « ٢/٦٨٥» نقلا عن الكشف عن وجوه القراءات لمكى بن أبى طالب : قراءة ابن ذكوان بتخفيف النون كأنه استثقل التشديد للنون مع التشديد فى أول الكلمات فخففها وهو يريد التشديد. ويقول العكبرى : التخفيف على أنه نهى وحذف النون الأولى من الثقيلة تخفيفا، أو أن الفعل معرب مرفوع فهو خبر فى معنى النفى، أو أنه فى موضع الحال. وانظر الهمع ٢ / ٢٥٠ .

(٤٨) انظر : شرح المفصل لإبن يعيش ١/٦٧ ، ٦٨ .

(٤٩) شرح المفصل ٢/٧٦ .

يستثنى به وهو نص فى النفى : ليس، ولا يكون ، وغير (٥٠) . ومن المنطقى أن تنوع أدوات النفى يدل على تنوع النفى نفسه وليس مما يتفق وطبائع الأشياء أن نقول بترادف أدوات النفى، حتى لو كان بعضها مما يصلح للدخول على الجملة الاسمية والجملة الفعلية جميعاً مثل « ما » ، و «لا» و «إن»، وحتى لو تقاربت أدوات النفى فى مخارج أصواتها، مما يفتح باب القول بأن بعضها نشأ فى اللغة عن إبدال صوتى من بعض، أو أن بعضها مركب فى أصل النشأة من أداتين أدغمت إحداهما فى الأخرى مثل « إلا » إذا قلنا إنها مركبة من إن وما، و « لن » إذا قلنا إنها مكونة من « لا » و « إن » ، ولم إذا قلنا إنها منحوتة من « لا » و « ما » (٥١).

وإذا كان المرء ينزع إلى شئ من الاختيار فى مألوف الكلام بما يناسب قدرته على أداء لغوى خاص، فإن ذلك بالشعراء أجدر، ذلك بأنهم -وخاصة المجيدين منهم - لا يقدمون على شئ دون أن تكون له دلالة خاصة، ولاشك أنه من خلال سلوكهم على هذا النحو أو غيره قد يرسخ تقليد على مدى الزمن تصبح له دلالته الخاصة» (٥٢). وقد اهتم النحاة من قديم بجانبين اثنين عند تناول أدوات النفى هما زمن الفعل الذى تنفيه الأداة ، والأثر الإعرابى للأداة ، أى كونها عاملة أو مهملة. يقول سيبويه إن « لم » نفى لقوله : فعل و« لن » نفى لقوله : سيفعل .. ، وأما « ما » فهى نفى لقوله : هو يفعل إذا كان فى حال الفعل ، فنقول : ما يفعل . وتكون بمنزلة « ليس » فى المعنى ، تقول: عبد الله منطلق ، فتقول : ما

---

(٥٠) انظر : كتاب سيبويه ٢ / ٣٤٨ ، ٣٣٠ .

(٥١) انظر : من أسرار اللغة ١٨٤ . وعند سيويه أن « لم » مما جاء على حرفين . المقتضب ٤ / ٢٢٠ .

(٥٢) الجملة فى الشعر العربى ، د . محمد حماسة عبد اللطيف ٢١٦ .

عبد الله منطلق أو منطلقا، فتنفى بهذا اللفظ كما تقول : ليس عبد الله منطلقا وتكون « لا » نفيا لقوله : يفعل ، ولم يقع الفعل ، فتقول : لا يفعل(٥٣) .

ويستعمل سيبويه مصطلح « اللغو » بمعنى المهمل أو الزائد الذى لا عمل له فيما بعده، ويتضح ذلك فى حديثه عن « إن » مثلا ؛ يقول : و « إن » للجزاء وتكون لغوا فى قولك : ما إن يفعل ومنه قول فروة بن سميك:

وما إن طبنا جبن ...

وأما « إن » مع « ما » فى لغة أهل الحجاز فهى بمنزلة « ما » فى قولك إنما الثقيلة، تجعلها من حروف الابتداء، وتمنعها أن تكون من حروف « ليس » وبمنزلتها (٥٤) . ويقول : وأما « لا » فتكون كما فى التوكيد واللغو .

قال الله عز وجل (لئلا يعلم أهل الكتاب) الحديد ٥٧ / ٢٩ (٥٥) .

فالذى جمع « ما » النافية و « ما » الزائدة أو اللغو عند سيبويه هو مسألة العمل أو الأثر الإعرابى، لا الدلالة بطبيعة الحال، والأمر نفسه يصدق فيما يتصل بـ « إن » فليس بين الشرطية والنافية أو المؤكدة للنفى من صلة دلالية تجعلهما تجتمعان فى صعيد واحد، بل مدار الأمر – كما يتضح من عرض سيبويه – هو الأثر الإعرابى لكل منهما بإزاء الأخرى . وعلة إعمال « ما » عمل « ليس » عند سيبويه هى أنها لنفى الحال، مع دلالتها على النفى (٥٦) . وكذلك «لم» عملت الجزم لأنها نقلت الفعل نقلين:

---

(٥٣) الكتاب ٤ / ٢٢٠ – ٢٢٢ ، والمقتصد فى شرح الإيضاح ١ / ٢٢٩ – ٢٣٠ .
(٥٤) الكتاب ٤ / ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٥٥) انظر : الكتاب ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٥٦) انظر : شرح المفصل ١ / ١٠٩ .

نقلته إلى الماضى ونفته ، ومن حكمها أن تدخل على المستقبل فتنقل معناه إلى الماضى وهى لنفى « فعل » و « لما » لنفى قد فعل (٥٧).

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن العربية مرت بطور لغوى شاع فيه ظاهرة نفى النفى لمجرد تأكيد النفى، وأن العربى القديم لم يعمد إلى هذا إلا حرصا على إظهارمعنى النفى وتوضيحه لاستصغار الأداة التى كانت مجرد « لا » أو « ما » أو « إن » وفى كل من هذه الأدوات الثلاثة تتركب الأداة من مقطع قصير أساسه الصوتى : اللام أو الميم أو النون (٥٨).

ويضيف الدكتور أنيس أن العربية اتخذت أحد طريقين فى نفى النفى : إما تكرار الأداة فى مواضع مختلفة من الجملة الواحدة ، أو بما يسميه أداة النفى المركبة ، واشتملت النصوص العربية على صور كثيرة لأساليب تكررت فيها الأداة ، كما اشتملت على تلك الأدوات المركبة فقط واستطاع النحاة تفسير معانى بعض أدوات النفى ، وغفلوا عن تفسير بعضها الآخر ، وذلك لعنايتهم بعملها الإعرابى فقط ... فاهتموا بجزم المضارع « بلم » ونصبه « بلن » ، وألفوا بابا مستقلا سموه الاستثناء « بإلا » ثم جاءوا إلى « ما إن » فقالوا إن « إنْ » زائدة ، ويشير الدكتور أنيس إلى أن النفى بأداة مركبة آكد وأقوى من النفى بأداة بسيطة (٥٩).

ولاشك أن النحاة أشاروا إلى فروق فى الدلالة بين أدوات النفى حتى المفردةمنها ، ويترتب على الدلالة أثر إعرابى ، أى أنه ارتباط فى التصور النحوى بين التركيب والدلالة ، فمثلا تفيد « لا » النافية للجنس استغراق

---

(٥٧) معانى الحروف ، للرمانى ١٠٠ – ١٠١.
(٥٨) انظر : من أسرار اللغة ١٨٤ .
(٥٩) السابق ١٨٤ ، ١٨٥ .

النفى كل أفراده حتى لا يجوز لك أن تقول مثلا : لا رجل فى الدار بل رجلان .. فإن «لا » استحقت فى الأصل عمل (إن) فى قولك : إن زيدا منطلق ، لأنها نقيضة (إن) من حيث كانت نفيا ، وكان (إن) إثباتا وتوكيداً وهم يجرون الشئ مجرى نقيضه . ألا تراهم جروا بكم تشبيها له برب من جهة التضاد وهو أن كم للتكثير ، ورب للتقليل، فوجب أن يقال: لا رجلا ذاهب ، كما تقول : إن رجلا ذاهب ، إلا أنهم بنوا « لا » مع ما دخل عليه من الاسم المفرد على الفتح ولم يبنوها على حركة أخرى لأنها قد استحقت ما ذكرنا من مشابهتها(إن) النصب فى الأصل ، فلما قصد البناء بنى على الحركة المستحقة دون أخرى أجنبية» (٦٠) .

وقد أقدم عبد القاهر الجرجانى على محاولة المزاوجة بين النحو والمعنى ، أو بين التركيب والدلالة ، أو الشكل والمحتوى ، وهو ما تسعى إليه الدراسات البنائية الحديثة ، فلم يقع فيما وقع فيه النحاة من الانصراف عن بنية عامة تتم فيها المزاوجة المذكورة التى تستهدف اكتشاف أغوار النص الأدبى ولاسيما الشعر ، من خلال هذا التلاحم(٦١) .

وكان الذوق المرهف أمرا أساسيا استند إليه الإمام عبد القاهر الجرجانى فى المفاضلة بين التراكيب التى تصلح من وجهة النظر النحوية للتعبير عن معانى الإثبات أو النفى أو التوكيد أو غيرها ، مع استبعاد ما يخالف الصحة النحوية أصلاً مما لم تقره القواعد التى توصل إليها النحاة من استقراء النصوص العربية ، فصارت «عمود » اللغة وتراكيبها بإزاء عمود الشعر ، الذى يسمح فى إطاره ببعض « الانحرافات » المحسوبة ، بل

---

(٦٠) المقتصد فى شرح الإيضاح ٢ / ٧٩٩ - ٨٠٠ ، ومعانى الحروف للرمانى ٨١ - ٨٢ .
(٦١) انظر : بنية القصيدة فى شعر أبى تمام ، د. يسرية المصرى، ٣٧٤ .

المطلوبة أحيانا استجابة لدواعي الإبداع . هناك إذا نقاط التقاء لابد منها بين الأداء اللغوى العادى والأداء الشعرى الذى يحفل بالمجاوزة . «والظاهرة الشعرية إذا تتحول إلى ظاهرة يمكن قياسها وتقديرها على أنها متوسط التردد لمجموعة من المجاوزات التى تحملها اللغة الشعرية بالقياس إلى لغة النثر . إن الأسلوب هو مجاوزة تتحدد بطريقة كمية بالقياس إلى المستوى العادى للغة .. [٦٢] » وكانت نقطة الانطلاق عند الإمام عبد القاهر هى الإعراب ، ذلك « أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذى يفتحها ، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون الإعراب هو المستخرج لها ، وأنه المعيار الذى لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه ، وإلا من غالط فى الحقائق نفسه[٦٣] . «القاعدة عند الإمام عبد القاهر منطلق أساس للمعنى ، بل هى لازمة ، إذ هى عمود التركيب الذى هو مناط الإعجاز ، ذلك أنه لا نظم فى الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض ، وتجعل هذه بسبب من تلك ، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس ، وإذا كان كذلك فبنا أن ننظر إلى التعليق فيها والبناء وجعل الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما محصوله ..[٦٤] » وقد تحدث عبد القاهر – فيما يتعلق بالحال الجملة – عن دخول الواو أو عدم دخولها على جملة الحال ، وأن مجئ المضارع منفيا حالا من غير الواو يكثر ويحسن «إلا أنه لا يهتدى إلى وضعه بالموضع المرضى إلا من كان صحيح الطبع [٦٥] » .

(٦٢) بناء لغة الشعر ، جون كوين ، ترجمة وتقديم وتعليق د . أحمد درويش

(٦٣) دلائل الإعجاز ٢٣ – ٢٤ .

(٦٤)دلائل الإعجاز ٤٤ .

(٦٥)دلائل الإعجاز ١٦١ – ١٦٢ .

د – الحال والعدول التركيبى :

برغم أن الحال – مفردا أو جملة– تعد عند النحاة فضلة لا عمدة، مكملة لا ركنا ، فإنها فى سياقات كثيرة تؤدى المعنى الذى يؤديه الركن، بل تحل محله أحيانا ، بحيث لا يمكن حذفها وإلا اختلت الجملة . غير أن ذلك لا يشفع للحال عند ابن مالك بحيث تصير فى مثل ماسبق عمدة ، لأن « العمدة فى الاصطلاح ما عدم الاستغناء عنه أصيل لا عارض ، كالمبتدأ والخبر، والفضلة فى الاصطلاح ما جواز الاستغناء عنه أصيل لا عارض كالمفعول والحال . وإن عرض للعمدة جواز الاستغناء عنها لم تخرج بذلك عن كونها عمدة، وإن عرض للفضلة امتناع الاستغناء عنها لم تخرج بذلك عن كونها فضلة » (٦٦) غير أن ابن مالك يعود ليقر بما للحال من خصوصية فى التمرد على ما ضمنه النحاة تعريفها، وأن معناها معنى الركن « .. وإنما كان الحال جديرا بوروده مشتقا وغير مشتق ومنتقلا وغير متنقل، لأنه خبر فى المعنى، والخبر لا حجر فيه، بل يرد مشتقا وجامدا ومنتقلا ولازما، فكان الحال كذلك . وكثيراً ما يسميه سيبويه خبرا .. فمن تسميته خبرا قوله : هذا باب ما ينتصب فيه الخبر لأنه خبر لمعروف يرفع على الابتداء قدمته أو أخرته، وذلك : فيها عبد الله قائماً، وعبد الله فيها قائما (٦٧)، ومن ذلك قوله هذا ما ينتصب خبره وهى معرفة لا توصف ولا تكون وصفا، وذلك قولك : مررت بكل قائماً . ومن ذلك قوله فى باب ما يختار فيه الرفع والنصب لقبحه أن يكون صفة، ألا ترى أنك تقول : هذا مالك درهما ، وهذا خاتمك حديدا، ولا يحسن أن تجعلها

---

(٦٦) شرح التسهيل ١ / ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٦٧) كتاب سيبويه ٢ – ٨٨، ٢ / ٤٩ ، ٥٠ .

صفة ، فقد يكون الشئ حسنا إذا كان خبرا ، وقبيحا إذا كان صفة » (٦٨) .

ومعنى ذلك أن معنى الحالية يوجب خروج الخبر عما ثبت له من وجوب الرفع، بل إن الرفع عند بعض النحاة هو الموضع الأصلي للحال، فالحال المنصوب فى قولك : جاء زيد راكبا ، هو المرفوع فى المعنى ، وهو قول أبى على الفارسى فى الفرق بين التمييز والحال ؛ فالتمييز مرفوع فى المعنى فى مثل قولنا : تصبب بدن زيد عرقا، كما كان الحال هو المرفوع فى المعنى ، ويوضح الجرجانى أن « أبا على لم يرد فى تشبيهه التمييز نحو : تفقأ زيد شحماً ، بالحال أنه مرفوع فى المعنى ، كما أن راكبا هو المرفوع فى قولك : جاءنى زيد راكبا ، أنهما يجريان مجرى واحدا على الإطلاق ، كيف وأنت إذا قلت : تصبب زيد عرقا ، وتفقأ زيد شحما ، فليس العرق والشحم : الرجل على الإطلاق، وإنما هو شئ منه ، وإذا قلت: جاءنى زيد راكبا ، فإن راكبا هو زيد كله ، وعبارة عنه، وليس باسم وضع على شئ كالعرق والشحم ، وإنما هو بمنزلة الفعل أنه يتضمن ضمير الفعل ويشتمل عليه كله . ألا ترى أن قولك : جاءنى زيد يسرع ، بمنزلة مسرعا فى المعنى . وهذا وجه من الافتراق . ووجه آخر وهو أنك إذا قلت : تصبب بدن زيد عرقا ، فالمعنى : تصبب العرق ، فالفعل للعرق على الحقيقة ، وليس للبدن فيه شئ ، وكذلك قوله : تفقأ زيد شحما ، لأن الشحم هو المتفقئ ، وليس لزيد حظ فى الفعل ... وإذا قلت : جاءنى زيد راكبا فالأمر بالعكس من هذا ، لأن الفعل لزيد فى الحقيقة ، وراكب تابع له وعبارة عنه ، فلهذا قال الشيخ أبو على : فالمنصوب فى هذا الموضع هو مرفوع فى المعنى ، ولم يقل : هو المرفوع كما قال فى الحال فاعرفه (٦٩) .

---

(٦٨) شرح التسهيل ١/ ٣٢٢ ، والكتاب ١ / ٣٩٦ .

(٦٩) المقتصد فى شرح الإيضاح ٢/ ٦٩١ - ٦٩٢ .

وتبلغ سطوة معنى الحال مداها بإحداث عدول في تركيب الجملة ، تحتل به الحال موقع الركن ، محتفظة في الوقت نفسه بحالة النصب ، مما يؤدي إلى تركيب يحتوي على خبر منصوب / حال ؛ وذلك مثل :

ما للجمال مشيها وئيدا

أي : اسم استفهام + جار ومجرور + مبتدأ معرف بالإضافة + خبر منصوب / حال .

وقد عرض النحاة لهذا البيت في باب الفاعل عند الحديث عن الخلاف حول جواز تقديمه على عامله ، وزعموا أن التقدير : وئيداً سيرها ، كما ذكروا للبيت روايات أخر(٧٠)، غير أن منهم من اقتصد في التأويل ، فجعل مشيها [أو سيرها في رواية] مبتدأ ، وأضمر خبر ناصب وئيد ، كأنه قال : ما للجمال سيرها ظهر وئيدا أو ثبت وئيدا ، فيكون حذف الخبر هنا والاكتفاء بالحال نظير قولهم : «حكمك مسمطا » (٧١) ، الذي قال فيه المبرد : وهو على مذهب لك حكمك مسمطا ، أي متمماً ، إلا أنهم يحذفون منه لك .. ولا يستعمل إلا محذوفا (٧٢) .

ومن عجيب ما تكسر به الحال نمطية الجملة الاسمية وتفعل بها العدول التركيبي ، قولهم : هذا بسرا أطيب منه تمرا (٧٣)، أي : مبتدأ + حال جامدة + خبر نكرة + جار ومجرور +حال جامدة وليس الحال ها هنا سادة مسد الخبر كما في النمط السابق لأن الخبر مذكور في الكلام ،

---

(٧٠) شرح التسهيل لإبن مالك ٢ / ١٠٨ - ١٠٩ ، وشواهد المغني للسيوطي ٣٠٨ ، الهمع ١ / ١٥٩ ، وأوضح المسالك ٢ / ٨٦ - ٨٨.

(٧١) شرح التسهيل ٢ / ١٠٩

(٧٢) لسان العرب « سمط » ، وروى : خذ حكمك مسمطا ، القاموس االمحيط « سمط » .

(٧٣) كتاب سيبويه ١ / ٤٠٠ .

ولكن المبتدأ والخبر معا كأنما فقدا علاقة الإسناد المفيدة ، فصارا إلى ما يمكن أن نسميه الإسناد الحالي ، ومن هذا الباب ما يورده سيبويه من مثل: مررت برجل خير ما يكون خير منك خير ما تكون ، وهو أخبث ما يكون أخبث منك أخبث ما تكون(٧٤) . تركيب الأولى: فعل وفاعل ضمير + جار ومجرور + حال + مصدر مؤول من ما والمضارع + نعت للمجرور + حال + مصدر مؤول من ما والمضارع . فليس الأمر ها هنا محض تفضيل لأحد الرجلين ، بل هو مقيد بحالين تحكمانه ، وبغيرهما نصير إلى خلف من القول . وتركيب الجملة الثانية :

اسم معرفة (مبتدأ) + حال (اسم تفضيل) + مصدر مؤول + خبر (اسم تفضيل) + مصدر مؤول + جار ومجرور + حال (اسم تفضيل) + مصدر مؤول .

ومنه كذلك قول عمرو بن معديكرب .

الحرب أول ما تكون فتية (٧٥)

مبتدأ معرفة + مبتدأ ثان + مصدر مؤول من ما والمضارع + خبر منصوب / حال

ومما أورده سيبويه عمن يوثق بعربيته : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها ، فها هنا بسط معنى الحال نفوذه على التركيب كله وحوله من مبتدأ وخبر مرفوعين في موضع نصب على الحال ، إلى منصوبين في النمط التالي:

---

(٧٤) الكتاب / ٤٠٠ – ٤٠١ .

(٧٥) الكتاب ١ / ٤٠١ .

فعل + فاعل +مفعول به + إسناد حالى (منصوب مضاف + منصوب نكرة) + جار ومجرور + مضاف إليه .

وهذا التركيب يورده سيبويه مجاورا لتركيب مناظر فيه الإسناد المألوف ، كما فى الآية (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) [٧٦] الزمر ٣٩ / ٦٠ ، برفع «وجوههم مسودة » على الابتداء والخبر [٧٧] .

فالحركة الإعرابية فى مثل هذا التركيب تعد عنصرا من عناصر التحويل » وهى ذات قيمة دلالية كبيرة ، فبها يتم تحويل الجملة من توليدية الى تحويلية ، وشأنها شأن أى فونيم فى الكلمة ، له أثر وقيمة فى الإفصاح والإبانة عما فى النفس من معنى ، فيكون تغيرها محققا لما فى نفس المتكلم من معنى : فالتغير فى الحركة نتيجة للتغير فى المعنى وليست الحركة نتيجة لأثر عامل كما يرى النحاة[٧٨] .

وتتحقق مفارقة تركيبية مقصودة بسبب طغيان معنى الحال على السياق ، عندما يتجاوز تركيبان حاليان أولهما جملة اسمية مألوفة أو قياسية / توليدية ، تسبقها واو الحال ، والأخرى معدولة غير قياسية / تحويلية ، فى قول الشاعر:

تعيرنا أننا عالة ونحن صعاليك أنتم ملوكا

الشكل الأول : واو الحال + ضميز (مبتدأ) + خبر نكرة مرفوع

الشكل الثانى : ضمير (مبتدأ) + خبر نكرة منصوب / حال

(٧٦) الكتاب ١ / ١٥٥ ، ومعانى القرآن للفراء ٢ / ٤٣٢ .

(٧٧) الكتاب ١ / ١٥٥ .

(٧٨) العامل النحوى بين مؤيديه ومعارضيه ، د / خليل عمايرة ٩٢ ، فى نحو اللغة وتراكيبها ١٥٦ ، ١٥٧ .

يقول ابن مالك [٧٩]: أراد ونحن فى حال تصعلكنا مثلكم فى حال ملككم ، فحذف (مثلاً) وأقام المضاف إليه مقامه ، ومنه قراءة بعض السلف [٨٠] (والسموات مطويات بيمينه) الزمر ٣٩ / ٦٧ ، وقول ابن عباس رضى الله عنه : نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوارياً بمكة ، وقول النابغة الذبيانى :

رهط ابن كوز محقبى أدراعهم فيهم ورهط ربيعة بن جذار

ومن ذلك أيضاً قول الصحابة رضى الله عنهم «كانوا يصلون مع رسول الله ﷺ وهم عاقدى أزرهم » [٨١].

المبحث الثانى

أنماط جملة الحال المنفية

النمط الأول

– الجملة المنفية بـ « لما » : من أقل أنماط جملة الحال المنفية ورودا فيما رجعنا إليه من مصادر الشعر الجاهلى ، فقد وردت عند بشر بن أبى خازم فى أربعة أبيات ، ثلاثة منها فى قصيدة واحدة ، على النحو التالى :

– جملة فعل ماض ومفعوله وفاعله +اسم مجرور بالكاف معرف بالإضافة + فعل مضارع سبقته لما +واو العطف + مضارع اتصلت به السين .

---

(٧٩) شرح التسهيل ٢ / ٣٤٦ .

(٨٠) معانى القرآن للفراء ٢ / ٤٢٥ ، والقراءة بنصب مطويات على الحال لعيسى بن عمر فى مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ١٣١ .

(٨١) شواهد التوضيح ١١٠ .

يقول بشر[٨٢] :

تعناك نصب من أمية منصب   كذى الشوق لما يسله وسيذهب

– جملة فعل ماض + واو الحال +توال من لما + المضارع .

يقول بشر: [٨٣]

فعز على أن عجل المنايا   ولما ألق كعباً أو كلاباً

ولما ألق خيلاً من نمير   تضب لثاتها ترجو النهابا

ولما تلتبس خيلاً بخيل   فيطعنوا ويضطربوا اضطرابا

وشأن « لما » أنها نفى لقولهم : قد فعل ، وقيل إن أصلها « لم » زيدت عليها ما، وكأن « ما » عوض عن « قد »، ولذا تزيد على « لم » بالاستمرار فى النفى ، وتنفرد به دونها[٨٤] ولامتداد النفى بعد « لما » لم يجز اقترانها بحرف التعقيب ، ولا يكون منفيها إلا قريبا من الحال ، ومنفيها متوقع ثبوته[٨٥] .

ومثل هذه المعانى مما يلائم مراد الشاعر الذى أصابه من محبوبته نصب منصب لم يزل يجده عنده، وهو يتوقع أن يتغير الحال، إذ إن شأنه شأن من يلازمه الشوق الذى أفصح عن أنه «سيذهب » ، مستعملاً السين التى تختص بالمضارع وتخلصه للاستقبال ، وقيل إنها حرف تنفيس بمعنى حرف توسيع ، وذلك أنها نقلت المضارع من الزمن الضيق – وهو

---

(٨٢) ديوانه ٢٣ .

(٨٣) ديوانه ٣٧ .

(٨٤) رصف المبانى ، للمالقى ، ٣٥١ ، ومعانى الحروف ، للرمانى ١٣٢ ، والجنى الدانى، للمرادى ٥٩٣ .

(٨٥) مغنى اللبيب ١ / ٢٧٩ – ٢٨٠ (مختصرا) .

الحال – إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال ، ودخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده (٨٦) .

والنمط الآخر المتحقق فى الأبيات الثلاثة قريب فى دلالته مما ذكرنا ، إذ إن إقبال الموت سريعا مما يحول دون ما يتمنى، غير أنه يستبقى الأمل فى تحقيق مراداته، إذ لا ينفيها بـ «لم» التى تفيد الانقطاع فى الماضى ، ويلح على استعمال « لما » ليؤكد التطلع المتفائل إلى المستقبل ، ولعل ما يؤكد ذلك أنه يختم بعد التركيب المفيد للتوقع فى النمط الأول بعطف فعل مضارع مسبوق بالسين التى تجعل مدخولها خالصا للاستقبال المطلق كما قلنا .

وقد قال بشر بن أبى خازم هذه القصيدة وهو يجود بأنفاسه .. وقد عز عليه أن تعاجله منيته قبل أن يحقق ما كان ينشده من ملاقاة أعدائه .

وتقترن لما باللحظة الآنية التى أصيب فيها بشر من أعدائه فى مقتل..

والموت واقعة مطلقة تتجاوز الزمان والمكان وتجلياتهما فى إطار الظرف والحال ، ولهذا اقترن الحال بالإمكانات غير الممكنة .. فلا لقاء كعب أو كلاب ممكن التحقق ولا لقاء الخيل من نمير ، ولا التباس الخيل بالخيل ممكن ..

ومن هنا فإن هناك تدافعا بين دلالة « لما » على توقع الحدوث وبين استحالة الحدوث التى تقترن بواقعة الموت .

وقد ورد هذا النمط عند زهير بن أبى سلمى فى الشكل الآتى :

---

(٨٦) معنى اللبيب ١ / ١٣٧ – ١٣٩ ، ورصف المبانى ٤٥٩ – ٤٦٠ .

جملة ماضوية + منادى مضاف + لما + مضارع معطوف عليه مثله .

يقول زهير (٨٧):

أعن كل أخـــدان وإلف ولذة   سلوت، وما تسلو عن ابنة مدلج

وليدين حتى قال من يزع الصبا   أجدك لما تستحى أو تحرج

تأتى جملة الحال المنفية بلما فى آخر بيتين وقد سبقتها حالان أخريان، الأولى حال جملة منفية بما فى آخر البيت الأول، لو أننا قلنا إن الواو قبلها للحال، وهذا ما نرجحه على القول بأنها للعطف أو للاستئناف، إذ إن القول بحاليتها يجعلها وثيقة الصلة بالجملة الفعلية الماضوية قبلها «سلوت» التى ينتمى فيها الفعل إلى الماضى الذى يتعلق معناه بأمر شأنه الاتصال والامتداد فى الزمان، فتأتى جملة الحال المضارعية المنفية بما لتمحو من الذهن هذا الاستمرار المتوهم من الماضى « سلوت » وتثبت – بالنفى – عكسه .

ويؤكد الشاعر أمر تعلقه بمحبوبته مجددا فى مطلع البيت الآخر بالحال المفردة، بصيغة المثنى « وليدين »، وكأنما هو يجمع ما فرقه فى البيت الأول : ضمير المخاطب / الشاعر فى الفعل « تسلو» والمحبوبة «ابنة مدلج» ، ثم تأتى جملة الحال المنفية بلما، ولم يعمل فيها فعل مظهر، بل جملة النداء التى تحمل معنى الإنكار أو اللوم قبلها « أجدك » لتترك للمتلقى أمر تقدير الفعل المناسب .

---

(٨٧) ديوان زهير بن أبى سلمى ٣٢١.

وورد هذا النمط عند امرئ القيس فى الشكل الآتى :

ولما + جملة منسوخة بفعل الكينونة

يقول امرؤ القيس (٨٨) :

أتأكل أشباه المغازل ذمتى   ولما تكن فيها الرباب عما عما

تأتى جملة الحال المنفية ها هنا بعد جملة فيها نفى ضمنى مفهوم من الاستفهام الإنكارى فى مطلع البيت « أتأكل »، وبعد النفى الذى يوحى به لفظ « أشباه »، وهو الذى يعمق الإحساس بضعف أعدائه، الذين لم يبلغوا حتى منزلة الضعف والفتور عن الفعل، ثم تأتى جملة الحال المنفية بلما، لا لتفيد حدثا مستمرا إلى زمن التكلم نتوقع تغيره، بل ليثبت – مؤكدا بالنفى – أن جماعة السهام من أعدائه لم تبلغ حتى أن تكون جماعات شتى .

ويقول علباء بن أرقم (٨٩) :

لبست ثياب المقت إن آب سالما   ولما أفته، أو أجر إلى الرجم

فى هذا البيت تصرف فى أزمنة الصيغ الفعلية، يبدأ ينزع الزمن بتحويل الفعل الماضى فى مطلع البيت « لبست » إلى معنى الدعاء الذى لا يرتبط بزمن ، ثم التعبير بالفعل « آب » عن مطلق الزمان بعد أن سَبقته « إن » الشرطية، ويأتى الفعل فى جملة الحال المنفية « لما أفته » متراكبا مع الفعل الماضى الصيغة قبله « آب » ليكونا فاصلا بين فعلين دعائيين أولهما فى مطلع البيت والآخر فى ختامه، وقد ورد الأخير بصيغة المضارع مؤكدا حالة الانفكاك بين الصيغة الفعلية وزمنها .

---

(٨٨) الأصمعيات ١٠٢ ، وانظر اللسان « ريب ، عمم ، غزل » .

(٨٩) الأصمعيات ١٥٩ .

وتمثل جملة الحال المنفية أهم جمل البيت الأربع، بل محورها ، وتعكس علاقتها بالجملة السابقة « آب سالما » تناقضا بين السلامة والإهلاك، يمثل تعليلا لجملتى الدعاء اللتين افتتحت إحداهما البيت واختتمته الأخرى، فى سياق يشبه ما يسميه البلاغيون مراعاة النظير، ويسمى كذلك التناسب والتوفيق، وهو جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد، ومنهم من يسميه تشابه الأطراف، وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه فى المعنى(٩٠).

النمط الثانى

- الجملة المنفية بلم :

تختص لم بنفى المضارع وتخليص معناه للماضى، لأنها جواب من قال : فعل (٩١). فالخاصية العامة لها هى الدلالة على النفى وهو أثر فى المعنى الكلى، غير أنها لا تنفرد بها عن أدوات أخرى تشاركه إياها، والخاصية الثانية هى الأثر الإعرابى، أى أن صيغة الفعل المسبوقة بها تأخذ علامة الجزم (أصلية أو فرعية) وهو أثر لفظى، غير أن « لم » لا تنفرد بها كذلك عن أدوات أخرى جازمة، والخاصية الثالثة هى قلب زمن الصيغة ، إذ تنقل معه من الدلالة على الحال إلى الدلالة على الماضى نقلا تاما كما أشار النحاة، وهو أثر فى المعنى الجزئى، وتلك هى الخاصية التى تتميز بها من « لما » (٩٢) وقد فسر بعض النحاة هذه الخاصية بقوله : دخلت (لم) على لفظ المضارع ونقلت معناه إلى الماضى، وهو الأظهر،

---

(٩٠) متن التلخيص للخطيب القزوينى ، ٩٥ .

(٩١) المقتضب للمبرد ١ / ٤٦ ، شرح المفصل ٧ / ٤٠ ، المغنى ١ / ٣٠٧ .

(٩٢) انظر : ظواهر تركيبية فى مقابسات أبى حيان التوحيدى، دراسة فى العلاقة بين البنية والدلالة . د . سعيد حسن بحيرى ١٤٧ - ١٤٨ .

لأن الغالب فى الحروف تغيير المعانى، لا الألفاظ نفسها، فقالوا : قلب معناه إلى الماضى منفيا، ولذلك يصح اقتران الماضى به (٩٣). وقد زاد ابن يعيش فرقا بين « لم » و « ما » بقوله : فإن قيل فما الحاجة إلى « لم » فى النفى ، وهلا اكتفى بما من قولهم ما قام زيد ؟ قيل فيها زيادة فائدة ليست فى « ما » وذلك أن « ما » إذا نفت الماضى كان المراد ما قرب من الحال ولم تنف الماضى مطلقا فاعرف الفرق بينهما (٩٤). غير أن السياق الذى ترد فيه جملة النفى بلم حالا، يحدد الدلالة الزمنية التى يمكن التماسها ، هل هو الماضى المنقطع الذى انتهى بانتهاء الفعل الوارد فى الجملة الأساس ؟ أم أن السياق يجعل لم متضمنة معنى لما ؟

إن التعبير عن هذا الزمن المنقطع يبرز - بحكم السياق - فى الأبيات الآتية :

- إن الذى جمع المروءة والنـ ... جدة والبر والتقى جمعا
القائل الفاعل المرزأ لم ... يدرك بضعف ولم يمت طبعا
أودى فلا تنفع الإشاحة من ... أمر لمن قد يحاول البدعا (٩٥)

ها هنا تسلك جملتا الحال المنفيتان فى سياق يتعلق بالماضى المنتهى على وجه التأكيد، إذ برغم أنه يبدأ بجملة أسمية مؤكدة، ثم يراوغنا بطائفة متوالية من النعوت تبدأ بما فى جملة صلة الموصول، تعقبها أخرى بصيغة اسم الفاعل / الدائم، وتحكم نسجها جملتا الحال اللتان تتضمنان نفى ما يمكن أن ينال هذه النعوت من نقص ، وهو نفى يؤكد ما سبقه، بل

(٩٣) شرح المفصل ٨ / ١١٠ .
(٩٤) السابق .
(٩٥) ديوان بشر بن أبى خازم ١٠٥ .

يصفيه؛ برغم ذلك فإن الشاعر يفجؤنا بالمسند / النهاية « أودى » ، والسياق التركيبى فى الأبيات الثلاثة - كما هو واضح - يقتضى كون الجملتين المنفيتين بلم حالين، إذ لا يتم هذا السياق بهما، بل بالجملة الفعلية « أودى » فى مطلع البيت الثالث .

وهذه الإشارة إلى الماضى المنتهى نجد مثلها فى قول بشر أيضاً (٩٦) :

فكانوا كذات القدر لم تدر إذ علت أتنزلها مذمومة أم تذيبها ؟

ويقوم الماضى الناسخ «كان» بحسم القول فى زمن الجملة التى لا شك فى دلالتها على الماضى، لأن كان هنا لا تقيد فعلا، بل هى الفعل نفسه، والعامل فى جملة الحال المنفية ها هنا هو الفعل الماضى « علت » . ومن ذلك الدال على الانقطاع قول بشر (٩٧) :

بان الخليط - ولم يوفوا بما عهدوا وزودوك اشتياقا أية سلكوا

وقوله (٩٨) .

ألا بان الخليط ولم يزاورا وقلبك فى الظعائن مستعار

فالماضى المنقطع يطل برأسه من مطلع البيتين، ويلقى بظله على جملة الحال التى ترتبط به . ومثله قول طرفة (٩٩) :

أسلمنى قومى ولم يغضبوا لسوءة حلت بهم فادحه

فالدلالة الزمنية متبادلة بين الفعلين (أسلم) و (لم يغضب)، فهما

(٩٦) ديوان بشر ٣٠.

(٩٧) ديوانه ٥٠ .

(٩٨) ديوانه ٥٧ .

(٩٩) ديوان طرفة بن العبد ٨١ .

مترافقان، وتبدو المفارقة الزمنية فى الإتيان بجملتين منفيتين ترتبط أولاهما – المنفية بلم بالماضى الذى انقطع، بل بما لا يمكن تداركه، والأخرى – اسمية منفية بما – تقرر أمرا يستغرق الزمن، ما مضى منه وانقطع أو المستقبل الذى لم يولد، وهو أمر يبعث على الحسرة . يقول طرفة [١٠٠].

إلى السرو أرض ساقه نحوها الهوى ولم يدر أن الموت بالسرو غائله
فيالك من ذى حاجة حيل دونها وما كل ما يهوى امرؤ هو نائله

وفى مقابل التعبير بالمضارع المنفى بلم عن الماضى الذى انقطع يستعمل النمط نفسه (لم + المضارع) ، عندما يريد الشاعر أن يثبت لنفسه محمدة ، أو يقرر أمرا يريد أن يعبر عن استمراره . يقول عنترة[١٠١]:

إذ يتقون بى الأسنة لم أخم عنها ولو أنى تضايق مقدمى

فبرغم أن البيت يبدأ بإذ – وهى ظرف للزمان الماضى – فإن معنى الاتصال إلى الحاضر نلمحه فى مدخولها (المضارع يتقون) ، كما أنه ينفى الوخامة (الثقل)[١٠٢] عن نفسه نفيا هو حقيقة يبتغى إثباتها ، وتعبر الجملة المنفية بلم عن الحقيقة الدائمة وهى الموت الذى لا يفتأ يتكرر أمام ناظرينا ، لا ينجو منه عظيم من البشر أو عظيم من الرواسى .

يقول امرؤ القيس [١٠٣].

---

(١٠٠) ديوان طرفة ٢١١ .

(١٠١) ديوان عنترة بن شداد ١٨١ .

(١٠٢) القاموس المحيط (وخم) .

(١٠٣) ديوان امرئ القيس ٦٥ .

أبعد الحارث الملك بن عمرو وبعد الخير حجر ذى القباب
أرجى من صروف الدهر لينا ولم تغفل عن الصم الهضاب
وأعلم أننى عما قريب سأنشب فى شبا ظفر وناب

ويمثل الشكل (ولم + المضارع) هنا فاصلا ذا مغزى بين الجملة الفعلية المثبتة قبله (أرجى) والمثبتة بعده (أعلم) ليؤكد ضعف الرجاء الذى يفصح عنه الاستفهام الإنكارى بالهمزة فى مطلع البيت الأول ، وكأن جملة الحال المنفية ها هنا تذكرنا بالاستفهام السابق ، وتجعلنا نقرأ البيت الثانى بنبر يوافق الشك فى الفعل ، ويأتى الفعل (أعلم) فى مطلع البيت الثالث مؤكداً الاستسلام للقدر المحتوم، فالعلم بوقوعه علم يقين، ولذا فإن نبر الفعل (أعلم) - لابد - يختلف ، وقد ورد بصيغة الخبر - فيما نحس - عن نبر الفعل (أرجى) ، والواو قبله للاستئناف ، ولا تصلح للعطف ، لاختلاف السبيلين .

ويرى بعض الباحثين ما نراه من تضمن الاستفهام معنى الاستبعاد والإنكار فى مطلع هذه الأبيات ، فالشاعر ينكر أن يرجى من صروف الدهر لينا ، ويتصل هذا الإنكار بالجملتين الظرفيتين الواقعتين حالا : أبعد الحارث ، وبعد الخير .. كم أنه يتصل بالجملتين الفعليتين الواقعتين حالا ، فيما يرى ، وإن كنا نرى الجملة الثانية منهما (وأعلم) جملة استئناف ، كما ذكرنا . وكان هذا الاستفهام الإنكارى ، فيما يذهب ، تجسيدا للتناقض بين ما يعلم وما يفعل وما يريد، مما يكشف عن حيرة وجودية اعترت الشاعر الجاهلى حين افتقد التفسير الدينى، ولا شك أن الاستفهام يصل إلى مستوى الموقف الوجودى الطبيعى من الوجود ، وهو يمثل حوارا وجدلاً

بين الإنسان وما يغشاه من عوامل سلب وهدم وما يتمخض عن ذلك من خوف وحيرة [١٠٤] ويتكرر الشكل : (و) + لم + المضارع ، للتعبير عن الفعل المستمر فى الزمن لا الماضى المنقطع ، عند طرفة وامرئ القيس .

يقول امرؤ القيس[١٠٥] :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمال

يسيطر الشعور بالرغبة فى استبقاء مواطن العشق لدى الشاعر – مواضع وأسماء ، وتأتى جملة الحال المنفية بعد سرد عدد من أسماء تلك المواطن ، لتؤكد بالفعل المنفى بلم أن تلك المعالم التى لم تزل حية ماثلة فى ذاكرته ، مازالت رسومها كذلك ماثلة للعيان بفعل الرياح التى تختلف مهابها ، (وطبيعة التركيب « لم يعف » كانت معوانا على تأكيد هذا المضمون ، حيث فرغ الفعل من زمنه ، وخلص للماضى بإدخال « لم » عليه ليكون مقابلا لزمن الحاضر فى « نسجتها » الذى انسلخ من مضيه ليعبر فى موضعه الذى غرس فيه عن تجدد حركة الرياح واستمراريتها)[١٠٦] .

يقول طرفة [١٠٧]:

كلما نام خلى باله   بت للهم نجيا لم أنم

---

(١٠٤) أساليب الاستفهام فى الشعر الجاهلى . د / حسنى عبد الجليل يوسف ٧٣ .

(١٠٥) شرح المعلقات السبع ، للزوزنى ٤

(١٠٦) قراءة ثانية فى شعر امرئ القيس ، د . محمد عبد المطلب ١٩

(١٠٧) ديوان طرفة ٢٣٢ .

ويقول امرؤ القيس [١٠٨] :

تطـاول ليـلك بالإثمـد　　　　ونـام الخلى ولـم ترقـد

وبين البـيـتين تلاق عـجـيب فى الصـورة ، والتـعـبـيـر عن مـعنى الاستمرار ، الذى نجده فى مطلع البيتين (كلما – تطاول) ، فالظرف كلما يرتبط بدلالة التكرار ، ولعل (تطاول) بما دخله من زيادة عن الثـلاثى طال ، بالتاء وألف المد ، يتـرك فى النفس ذلك الإحساس بالامـتداد فى الزمن ، ويمثل الشكل : (و) + لم + المضارع ، مفارقة وتقابلا يصنعهما التناقض بين الخلى الذى يتكرر نومه (نام خلى) ، أو برغم تطاول الليل (نام الخلى) على حين يتكرر عند الشاعر ملازمة الأرق (لم أنم ؛ لم ترقد) ، وتمثل المقابلة بين النفى والإثبات ملمحا بلاغيا أساسا هنا ، يعمق المعنى المراد المذكور ، وصور المطابقة والمقابلة مما يشيع فى الشعر الجاهلى،وهى تشكيل لغوى يمثل لتلك الثنائية التى تنتظم موقف الإنسان من المجتمع والوجود [١٠٩] ؛ ويبقى أن فى البيت ما يسميه البلاغيون التجريد ، وهو ثنائية يصنعها الشاعر إذ ينتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى تطاول الليل عليه ، ويخاطبه بذلك [١١٠] ؛ والفرق الدلالى مقصود فى بيت طرفة بين الفعلين نام ، وبات ، أى أن الخلى يستمتع بليله نائماً ، أما صاحبنا فإنه بات / قضى ليله نجياً للهم .

ويعطى الشكل : (و) + لم + المضارع ، شعورا بأبعد مما تفيده «لما» ، مما يدل – أو يراد له أن يدل على فعل ممتد فى الزمان ، أى

---

(١٠٨) ديوان امرئ القيس ١٨٥ .

(١٠٩) البديع بين الاتباع والابتداع ، د . حسنى عبد الجليل يوسف ١٣٩ .

(١١٠) شرك الآمل لصيد شوارد المسائل ، على صقر ، ٧٢ .

يتجاوز الماضى ، بل الحال ، فى سياقات منها قول عنترة [111].

أعياك رسم الدار لم يتكلم   حتى تكلم كالأصم الأعجم

يفيد الفعل المضارع المنفى بلم معنى المضى والانقطاع ، وبخاصة أنه مسبوق بالماضى (أعياك) ؛ هذا هو ظاهر الدلالة ، أما حقيقتها فإنها تتصل بزمن مستمر ، فهذا الفعل الماضى لم ينته أثره لأنه يعبر عن أمر شأنه الاستمرار ، إذ إن صاحبنا يلازمه الفعل ، وهو يراوغنا فى الشطر الثانى بقوله (حتى تكلم) فنظن لبرهة - لاتلبث أن تنقضى - أن الفعل (أعياك) ماض منته ، لنعلم أن ذلك محض سراب ، لأن رسم الدار تكلم (كالأصم الأعجم) ، أى أنه فى حكم الصامت ، وقد أغلق صاحبنا أى احتمال متوهم للكلام بالصفتين (الأصم الأعجم) وأنى لمثل ذلك أن يتكلم، وتظل جملة الحال المنفية (لم يتكلم) هى الجملة المحور فى البيت، وما قبلها وما بعدها تحقق لها وتأكيد .

ويقول بشر بن أبى خازم [112]:

تؤمل أن أؤوب لها بنهب   ولم تعلم بأن الدهر صابا

تعكس جملة الحال المنفية « ولم تعلم » شعور الحسرة فى التناقض بين ما تؤمله المحبوبة / النفس من الإياب بغنيمة / إدراك الأمل ، وما فعله الدهر الذى يمثل خصيما يتكرر نيله من الشاعر / الإنسان الجاهلى ، ولا يستطيع هذا الأخير ردا ، ولا يملك لغارات الدهر عليه من دافع ، وفعل الدهر - كما يصفه البيت - وقع ولا مجال لمراجعة .

---

(١١١) ديوان عنترة ١٤٧ .

(١١٢) ديوان بشر بن أبى خازم ٣٧ .

ويقول مالك بن حريم [113] :

أهيم بها لم أقض منها لبانة وكنت بها فى سالف الدهر موزعا

لا يفصل ها هنا فاصل بين جملة الحال المنفية « لم أقض » وجملة الأساس أهيم ، وكأن فى هذه الموالاة نفياً لما يمكن أن يرد فى الذهن من لوازم الفعل « أهيم » من معان تتعلق بالمحبة المتبادلة أو إدراك الأمل ، فتصير أقرب إلى معنى البدل من الجملة السابقة ، ويفيد التنكير فى المفعول به « لبانة » عموم النفى بعد « لم » ، وتقف جملة الحال المنفية بين جملتى الإثبات : أهيم، كنت اللتين تستغرقان الزمن حاضره وماضيه، والشاعر يبدأ بيته وينهيه بما يفيد سيطرة التعلق بالمحبوبة على نفسه «أهيم – موزع » .

وفى الشكل : (و) + مبتدأ + لم + المضارع ، يعبر عنترة عن أمر يبدو كذلك متعلقاً بالماضى ، غير أن سياق الفخر الذى يرد فيه يجعله دأبا للشاعر وشأنا ذا استمرار . يقول عنترة [114] :

ولقد لقيت الموت يوم لقيته متسربلاً والسيف لم يتسربل

جملة الحال هنا اسمية ، المسند إليه فيها اسم والمسند جملة فعلها مضارع مسبوق بلم ، ويفيد التركيب نفى الماضى ، غير أن السياق الذى لابد لنا من الاحتكام إليه واستصحابه يفيد أمرا آخر ، فلكى نفهم الجملة – أية جملة علينا أن نعرف معارف أخرى تتعدى نطاق تحليل هذه الجملة إلى نطاق أوسع يشمل المستويات اللغوية ، وينبغى أن نعرف أيضاً الإشارة

---

(١١٣) الأصمعيات ٦٣ .

(١١٤) ديوان عنترة ١٢٢ .

أو الإيماء والمعنى الخاص بالمورفيمات أو بالكلمات التى تكونه ، فحينما نكتب معنى كلمة أو نصفه من الضرورى أن نتكئ على الإطار التركيبى ... ونلاحظ أن عددا كبيرا من الكلمات أو المورفيمات الخاصة بقطاع نحوى واحد، توصف دلاليا فى ألفاظ متشابهة، وهذا يعنى أن فاعلية التركيب التى تقدمها اللغة تستعمل بطريقة دلالية (١١٥)، وليس من شأن الشاعر الذى يتغنى بفروسيته وبأن لباس الحرب لا يفارقه، أن يصف سيفه بأنه مجرد من غمده (لم يتسربل) فى وقت محدود أغمد بعده، بل المنطقى أن يكون ذلك أمرا دائما، تصير معه جملة الحال كأنها استدراك لوصف الشاعر نفسه باتخاذه لباس الحرب (متسربلا) غير أن سيفه بلسان الحال لم / لا يتسربل .

ويقول أوس بن حجر(١١٦):

تركت الخبيث لم أشارك ولم ادق ولكن أعف الله مالى ومطعمى

تفيد جملتا الحال المنفية المتواليتان « لم أشارك – لم أدق » استغراق الدلالة التى تلزم عن الفعل « تركت »؛ بحيث يصير كل من الفعلين فى معنى البدل منه أو هما تفصيل له، يبدأ بنفى المشاركة فى مقارفته، دون فاصل « تركت .. لم أشارك، ويثنى بنفى المقاربة » لم أدق (١١٧) . وقد ترك الإسراع بتوكيد الفعل الذى يتضمن النفى، بجملة الحال أثره فى البناء العروضى للتفعيلة المرافقة، فنالها زحاف القبض لتصير « مفاعلن »،

(١١٥) See : N. Chomsky, Syntactic Structures P. ١٠٥ نقلا عن بنية القصيدة فى شعر أبى تمام ، د . يسرية المصرى ٣٧٦ .

(١١٦) ديوان أوس بن حجر ١٢٢ .

(١١٧) اللسان « ودق » .

المقبوضتين بحكم القاعدة العروضية [118]، وأما التفعيلة الأولى فى البيت فإنها صحيحة، وكذلك تفعيلات الحشو الثلاث فى الشطر الثانى، وكأن الشاعر لما اطمأن إلى نفى الخبيث عن نفسه كل النفى، مسرعا بذلك فى الشطر الأول، عاد ليؤكده فى بطء وتؤدة احتفظت لتفعيلات الشطر الثانى بصحتها؛ وليس عجباً أن تتنوع التشكيلات العروضية فى إطار البحر الواحد ذى الوزن الواحد الذى (يشكل أساساً عاما ومجردا، يصلح معه الوزن لتجارب متعددة، ولكنه يتشكل داخل كل تجربة تشكلاً منفردا يميز الوزن نفسه فى قصيدة عن غيرها، ويميز مقطعاً من مقاطع القصيدة عن بقية المقاطع فى آن)[119] .

ويبقى أن البناء الصرفى لكل من الفعلين « أشارك – أدق » يناسب دلالة فعله بإزاء الفعل الآخر، وجاء ترتيبهما منفيين موافقا لحركة النفس فى إبعاد كبائر المعايب ثم صغائرها .

أما استعمال « لم » فى معنى « لما » وما يرتبط به من التوقع أى النفى الذى يتوقع أن يعقبه إثبات فإنه يتحقق من خلال الشكل :

و + لم + المضارع .

يقول عنترة[120] :

ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابنى ضمضم

ويمثل الفعل الدال على انتهاء الحياة ، فاصلا حاسما يقطع كل

---

(118) الكافى فى علمى العروض والقوافى ، 13 .

(119) مفهوم الشعر، د . جابر عصفور 412 ، 413 .

(120) ديوان عنترة 186 ، وشرح المعلقات السبع للزوزنى 123 .

احتمال للماضى المنتهى ، ويفتح الباب للتوقع ، وبخاصة أنه توقع لأمر قريب من نفس الشاعر ، هو الحرب التى هو فارسها .

ويختلف السياق ، وإن اتفق الشكل ، كما يختلف الشاغل الذى يلح على الشاعر، فيترك فى النفس انطباعا مختلفا، وذلك فى قول طرفة(١٢١) :

خليلى، لا والله، ما القلب سالم وإن ظهرت منى شمائل صاح

وإلا فما بالى، ولم أشهد الوغى أبيت كأنى مثقل بجراح

فعلى حين يخشى عنترة أن يدركه الموت ولم / لما تشتعل الحرب، يعبر طرفة عن شقائه وشعوره بأنه مثقل بجراح ، وهو لم / لما يشهد الوغى، التى لا تعقب إلا ما يذكره لها من جرح، وكأنه يرى الحرب هاجسه المخيف الذى لا يفتأ يؤرقه، فيبادر إلى تذكره كلما عرض له ما يكدر صفوه، فكيف إذا خاض غمارها ؟ والأمر مختلف كما أشرنا عند عنترة الذى يفيض فى الحديث عن الحرب التى « لا تشتكى غمراتها الأبطال »(١٢٢) كما يقول عنترة فى موضع آخر من معلقته، واختلاف سياق جملة الحال المنفية عند الشاعرين، مع اتحاد الشكل ، هو صورة صادقة لاختلاف « سياق » حياتهما (١٢٣) .

ويقول مالك بن حريم(١٢٤) :

جزعت ولم تجزع من الشيب مجزعا وقد فات ربعى الشباب فودعا

(١٢١) ديوان طرفة .

(١٢٢) ديوان عنترة ١٨٦ .

(١٢٣) انظر : شرح المعلقات للزوزنى ، حاشية ص ٣٣ وما بعدها .

(١٢٤) الأصمعيات ٦٢، والبيت فى اللسان « ربع » عن ثعلب، بلفظ « فلم » بدل « ولم » .

تأتى جملة الحال المنفية ها هنا بين جملة الأساس « جزعت »، وجملة حال أخرى « وقد فات ربعى الشباب »، فتقوم بمعنى الاستدراك على الجملة الأولى، وبين الجملتين طباق بالسلب كما يقول البلاغيون(١٢٥)، يحمل فى ظاهره تناقضا فى إثبات الفعل « جزعت » الذى لا يلبث أن يتكرر منفيا « ولم تجزع ، أو فلم تجزع » فى الرواية الأخرى، كما يبرز الطباق بالسلب بين الشيب وربعى الشباب » .

ويقول دريد بن الصمة (١٢٦):

جلبنا الخيل من تثليث حتى ... أصبنا أهل صارات فرقد

ولم نجبن ولم ننكل ولكن ... فجعناهم بكل أشم جعد

تقوم جملتا الحال المنفية فى أول البيت الثانى بربطه بالبيت الذى سبقه، والجملتان بسبيل تفصيل القول فى الغارة التى هى موضع الحديث، وكأن كل واحدة منهما قيد لكل جملة من جملتى البيت السابق « جلبنا – أصبنا »، تعقبهما الجملة المسبوقة بحرف الاستدراك « ولكن فجعناهم » فتصير جملتا الحال مع الجملة المستدركة قيودا تزيد على المقيد فى العدد وتعمق الدلالة المرادة فيه .

النمط الثالث

جملة الحال المنفية بـ « ما »

الشكل : ناسخ واسمه + ماض مسبوق بظرف + مضارع منفى بما + خبر الناسخ .

---

(١٢٥) انظر : متن التلخيص فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ٩٤ .

(١٢٦) ديوان دريد بن الصمة ١٣ .

يقول عنترة[١٢٧] :

كأنها يوم صدت ما تكلمنى ظبى بعسفان ساجى الطرف مطروف

تتخذ جملة الحال هنا موقعها بين الناسخ واسمه قبلها، وخبره بعدها، وهو موقع يلعب دوره الملموس فى تأكيد تعلق الشاعر بمحبوبته، فالقارئ/ السامع عندما تفاجئه جملة الحال بين الركنين وهى تصف صدود المحبوبة وإعراضها عن كلام صاحبها، يظن أن المقام مقام لوم أو عتب، غير أنه ما يلبث أن يجد بقية كلام مزيد غزل وفيض وله بتلك الصادة المعرضة، فتوسط جملة الحال ها هنا أبعد وأشد فى إحداث المفاجأة التى تتمثل فى تشبيه المحبوبة – صادة معرضة – بما يتوقع المرء أنه وصف لها راضية مقبلة .

الشكل : فعل ماض وفاعله + ما + المضارع

يقول الأعشى [١٢٨]:

صدت هريرة عنا ما تكلمنا جهلا بأم خليد حبل من تصل

يتفق هذا البيت فى الظاهر مع بيت عنترة فى الحديث عن الحبيبة التى صدت فما تكلم صاحبها، كما تتفق جملتا الحال فى البيتين شكلا، ومع ذلك فإن حديث الصد عند عنترة يقع فى سياق يؤكد تعلق الشاعر بحبيبته، ويرفد هذا التعلق، أما عند الأعشى فإن موقع الجملة الأساس التى تتعلق بها جملة الحال، هو فى صدر البيت ، فهو المحور الذى تدور حوله بقية التراكيب الواردة ، وليس أمرا عارضا يؤكد – بالمخالفة كما فى بيت

(١٢٧) ديوان عنترة ٩٩ .

(١٢٨) ديوان الأعشى ١٠٥ .

عنترة – شيئا غير متوقع ، بل إن الشاعر يسترسل فى الشطر الثانى فى الحديث عن توابع هذا الإعراض من المحبوبة، ومنها أن منشأ ذلك الصد إنما هو جهلها بمن يستحق وصالها ؛ وبالجملة فإنه على حين اتخذ عنترة من مسألة الصد وسيلة لتأكيد ولعه بمحبوبته، كانت هذه المسألة هى الشاغل الأساس للأعشى .

أما تكرار الألفاظ والتراكيب كالذى نلاحظه فى بيتى عنترة والأعشى، فإنه يكشف – كما يلاحظ بعض الدارسين – عن قابلية النصوص للتداخل والتفاعل، كما يكشف عن تأثر الشاعر اللاحق بمقولات سابقيه من حيث المعانى ومن حيث التراكيب ، .. ويكشف تكرر تلك التراكيب عن قيمتها من حيث المحتوى والتشكيل ، وعن اهتمام الشعراء بالمحاور الفكرية واللغوية عند غيرهم من الشعراء (١٢٩) .

الشكل : ناسخ واسمه + الواو + مضارع منفى بما + خبر جملة فعلية

تقول الخنساء (١٣٠) :

إن الزمان وما يفنى له عجب أبقى لنا ذنبا واستؤصل الرأس

تتوسط جملة الحال ها هنا، كما فى بيت عنترة، بين الاسم المنسوخ بحرف التوكيد، وجملة خبره ، وجملة الحال فى هذا الموقع تهيئ القارئ / السامع لخبر عجيب غير مألوف ، وأى شئ أعجب من ذهاب الرأس / البطل / الجواد / الفارس ، وبقاء الذنب / العاطل عن كل ذلك ، غير أن جملة الخبر بما تنطوى عليه من « عجب » تظل متضمنة فى جملة الحال

(١٢٩) البديع بين الاتباع والابتداع، دراسة نظرية وتطبيقية فى شعر الخنساء ، د / حسنى عبد الجليل يوسف ١٩٣ – ١٩٤ .

(١٣٠) أنيس الجلساء ، شرح ديوان الخنساء ، للأب لويس شيخو ١٥٥ .

التى أنبأت مبكرا بأن ما يأتى به الزمان من عجب ما يفنى ، وأن ما فى الخبر من استئصال للرأس واستبقاء للذنب ليس إلا بعض هذا العجب ، ومعنى ذلك أن الموقعية التى اتخذتها جملة الحال المنفية بين ركنى الإسناد فى الجملة المنسوخة جعلتها طرفاً فى منافسة غرضها أذن / عقل المتلقى، وطرفها الآخر المسند / الخبر ، بل إن المعنى الشامل الذى احتوته جملة الحال، تفصل بعضه جملة الخبر والجملة التى عطفت عليها، بما يبرز فيهما من ثنائية تتضمن نوعاً من المفارقة : (أبقى ذنباً - استؤصل الرأس)[١٣١] .

الشكل : جملة فعلية مضارعية + جملة فعلية مضارعية + مضارع منفى بما .

تقول الخنساء [١٣٢] :

أرى الدهر يرمى ما تطيش سهامه وليس لمن قد غاله الدهر مرجع

جملة الحال المنفية ها هنا تأتى - وفعلها مضارع - فى سياق توال لجمل خبرية تقريرية تستعمل المضارع كذلك، مما ينبئ عن حقيقة ماثلة للعيان متجددة ممتدة إلى المستقبل ، والمتلقى يصير بترديد البيت شريكا للشاعرة فى المشاهدة (أرى الدهر) بصيغة المتكلم، وهو يرمى / سوف يظل يرمى، ما تطيش / لا تطيش / لن تطيش سهامه، فكل ذلك من قبيل الحقيقة المتكررة التى لا تحتاج إلى تأكيد ، ولا يحدها زمن ، والفعل الوحيد فى البيت الذى جاء بصيغة الماضى المنتهى المؤكد (قد غاله) ،

---

(١٣١) انظر : البديع بين الاتباع والابتداع ١٣٧ .

(١٣٢) ديوان الخنساء ١٦٢ .

وكل البشر فى حكم من وقع به هذا الفعل . وبرغم أن « ليس » الوارد فى مطلع الشطر الثانى، مخصوص (مع ما) بنفى الحال ، فإن الصحيح فى مذهب ابن مالك أنهما ينفيان الحال والماضى والمستقبل (١٣٣) ، وقد حكى سيبويه : ليس خلق الله مثله (١٣٤)، وينبغى - كما يقول المرادى - أن يحمل كلام الأكثرين على « ما » إذا لم تقترن به قرينة تخصه بأحد الأزمنة ، فيحمل إذ ذاك على الحال (١٣٥) ..

هى متوالية - إذاً - من الجمل الخبرية التقريرية التى تستغرق الزمان، وتنبئ عن شعور بالاستسلام للموت الذى « لا تطيش سهامه » ، فهى الحقيقة التى لا مهرب منها ، ولذا فإنه لا رجوع لمن قصده الدهر بسهامه فغاله (١٣٦) .

ويقول امرؤ القيس (١٣٧) :

ظللت ردائى فوق رأسى قاعداً ... أعد الحصى ما تنقضى عبراتى

يرد هذا البيت فى سياق وقوف على الطلل، يعد امرؤ القيس من السابقين إليه ومبتدعيه (١٣٨) ، وهو سنة سار عليها الجاهليون ، واختلفت فى تفسيرها الأقوال، ومنها القول بأنها تمثل توحدا مع الطلل، والقول بأنها تعبر عن رفض له (١٣٩) ؛ وعلى كل حال فالبيت يعكس حالة من السكون

---

(١٣٣) الجنى الدانى فى حروف المعانى ، ٤٩٩ .

(١٣٤) الكتاب ١ / ٧٠ .

(١٣٥) الجنى الدانى ٤٩٩ .

(١٣٦) البديع بين الاتباع والابتداع ١٩٠ .

(١٣٧) امرؤ القيس حياته وشعره ، ص ٣٦ .

(١٣٨) إعجاز القرآن للباقلانى ١٥٨ .

(١٣٩) قراءة ثانية فى شعر امرئ القيس ١٦ ، ١٧ .

تبرزها طائفة من الأحوال « قاعدا، أعد الحصى، ما تنقضى عبراتى » ، أو هى كما يقول د . محمد عبد المطلب حركة سالبة، حيث انشغل الشاعر عن الطل، أو تشاغل عنه إلى اهتمامات أخرى لانهائية فى مضمونها(١٤٠)، ويكاد النفى الذى يسبق جملة الحال الأخيرة « ما تنقضى عبراتى » ينطبق فعلها - بما يتعلق به من معنى الاستمرار - على ما سبقه ، وكأنه يريد أن يقول : مع استمرار بقاء ردائى فوق رأسى ، ما ينقضى قعودى وعدى الحصى ، وكلها على أى حال تعبير عن موقف سلبى مرده إلى العجز حيال أفعال الدهر وصروفه .

النمط الرابع

الجملة المنفية بلا

الشكل : جملة فعلية + حال مفرد مضاف + لا واسم مرفوع + لا واسم مرفوع .

يقول زهير(١٤١) :

إذ فزعوا طاروا إلى مستغيثهم   طوال الرماح لاقصار ولا عزل

يذكرنا هذا البيت ما أوردناه من قول العرب : خلق الله الزرافة يديها أطوال من رجليها، وهو الذى سمينا العلاقة بين مكوناته بالإسناد الحالى، والحال المفرد (طوال الرماح) يشبه الحال فى قولهم (أطول) لأن الطول وصف ثابت غير منتقل خلافا للأصل فى الحال .

ويمكن أن يروى البيت بالبناء على الفتح مع القافية الموصولة

---

(١٤٠) السابق ٢٣ .

(١٤١) ديوان زهير بن أبى سلمى ١٠٢ .

بالألف « لا قصار ولا عزلاً » فتكون من باب الحال الجملة، غير أن هذا الاحتمال النحوى، مع صحته نظريا ، لا يخدم الدلالة المتوخاة ، إذ ليس الغرض نفى جنس القصار ، بل نفى وصفهم بذلك ، ثم إن بناء « قصار » على الفتح وترك تنوينه يحدث بطئا يتناقض والسرعة التى يبشر بها الفعل « طاروا » ، الذى جاء عقيب الفعل الدال على الاستغاثة « فزعوا » ، والوصف مستويان ، وصف للرماح ووصف للقوم أو الجماعة بأنهم طوال الرماح، كناية عن طولهم وضخامة أجسامهم وقوتهم .

أما جملتا (لا قصار - لا عزل) ففيهما عودة إلى الحكم النحوى الأصلى الذى يقتضى رفع ركنى الإسناد فى الجملة الاسمية مع الإشارة إلى الموقع الإعرابى لهما . ونلاحظ هنا أن المسند إليه فى الجملتين محذوف، ولو أن رواية البيت كانت بالنصب لكنا بصدد حالين مفردين ، غير أن رواية الرفع تحدث المغايرة المفاجئة ، فالحال هنا وصف للفاعل (واو الجماعة فى الفعل « طاروا ») ، على حين أن الوصف فى الحال المفردة (طوال الرماح) هو للرماح ، ونفى القصر ليس عن الرماح، فكان لابد من المخالفة بين النصب والرفع، كما أن الرفع جعل الحال جملة اسمية حذف فيها المبتدأ وعطف عليها جملة مثلها ، ويشبه الاختلاف هنا ما يعرف بالنعت المقطوع لأغراض المدح أو الذم أو الترحم، الذى تكسر فيه رتابة التكرار فى الحركة الإعرابية ، فيخرج النعت عن أن يكون تابعا ليصير جزءا من جملة مستقلة، مما يشير إلى أهمية له أعظم ، وقد تكرر حديث سيبويه عن ذلك ، واستشهد له بأبيات منها قول الخرنق [١٤٢] :

(١٤٢) كتاب سيبويه ٢ / ٦٤ .

لا يبعدن قومى الذين هم سم العـــداة وآفـــة الجـــزر
النازلين بكل مـعـتـرك والطيـبـون مـعـاقـد الأزر

ويقول الأعشى (١٤٣):

نحن الفوارس يوم العين صاحية جنبى فطيمة لا ميل ولا عزل

يشبه هذا التركيب ما سبقه إلا فى أن الجملة الأساس التى تسبقه جملة اسمية تبدأ بضمير ، بعده معرفة تصلح أن تكون خبرا ، ويكون ما بعد ذلك قيداً للجملة (الظرف : يوم العين – الحال المفرد : صاحبة – النائب عن الظرف : جنبى فطيمة) ثم التركيب : لا + اسم مرفوع (يتكرر) ، الذى يصلح أن يكون جملتى حال منفيتين ، حذف المسند إليه من كل منهما، ويمكن جعل المرفوع الأول فى التركيب (لا ميل) خبرا للمبتدأ (نحن) لو أعربنا الاسم المعرفة بعد المبتدأ منصوبا على الاختصاص . والواضح – فيما نشعر – أن الإخبار بقوله (لا ميل و لا عزل) – مع جوازه نحويا – يشبه نفى تهمة أو نقيصة ، مما يوهم بالشك فى أن المسند إليه الأساس (نحن)، برئ من مثل ذلك ، على حين أن القول بالحال آكد فى إثبات الخبر (الفوارس) واطراح ما ينقض شيئا من لوازمه .

ويقول دريد بن الصمة (١٤٤):

إذا لقيت بنى حرب وإخوتهم لا يأكلون عطين الجلد والأهب
لا ينكلون ولا تشوى رماحهم من الكماة ذوى الأبدان والجيب

---

(١٤٣) ديوان الأعشى ١١٣ .

(١٤٤(ديوان دريد بن الصمة ٣١ .

فاقعد بطينا مع الأقوام ما قعدوا   وإن قعدت فلا تبعد من النصب

تتكرر فى هذا الشكل جملة الحال المنفية : لا + المضارع، وهى - وإن بدت فاصلا بين فعل الشرط وجوابه - فإن ورودها لازم على مستوى التركيب والدلالة معا، إذ إنها حال بعد الفعل « لقى » وفاعله ومفعوله ، ولو لم تكن جمل الحال الفاصلة المتوالية تلك ، لاكتفى الفعل « لقيت » بالمفعول، ولصار دالا على لقاء عام مطلق غير مقيد لهذا المفعول، ولما صار لجواب الشرط « فاقعد » من دلالة كتلك التى له مصحوبا بجمل الأحوال المنفية المتوالية .

ويقول زهير بن أبى سلمى (١٤٥) :

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع   بعرض أبيه فى المعاشر ينفق

تمثل جملة الحال المنفية ها هنا أهمية قصوى من ناحيتى التركيب والدلالة ، إذ إنه لا غنى عنها بعد الجملة الفعلية قبلها، ولا يمكن - لو أسقطنا جملة الحال - أن يكون الكلام متصلا من الناحية التركيبية ، ولا مفيدا من ناحية الدلالة، إذ تتصل جملة الحال المنفية هذه بما قبلها وكأنها تسد مسد خبر « أبيت » ، وتمهد لجملة الشرط التى تأتى بعدها، وهى بهذه المثابة تربط آخر الكلام بأوله .

ويقول الأعشى(١٤٦) :

هى الهم لا تدنو ولا يستطيعها   من العيس إلا الناجيات الرواسم

تسيطر جملتا الحال المنفية « لا تدنو ، لا يستطيعها » على البيت بعد

(١٤٥) ديوان زهير ٢٥٩ .

(١٤٦) ديوان الأعشى ١٢٧ .

الجملة الاسمية الخبرية « هى الهم »، ويبقى ما بعد جملة الحال المنفية الثانية مرتبطا بها، إذ تقوم هذه الجملة بوظيفة توكيدية – مع كونها للحال، يرفدها تقدم شبه الجملة « من العيس » ليزيدها تأكيدا ، إذ تشبه «من» هنا تلك التى تستعمل زائدة لتفيد استغراق النفى، ثم يأتى الاستثناء بإلا بعد النفى ، وهو ما يسمى فى علم البلاغة « القصر » (١٤٧) .

ويقول الأعشى(١٤٨) :

قالوا البقية والهندى يحصدهم ولا بقية إلا النار فانكشفوا

برغم أن الواو فى مطلع الشطر الثانى تترجح بين الاستئناف والحال، فإن معنى الحالية هو الراجح فيما نشعر، إذ إنه يجعل الحديث متصلا ، فالأمل الذى تعلق به الأعداء فى أن ينجو بعضهم يأخذ فى التبدد بجملة الحال « والهندى يحصدهم » ، ثم لا يلبث أن يتلاشى بالجملة المنفية « ولا بقية إلا النار » التى تتضمن نقضا بطباق السلب للفظ « بقية » فى صدر البيت، وإذا كان الاستثناء ها هنا يحمل بصيص أمل فى النجاة، فإن ما بعد الاستثناء يقضى – مرة أخرى – على ما يتعلق به الأعداء من أمل ، ولذا يأتى الختام المنطقى المتوقع للبيت « فانكشفوا » .

ويقول خفاف بن ندبة (١٤٩) :

أدع الدناءة لا ألابس أهلها ولدى من كيس الزمان نصيب

تأتى جملة الحال المنفية ها هنا بعقب جملة فعلية مضارعية ، يشير

---

(١٤٧) متن التلخيص فى علوم البلاغة ، للخطيب القزوينى ٣٧ ، ٣٨ .

(١٤٨) ديوان الأعشى ٣٦١ .

(١٤٩) الأصمعيات ٢٩ .

فعلها إلى حقيقة يريد الشاعر إثباتها ، والفعل نفسه « أدع » يتضمن النفى ، ويجئ النفى فى جملة الحال بعد النفى الضمنى المفهوم من الفعل المذكور، والفعلان مسندان إلى الفاعل المتكلم، الذى يطل علينا مرة ثالثة فى الشطر الثانى بصورة ياء المتكلم «لدى»، على حين أن « الدناءة » التى يبرأ منها لا يعود عليها إلا ضمير لم يتصل بالفعل فيكون مفعوله مباشرة، بل فصل بمفعول بينهما « أهلها »، وكأنما هو – الشاعر – ينأى بنفسه لا عن الدناءة وحسب، بل عن مقاربة أهلها، وبعد أن أكد بالحال المنفية صفاء نفسه ، أفرد الشطر الثانى كاملاً لإثبات أمر إيجابى حميد لها ، أكده بتركيب قدم فيه شبه الجملة الخبر « لدى » على المبتدأ النكرة « نصيب »، وكأن إيراد الظرف ، بما يتضمنه من معنى التملك، يعادل ما بدأ به من فعل يتضمن معنى السلب « أدع الدناءة » ، وإن كان سلبا حميداً .

النمط الخامس

الجملة المنفية بليس

تستعمل « ليس » للنفى تشبهها « ما » ، و « لا »(١٥٠) ، وقال الفراء : أصل ليس لا أيس، ودليل ذلك قول العرب : ائتنى به من حيث أيس وليس، وجئ به من أيس وليس، أى من حيث هو وليس هو ، قال سيبويه: وقالوا لست كما قالوا مست(١٥١)، بفتح الميم، وهذا يتوافق وما انتهت إليه الدراسة السامية المقارنة لهذا الفعل من أن أصله لا أيس(١٥٢) ، ولعله كانت هناك صورة أخرى له بالميم المفتوحة بدل اللام، وإذا كان أصل اللام لا

(١٥٠) كتاب سيبويه ١ / ١٤٦، ١٤٧، ٤ / ٢٣٣ .

(١٥١) اللسان « ليس » ، رصف المبانى ، للمالقى ٣٦٨ – ٣٧٠ .

(١٥٢) فى قواعد الساميات ، للدكتور رمضان عبد التواب ١٣١ .

فإن أصل الميم ما ، هذا إذا لم نقل بأن مست بفتح الميم مجرد إتباع لقولهم لست . و « ليس » كذلك من حروف الاستثناء فى بعض الاستعمالات القديمة كقولهم : قام القول ليس أخاك ، وأنشدوا لرؤبة (١٥٣) :

قد ذهب القوم الكرام ليسى

وفى الحديث (يطبع المؤمن على كل خلق ليس الخيانة والكذب(١٥٤)).

والحق إن غالب هذه المعانى لا يزال عالقا بليس، وإن كانت تدل عليها بصورة مخالفة لمألوف التركيب الذى نص عليه النحاة .

يقول بشر بن أبى خازم(١٥٥) :

أهمت منك سلمى بانطلاق وليس وصال غانية بباق

ويقول بشر(١٥٦) :

أمن ليلى وجارتها تنوح وليس لحاجة منها مريح

برغم الاختلاف اليسير بين جملتى النفى فى البيتين - إذ لا تقديم للخبر فى الأولى، على حين يتقدم الخبر « منها » فى الأخرى - فإن البيتين يسودهما روح واحد ، فكلاهما يبدآن بالاستفهام وكل منهما مطلع قصيدة، كما أنهما مصرعان، ويلوح التضاد فى كل منهما بين خاتمتى كل من المصراعين « بانطلاق - بباق »، « تنوح - مريح »، كما أن فعل

(١٥٣) همع الهوامع ١ / ٢١٤ ، ٢ / ٢١٥ ، وهو فى ملحق ديوان رؤبة ١٧٥ .

(١٥٤) رواه بهذا اللفظ الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٧ / ٥١٨ ، والسيوطى فى الدر المنثور ٣ / ٢٩٠ « عن الهمع ٢ / ٢١٥ هامش ٢ » .

(١٥٥) ديوان بشر بن أبى خازم ١١٤ .

(١٥٦) ديوان بشر ٤٨ .

النفى « ليس » فى مطلع المصراع الثانى فى كل من البيتين يبدو كأنه إجابة عن الاستفهام بالهمزة فى مطلع كل منهما، ولأمر ما توافق اسما المحبوبة فيهما وزناً « سلمى – ليلى » بل إن البيتين من بحر واحد هو الوافر، ولو شئنا بعض التلاعب فيهما أبدلنا أحد الشطرين فيهما من نظيره، لا يكاد يمنعنا إلا التصريع، وفعل المحبوبة / الدنيا الإيجابى فى البيت الأول « همت » ، يقابله فعل سلبى من الشاعر فى البيت الآخر «تنوح» ، وهذا معنى يؤكده الشطر الثانى فيهما، الذى يكرس معنى الاستسلام لاستحالة بلوغه الأمل، باستعمال جملة الحال المنفية المؤكد نفيها فى البيت الأول بالباء الزائدة، وفى الآخر بتقديم الخبر على الاسم الذى يأتى فى آخر البيت نكرة تضج بعموم النفى . ويستطرد بشر فى تصوير الفقد الذى لم يكن له إزاءه من حيلة ، فيقول (١٥٧) :

وليس مبين فى الدار إلا ... مبيت ظعائن وصدى يصيح
ولم تعلم ببين الحى حتى ... أتاك به غدافى فصيح

وتأتى جملة الحال المنفية « وليس مبين .. إلا مبيت » فى صدر البيت استطرادا لما سبق من بيان لحالة الفقد، وبرغم أن فعل النفى عدم مع الاستثناء دوره التركيبى من حيث العمل فى الجملة الاسمية بعده ، فإن هذا النفى مع الاستثناء مما لا غنى عنه من الناحية الدلالية وقد صحبته طائفة من النكرات، يبدو كل منها كأنه سؤال دون إجابة « مبيت ظعائن – صدى يصيح – غدافى فصيح » ، والمعرفتان الوحيدتان فى البيتين هما الدار، وبين الحى، فالدار هى الأثر الأصم الباقى، وبين الحى

(١٥٧) ديوان بشر ٤٨ .

هو « الفعل » الذى استدعى كل هذه المشاعر والذكرى، وتبلغ السخرية أقصاها عندما يقرر الشاعر آخر الأمر – وقد انتزع نفسه بالتجريد وصيرها مخاطباً « ولم تعلم – أتاك » – أن الذى حمل إليه خبر البين غدافى (غراب حالك السواد)(١٥٨) ، غير أنه – مع عجمته – فصيح !

وقد وردت روايتان لبيت لعبيد بن الأبرص، ينص الدكتور حسين نصار على أنه مع أبيات أخرى مقدمة قصيدة وردت فيها بعض العبارات التى صارت من الذخيرة الشعرية، يرجع إليها الشعراء بعد ذلك ويقتبسون منها (١٥٩) ، يقول عبيد :

أمن أم سلم تلك لا تستريح ... وليس لحاجات الفؤاد مريح

والرواية الأخرى :

نأتك سليمى فالفؤاد قريح ... وليس لحاجات الفؤاد مريح

وتشبه الرواية الأولى فى تركيبها ما ورد فى بيت « بشر » من الاستفهام التقريرى، والفعل السلبى العاجز « تنوح – لا تستريح »، ولا تختلف الرواية الأخرى برغم اختلاف التركيب بعض الشئ فإن بين التركيبين توازيا دلاليا، فالفعل الإيجابى « نأت » هو للمحبوبة / الدنيا / الدهر، ورد الفعل العاجز « فالفؤاد قريح » هو للشاعر الذى ينتزع من نفسه كما قلنا شخصا آخر مثله (١٦٠) يخاطبه « نأتك » .

ويتواتر التعبير عن الاستسلام لصروف الدهر بالتركيب :

---

(١٥٨) اللسان « غدف ، فصح » .

(١٥٩) ديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق وشرح د . حسين نصار ٢٩ .

(١٦٠) شرك الآمل ٧٢ .

ليس + شبه جملة خبر + اسم نكرة مؤخر

يقول طرفة بن العبد (١٦١) :

فغيرن آيات الديار مع البلى ... وليس على ريب الزمان كفيل

فالفعل الذى تحقق قوعه هو الماضى « غيرن » يعضده « البلى »، وليس ثم – فى المقابل – فعل من الشاعر بإزاء فعل الزمان، الذى لا كفيل – بالنكرة المنفية بلا التبرئة – على ريبه ، وتنسلخ « ليس » فى هذا التركيب من الدلالة الزمنية بحكم السياق الخبرى التقريرى الذى ترد فيه . ويتكرر التركيب : ليس + اسم محذوف + خبر نكرة مسبوق بالباء الزائدة ، فى أبيات متوالية لامرئ القيس ، ينزع فيها عن عدوه أمارات الفروسية أسباب الغلب، ويثبتها – بمفهوم المخالفة – لنفسه . يقول امرؤ القيس (١٦٢) :

يغط غطيط البكر شد خناقه ... ليقتلنى ، والمرء ليس بقتال
أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال
وليس بذى رمح فيطعننى به ... وليس بذى سيف وليس بنبال

والجملة المثبتة فى البيت الأول «يغط» تتضمن سلبا بما فيها من الهجاء، على حين أن المثبتة الأخرى فى البيت الثانى تنسب فعلا إيجابيا للشاعر، هو مضاجعة السيف، ويتحدث امرؤ القيس عن نفسه بضمير المتكلم مثبتا وجودا صريحاً لنفس موحدة غير موزعة، على حين لا يثبت لعدوه إلا وجودا شاحبا هزيلا، فهو ليس إلا «المرء»، أو هو ضمير الغائب المستتر «يغط – أيقتلنى»، وحتى الفعل الذى نسبه إليه يورده مسبوقا

---

(١٦١) ديوان طرفة ٢٠٣ .

(١٦٢) ديوان امرئ القيس ٣٣ .

بالاستفهام الانكارى بما يتضمنه من سلب مقدم على الفعل أيقتلنى[١٦٣] ؟!.

ويفيد التركيب نفسه : وليس + (اسم) + خبر مسبوق بالباء الزائدة، دلالة أخرى لا غنى عنها بعد الجملة التى تتقدمه، إذ تفيد استدراكا على حكم ، كما فى قول عبيد بن الأبرص[١٦٤] :

فخلدت بعدهما ، ولست بخالد   فالدهر ذو غير وذو ألوان

هناك تطلع إلى الخلود أو البقاء فى الدنيا طويلا، والشاعر يثبته لنفسه، فيشى بتطلعه إليه بعد تفرق قومه، ثم لا يلبث أن يستدرك بجملة الحال المنفية، التى تؤكد مضمونها وتعلل ما فيها من حكم، الجملة التقريرية المثبتة التى تستغرق الشطر الثانى بتمامه (فالدهر ذو غير وذو ألوان) .

وتفيد جملة الحال المنفية بهذا التركيب نفسه تأكيد المعنى بالسلب واستكمال الصورة، كما فى قول عمرو بن قميئة[١٦٥] :

رمتنى بنات الدهر من حيث لا أدرى   فما بال من يرمى وليس برام

الفعل الإيجابى ها هنا – كما فى سياقات مماثلة سابقة – هو للدهر الذى رمت بناته، والشاعر « يرمى – لا يدرى أو لا يرى – ليس برام »، وهو يتراجع من الظهور فى أول البيت بضمير المتكلم، وإن كان مفعولا « رمتنى » إلى الاسم الموصول العام « من » وضمير الغائب المستتر فى « يرمى – ليس برام » .

(١٦٣) دلائل الإعجاز ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ .

(١٦٤) ديوان عبيد بن الأبرص ١٣٠ ، ١٣١ .

(١٦٥) ديوان عمرو بن قميئة ٤٥ .

كذلك يفيد التركيب المذكور استدراكاً على جملة متقدمة بنفى ما قد يلزم عنها ، كما فى قول امرئ القيس (١٦٦):

صرفت الهوى عنهن من خشية الهوى ولست بمقلى الخلال ولا قال

حيث تفيد جملة الحال المنفية – التى تستغرق شطرا كاملا مع معطوفها – إقامة توازن فى المعنى يصاحبه توازن عروضى، مع المعنى المفهوم من الشطر الأول وما يلزم عنه ؛ فالفعل الماضى المسند إلى الشاعر نفسه فى صدر البيت – ومن دلالته الحدث المنتهى – مردود عليه بنفى استدراكى مؤكد بالباء الزائدة فى الخبر، وهو نفى يشمل طرفى المعادلة : الشاعر ، والغوانى / الدنيا ، فليس واحد منهما قاليا للآخر ، وذلك بخلاف ما فى مثل قول أبى محمد الفقعسى (١٦٧):

يقلى الغوانى والغوانى تقليه

وقول ابن هرمة (١٦٨):

فأصبحت لا أقلى الحياة وطولها أخيراً وقد كانت إلى تقلت

* * *

(١٦٦) ديوان امرئ القيس ٣٥ .

(١٦٧) اللسان « قلا » .

(١٦٨) اللسان « قلا » .

الخاتمة

يتبين لنا من استعراض ما مر من أنماط وأشكال لجملة الحال المنفية، أن هذه الجملة تلعب فى الشعر الجاهلى، دورا ملموسا، من حيث الموقع والزمن، تعكسه التراكيب التى لابد أن لاختيار الشاعر بعضها دون بعض وشيج علاقة لا ينكر بالدلالة، بل إن التركيب الواحد كما لاحظنا يمكن أن يكون حمال أوجه، وإن كل وجه دلالى ممكن لهذا التركيب، يحدده السياق الذى يقع فى إطاره . والجملة المنفية التى تقع حالا تقوم بينها وبين ما يصاحبها فى البيت الواحد أو الأبيات المتعددة من علاقات الأخذ والعطاء ما يؤثر بالضرورة فى الدلالة، وترقى جملة الحال المنفية فى بعض السياقات، كما لاحظنا، إلى أن تكون محورا للبيت أو الأبيات التى ترد فيها، لا مجرد جملة تفيد معنى أساساً أو تؤكد مضموناً تحمله الجملة الأساس، بل تبدو جملة الحال المنفية، كما رأينا فى غير موضع، مفتاح الدلالة المرادة بحيث تصير سائر الجمل حولها تحققاً لما تقتضيه دلالتها أو تفصيلاً لما يلزم عن هذه الدلالة .

وجملة الحال المنفية – كما رأينا – نوع من أنواع جملة الحال التى وضع النحاة شروطها من استقرائهم للنصوص واللغة المستعملة، وقد لاحظنا أنه مع التزام هذه الشروط، فى نماذج الشعر الجاهلى التى عرضنا لها ، كان الشاعر يجد مرونة فى استعمال جملة الحال المنفية ، واقعة بين طرفى الإسناد تارة ، أو بعد تمام الكلام تارة ، وقد يبدأ بها البيت إذا كان السياق استطرادا لكلام متقدم فى بيت سابق أو أكثر .

وقد تكون جملة الحال المنفية مما لا يستغنى عنه التركيب ولا

المعنى بطبيعة الحال ، إذ إنها تحل محل الركن أحياناً ، أو تقيد أحد طرفى الإسناد، بحيث يصيب المعنى خلل فاحش لو لم ترد جملة الحال هذه ، وقد أطلقنا على العلاقة التى تحل فيها الحال محل الركن أو ما يشبهه « الإسناد الحالى » .

وقد تبين من دراسة تراكيب جملة الحال المنفية، أن الحال من الأبواب التى لا يكاد شرط من شروطها يطرد التزامه فى الاستعمال دون أن تكون هناك تراكيب مستثناة، وذلك مثل ما أورده النحاة من أمثلة لمجئ الحال معرفة، والأصل فيها التنكير، أو مجيئها وصفا ثابتا غير منتقل ، والأصل فيها الانتقال، وهى أمور استثنائية تنسحب على الحال المفردة والجملة فى آن .

ويتصل بذلك – أى بأمر الاستثناءات فيما يتعلق بالحال – ما سميناه « بالعدول التركيبى »، أى مخالفة القياس فى تركيب بعض الجمل المشتملة على الحال، وكيف أن معنى الحالية يطغى على السياق بحيث يخرج الخبر مثلا عما ثبت له من وجوب الرفع، وهو ما يؤكد القول بأن الحركة الإعرابية تصير بهذا العدول التركيبى عنصرا تحويليا يحقق ما فى نفس المتكلم / الشاعر من معنى، ولا يخضع آنئذ لفكرة العامل التى لا تحكم إلا مألوف اللغة .

وفى دراستنا أنماط جملة الحال المنفية لاحظنا أن أقلها استعمالا تلك المنفية بلما ، كما تبين من بحث العلاقة بين التراكيب المختلفة ودلالاتها أن تراكيب جملة الحال المنفية حمالة أوجه، وأن علاقة متحركة غير ثابتة تربط التركيب بالدلالة، سواء من حيث علاقة أداة النفى بدلالة الزمن، أو

بالسياق الذى ينتظم جملة الحال المنفية كلها؛ وقد تبين انفكاك العلاقة بين أداة النفي والدلالة على زمن مخصوص فى غالب الاستعمالات ، فقد تدل أداة على نفى الماضى المنقطع ، أو على معنى التطلع للمستقبل الآتى، أو على حدث يتعلق باللحظة الآنية، أو على مطلق الزمن ، فضلا عما هو مقرر من أن صيغ الأفعال فى العربية سياقية الزمن ، مما يتيح للشاعر مرونة واسعة فى تنويع الدلالة الزمنية المقصودة من جملة الحال .

وتقوم بين بعض جمل الحال المنفية، وبعض الجمل المصاحبة لها فى البيت مقابلة تقوم على ثنائية طرفاها النفى والإثبات، وهى مقابلة تقوم كذلك بإزاء ازدواج الضمير المعبر به كالمتكلم والمخاطب، أو المتكلم والغائب، أو الدهر والانسان، أو المحبوبة والشاعر، فتعكس موقف القوم فى الجاهلية من الدهر وأحداثه، كما تعبر عن قيمهم التى كانوا يحرصون على إعلائها أفراداً أو جماعات ، فى أنماط من التعبير تجلى إمكانات القاعدة النحوية ومرونتها ولا نفتقد فيها وهج الخطاب الشعرى وبكارته .

المراجع :

١ - إتحاف فضلاء البشر فى القراء الأربعة عشر، للشيخ أحمد محمد البنى، تحقيق د. شعبان محمد اسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، ط١ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٢ - أساليب الاستفهام فى الشعر الجاهلى، د. حسنى عبد الجليل يوسف، نشر مؤسسة المختار بالقاهرة، ودار المعالم الثقافية بالأحساء ط١ ، ٢٠٠١ .

٣ - الأصمعيات، للأصمعى، عبد الملك بن قريب، تحقيق محمود شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر .

٤ – إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى، تحقيق السيد أحمد صقر، ط المعارف بمصر ١٩٦٣م .

٥ – امرؤ القيس، حياته وشعره، دار كرم بدمشق، بلا تاريخ .

٦ – أنيس الجلساء ، شرح ديوان الخنساء ، للأب لويس شيخو ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٨٦ .

٧ – أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، شرح محمد محيى الدين عبد الحميد ط المطبعة التجارية الكبرى ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٧م .

٨ – البديع بين الاتباع والابتداع، دراسة نظرية وتطبيقية فى شعر الخنساء، د . حسنى عبد الجليل يوسف، القاهرة ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

٩ – بناء لغة الشعر، جون كوين ، ترجمة د. أحمد درويش، دار المعارف ط٣ ، ١٩٩٣ .

١٠ – بنية القصيدة فى شعر أبى تمام ، د . يسرية المصرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م .

١١ – تاج العروس للزبيدى، تحقيق على شيرى، بيروت ، دار الفكر ١٩٩٤م ، ١٤١٤هـ .

١٢ – التبيان فى إعراب القرآن ، لأبى البقاء العكبرى، تحقيق على محمد البجاوى ، ط الحلبى ١٩٧٦م .

١٣ – التعريفات، للشريف الجرجانى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣ .

١٤ – التوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ، تأليف محمد عبد العزيز النجار ، القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م .

١٥ – الجملة فى الشعر العربى ، د / محمد حماسة عبد اللطيف، نشر الخانجى ، ط١ ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

١٦ – الجنى الدانى فى حروف المعانى ، للحسن بن قاسم المرادى، تحقيق د. فخر الدين قباوة محمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٣ .

٧١ – حاشية الصبان على شرح الأشمونى، ط الحلبى بلا تاريخ .

١٨ – الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطى، القاهرة ١٣١٤هـ .

١٩ – دلائل الإعجاز ، تأليف الإمام عبد القاهر الجرجانى، تصحيح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد الشنقيطى، تعليق السيد محمد رشيد رضا، نشر دار المعرفة – بيروت – لبنان ١٤٠٢هـ – ١٩٨١م .

٢٠ – ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بمصر ١٩٤٨ .

٢١ – ديوان امرئ القيس، للأعلم الشنتمرى، تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٨٤ .

٢٢ – ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٩٦٧م .

٢٣ – ديوان بشر بن أبى خازم، تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٩٤م ، ١٤١٥هـ .

٢٤ – ديوان دريد بن الصمة الجشمى جمع وتحقيق محمد خير البقاعى، دار قتيبة ١٩٨١م .

٢٥ – ديوان زهير بن أبى سلمى، صنعة أبى العباس ثعلب، ط دار الكتب ١٩٤٤ .

٢٦ – ديوان طرفة بن العبد، تحقيق الدكتور سعدى الضناوى ، دار الكتاب العربى .

٢٧ – ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح د. حسين نصار، ط١ ، نشر الحلبى ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م .

٢٨ – ديوان عمرو بن قميئة، تحقيق حسن كامل الصيرفى، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، مطابع دار الكتاب العربى ١٩٧٠م .

٢٩ – ديوان عنترة بن شداد، شرح الخطيب التبريزى، دار الكتاب العربى ١٩٨٨م .

٣٠ – رصف المبانى فى شرح حروف المعانى ، للإمام أحمد بن عبد النور المالقى، تحقيق د. أحمد محمد الخراط، دار القلم بدمشق ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م .

٣١ – شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، ط الحلبى، القاهرة، بلا تاريخ.

٣٢ – شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق د. عبد الرحمن السيد، د . محمد بدوى المختون، نشر هجر للطباعة، ط١ ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

٣٣ – شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، ط الحلبى بلا تاريخ .

٣٤ – شرح شواهد المغنى للسيوطى، بتصحيح الشنقيطى، القاهرة ١٣٢٢هـ.

٣٥ – شرح عيون الإعراب، أبو الحسن المجاشعى، تحقيق د. عبد الفتاح سليم، دار المعارف بمصر ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .

٣٦– شرح المعلقات السبع للزوزنى (أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين)، نشر المكتبة التجارية الكبرى ١٣٩٠هـ – ١٩٧١ك .

٣٧ – شرح المفصل لابن يعيش، نسخة مصورة عن إدارة الطباعة المنيرية، بلا تاريخ .

٣٨ – شرح المكودى على ألفية ابن مالك، تحقيق د. فاطمة الراجحى، جامعة الكويت ١٩٩٣م .

٣٩ – شرك الآمل لصيد شوارد المسائل فى المعانى والبيان والبديع، تأليف على صقر، ط الحلبى ١٣٥٧هـ ، ١٩٣٨م .

٤٠ – شعر خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق نورى حمود القيسى، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨م .

٤١ – شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، لابن مالك، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى، نشر عالم الكتب ببيروت ط٣ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٤٢ – الضرورى فى النحو، ابن رشد، تحقيق د . منصور عبد السميع، دار الفكر العربى ٢٠٠٢م .

٤٣ – ظواهر تركيبية فى مقابسات أبى حيان التوحيدى، دراسة فى

العلاقة بين البنية والدلالة د. سعيد حسن بحيرى، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٥ .

٤٤ – العامل النحوى بين مؤيديه ومعارضيه، د. خليل عمايره، جامعة اليرموك ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م .

٤٥ – فى قواعد الساميات، صنعة د. رمضان عبد التواب الخانجى، ط٢، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

٤٦ – فى نحو اللغة وتراكيبها ، د. خليل عمايرة، عالم المعرفة، جدة ١٩٨٤م .

٤٧ – القاموس المحيط للفيروز آبادى، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٤٨ – قراءة ثانية فى شعر امرئ القيس، د. محمد عبد المطلب، القاهرة ١٩٨٦م .

٤٩ – الكافى فى العروض والقوافى، للخطيب التبريزى، تحقيق الحسانى حسن عبد الله، ط الخانجى بمصر .

٥٠ – الكتاب لسيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ك .

٥١ – الكشاف للزمخشرى، القاهرة ١٩٤٨م .

٥٢ – كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن على التهانوى – تحقيق د. على دحروج وآخرين، نشر مكتبة لبنان ط ١٩٩٦ .

٥٣ – الكناش فى النحو والصرف، أبو الفداء الملك المؤيد.، تحقيق د. على الكبيسى، د. صبرى إبراهيم، جامعة قطر ١٩٩٢م .

٥٤ – لسان العرب، لابن منظور الإفريقى، دار المعارف بمصر ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .

٥٥ – متن التلخيص فى علوم البلاغة، للخطيب القزوينى (محمد بن عبد الرحمن) ، ط الحلبى بمصر ، بلا تاريخ .

٥٦ – مختصر فى شواذ القراءات، لابن خالويه، تحقيق برجشتراسر، القاهرة ١٩٣٤م .

٥٧ – معانى الحروف للرمانى (أبى الحسن على بن عيسى) تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى، نشر دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٣ .

٥٨ – معانى القرآن للفراء ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى، ومحمد على النجار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .

٥٩ – مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحقيق د. مازن المبارك، محمد على حمد الله، دار الفكر لبنان ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م .

٦٠ – مفهوم الشعر ، دراسة فى التراث النقدى، د . جابر عصفور، دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٧م .

٦١ – المقتصد فى شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجانى، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية ١٩٨٢م .

٦٢ – المقتضب للمبرد، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة ١٣٨٥هـ .

٦٣ – من أسرار اللغة، د. إبراهيم أنيس، ط٥، ١٩٧٥ نشر مكتبة الأنجلو المصرية .

الخصائص الصوتية لقبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها من خلال القراءات القرآنية

د. قبارى محمد شحاتة

كلية الألسن ـ قسم اللغة العربية

جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعتبر البحث فى اللهجات وبيان أسباب نشأتها والعلاقة بينهما وبين الفصحى ودراسة ظواهرها المختلفة... الخ، من مباحث فقه اللغة Philology وجدير بالذكر هنا أن العلماء القدامى لم يولوا هذه اللهجات اهتماماً كبيراً من الرصد والتحليل والدرس، وصرفوا هممهم إلى دراسة العربية الفصحى، خدمة للقرآن الكريم .

والبحث فى اللهجات ورصد ظواهرها المختلفة فى غاية الأهمية، حيث يمكن بذلك إلقاء الضوء على كثير من الظواهر التى وصفها اللغويون القدامى بالشذوذ، وكثير منها قد يكون له أصل فى هذه اللهجات، وبالبحث والتمحيص يمكن اعتبارها بداية لظاهرة لغوية معينة، وهذا يدخل فى إطار علم اللغة التاريخى Historical Linguistics من هنا تأتى قيمة دراسة اللهجات، إذ يمكن الاستعانة بها فى التأريخ لكثير مما وسم بالشذوذ فى تراثنا اللغوى.

وجدير بالذكر هنا أن دراسة القراءات القرآنية لا تقل أهمية عن دراسة اللهجات، إذ كثير منها يسير وفق ما عليه اللهجات العربية المختلفة، وعلى هذا يمكن اعتبارها رصداً حياً ودقيقاً لكثير من الظواهر اللغوية لهذه اللهجات.

ومن منطلق أهمية دراسة اللهجات والوقوف على خصائصها المختلفة ومدى صلتها بالفصحى يأتى هذا البحث الذى يتناول بالدراسة والتحليل الخصائص الصوتية للهجات قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها من خلال القراءات القرآنية. والقبائل التى شملتها الدراسة ثمانية، هى: تميم وقيس وأسد وربيعة وعقيل وكلب (من قبائل وسط الجزيرة العربية) وبكر وبهراء (من القبائل الشرقية).

وقد رصدت هذه الخصائص من خلال مطالعة القراءات القرآنية التى وافقت لغات هذه القبائل، واعتمدت فى ذلك على معجم القراءات[1]. وكان عدد الخصائص الصوتية التى رصدتها خمسة وعشرين يمكن ذكرها على النحو التالى:

١ ـ كسر حروف المضارعة.

٢ ـ حذف حركة الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية.

(١) معجم القراءات من تأليف العالم الجليل الدكتور/ عبداللطيف الخطيب، وتقديم العلامة الفاضل الدكتور/ سعد عبدالعزيز مصلوح، يقع فى أحد عشر مجلداً، ونشرته دار سعد الدين بدمشق بالجمهورية العربية السورية عام ٢٠٠٢م.

وقد جمع فيه مؤلفه جميع القراءات المتواترة والآحاد والشاذة، وكان عمدته فى ذلك البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، جعله أساساً لمادة المعجم، وقابل ما جاء فيه من قراءات بما ذكر فى كتب القراءات والتفسير وإعراب القرآن والمعاجم اللغوية وغير ذلك، فكانت مادته عزيرة جمعت بين القراءات والنحو والصرف واللغة، كما لم يفت المؤلف الجليل فى هذا المعجم أن ينبه على ما وافق من القراءات لغات القبائل العربية. والمؤلف ليس ناقلاً من الكتب والمراجع التى اعتمد عليها فى مادته، بل بصماته ظاهرة فى تخريج تلك القراءات وتوجيهها وتحليلها، واختيار ما يراه مناسباً مع التعليل لاختياره.

٣ ـ كسر فاء فعيل إتباعاً للعين إذا كانت من حروف الحلق.

٤ ـ إتباع حركة ضمائر الغيبة لياء أو كسرة سابقة.

٥ ـ إتباع حركة واو العطف وفائه لحركة الهمزة فى (إنّ).

٦ ـ إتباع حركة هاء التنبيه لحركة (أىُّ) و(أيَّةُ) فى أيُّها وأيَّتُها.

٧ ـ إتباع حركة حرف الإعراب لحركة ما ليس حرف إعراب، والعكس.

٨ ـ إشمام الصاد زاياً

٩ ـ الإحالة

١٠ ـ المحافظة على الهمزة.

١١ ـ المعاقبة بين الكسرة والضمة.

١٢ ـ إشمام حركة الفاء من الماض الأجوف المبنى للمجهول الضم.

١٣ ـ إدغام العين فى اللام فى حالتى الجزم والأمر.

١٤ ـ حذف فاء المثال الذي على وزن (افتعل).

١٥ ـ حذف إحدى الياءين من الفعل (استحيا يستحيى).

١٦ ـ إبدال السين صاداً.

١٧ ـ إبدال السين زاياً.

١٨ ـ إبدال الثاء فاء.

١٩ ـ إبدال كاف المؤنث شيناً.

٢٠ ـ إبدال العين حاء.

٢١ ـ إيثار القاف على الكاف.

٢٢ ـ تحريك ميم الضمير (هم) بالضمة إذا التقى ساكناً

٢٣ ـ إثبات ألف (أنا) قبل همزة القطع والضمير (هو).

٢٤ ـ همز واو المد المسبوقة بضمة.

٢٥ ـ قلب القاف والميم إلى موضع العين (قلب مكانى).

وقد سلكت فى هذه الدراسة المنهج ا لتالى:

١ ـ أشرت فى بداية كل خاصية من هذه الخصائص الصوتية إلى القبيلة أو القبائل التى تنسب إليها تلك الخاصية، وذلك من خلال ما ورد فى القراءات القرآنية.

٢ ـ أوردت ما ذكر عن كل ظاهرة فى كتب التراث الصرفىّ.

٣ ـ أتبعت ذلك بالتحليل والتعليق وإبداء الرأى يساندنى فى ذلك علم الأصوات الحديث، أو المقارنة باللغات السامية، أو الاستعانة بآراء علماء اللغة المحدثين.

٤ ـ أوردت فى النهاية ما جاء من القراءات القرآنية دليلاً على كل خاصية منسوباً إلى القبيلة أو القبائل المعنية التى أشرت إليها فى البداية.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أمرين:

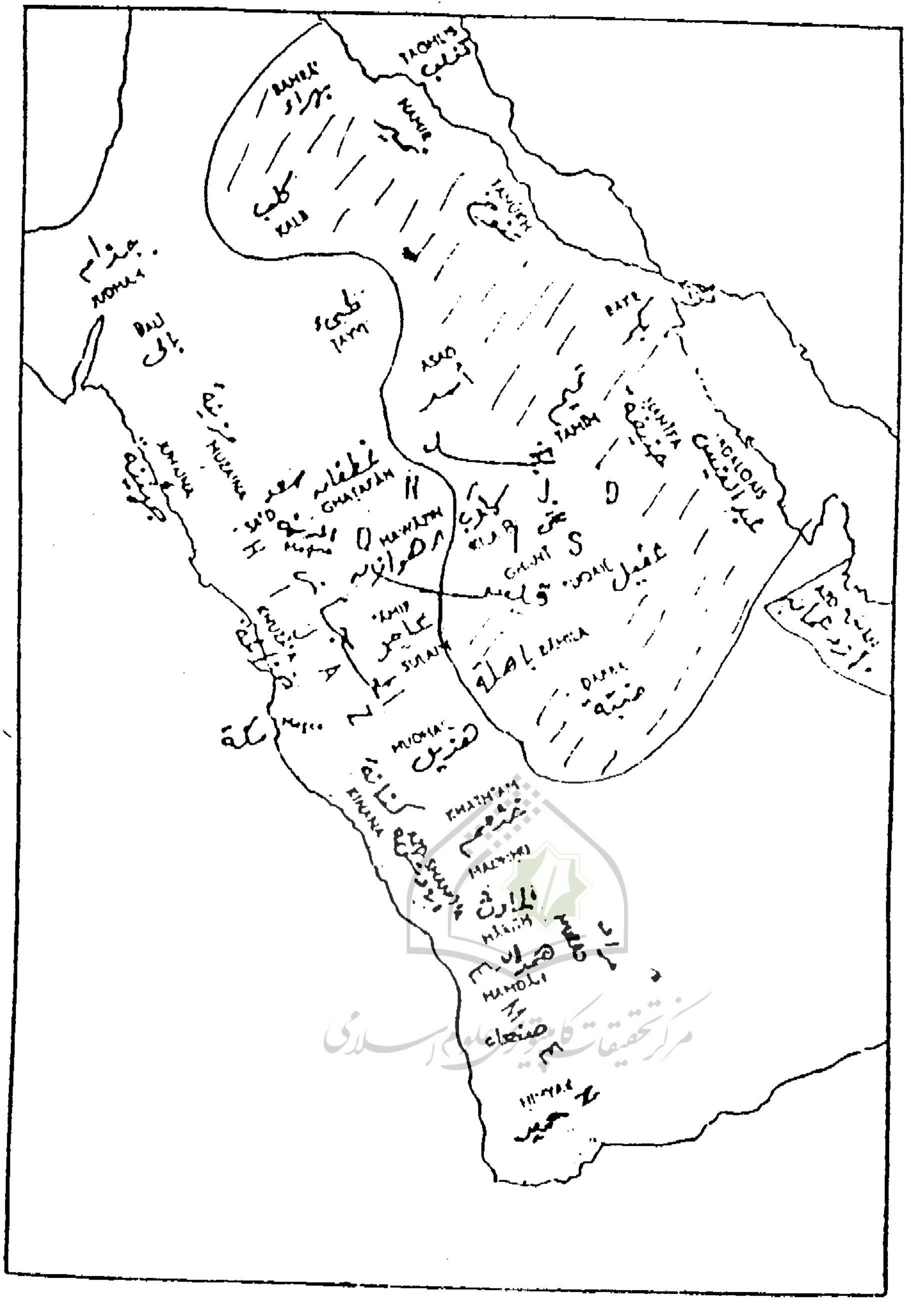
أولهما: جدول يلخص القبائل الثماني وتوزيع الخصائص السابقة عليها، والملاحظات على هذا الجدول.

وثانيهما: ذكر أهم النتائج التى توصلت إليها.

وأخيراً ذكرت قائمة المراجع التى اعتمدت عليها.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير،

دكتور/قبارى محمد شحاتة



خريطة توزيع قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها

المصدر: اللهجات العربية الغربية القديمة صـ ٥

ملاحظة: يلاحظ فى هذه الخريطة عدم الإشارة إلى موقع قبيلة ربيعة ويبدو أن السبب فى ذلك يرجع إلى كثرة مواطنهم فى الجزيرة العربية، فبنو ربيعة من نزار قد أجمع النسابون أنهم وبنى مضر من صفوة العدنانيين من ولد إسماعيل، وأن مسكنهم فى بداية نشأتهم كان إلى جوار

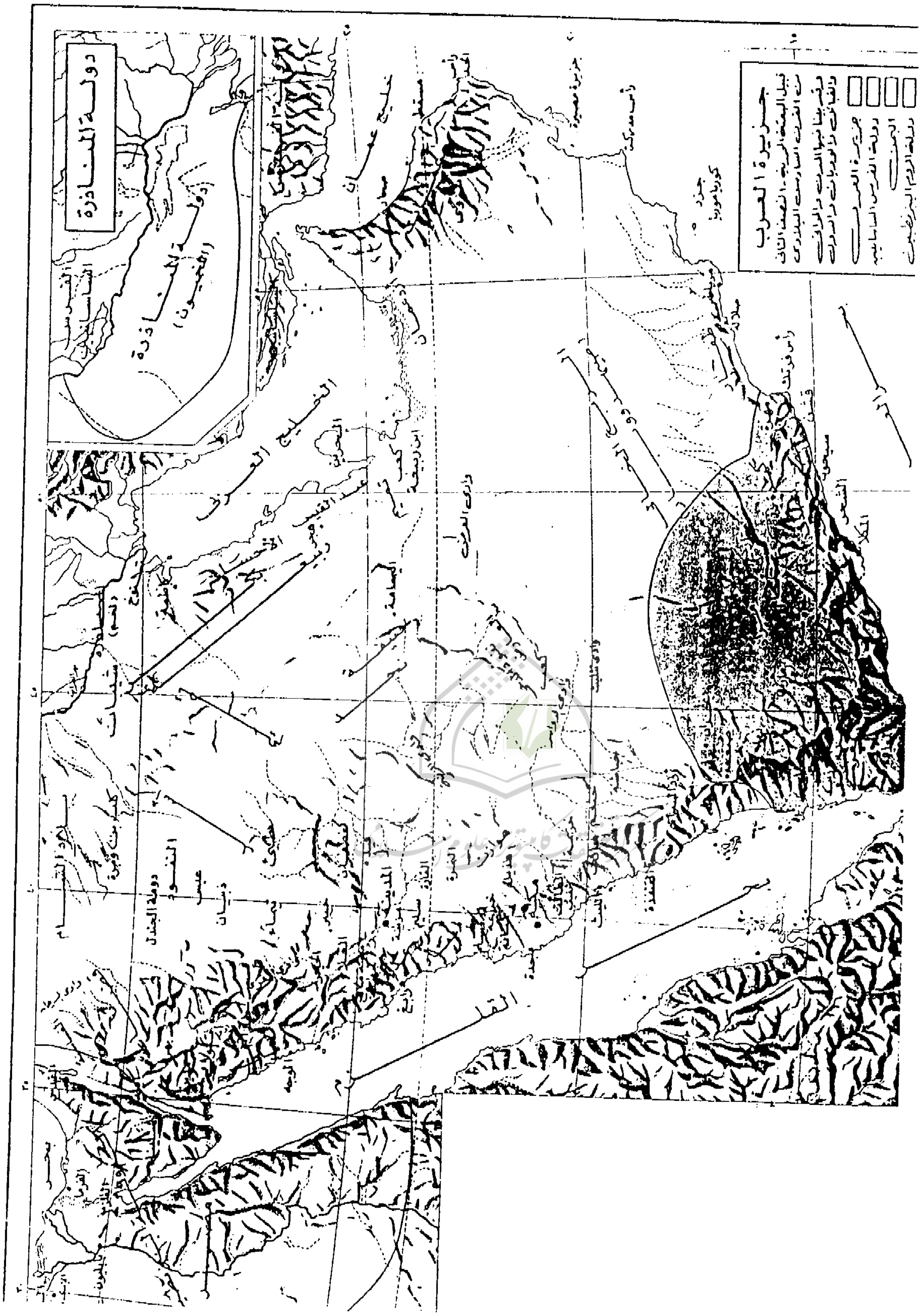
الحرم وتهامة فى الحجاز مع بقية إخوانهم من لد نزار، غير أنهم بعد حربهم مع قضاعة قد انتقلوا إلى مواطن كثيرة فى الجزيرة العربية وغيرها، فمنهم من انتقل إلى نجد، ونواحى البحرين، وهجر وحتى الكسور الواقعة فى الجزيرة، والسواد فى العراق، وتركيا وتسمى حتى الآن (ديار بنى بكر)(١).

وبناء على هذا يمكن أن يكون موطنهم فى الجزيرة العربية فى وسطها، أى فى نجد، وقد أشرت إلى ذلك فى ثنايا البحث وفى الجدول الذى أثبته فى الخاتمة.

وفى الخريطتين التاليتين يبدو منهما أنها فى الشرق من الجزيرة العربية.

---

(١) راجع موسوعة القبائل العربية ٣٤ ـ ٣٥



خريطة رقم (٣)

المصدر: أطلس تاريخ الإسلام صـ ٣٥



جزيرة العرب
لبيان مواقع القبائل التي
اشتهرت لهجاتها

المصدر : فى اللهجات العربية صـ ٣٥

١ ـ كسر حروف المضارعة

حركة حروف المضارعة فى الفصحى حركتان: الفتحة والضمة.

فالفتحة فى الأفعال الثلاثية المجردة، نحو: كتب يَكتب، وأَمَرَ يأمر، وعدَّ يَعُدُّ، ووعد يَعِد، وقام يَقوم، وسعى يَسعى. وكذلك فى الأفعال الثلاثية المزيدة بغير همزة القطع، مثل: انطلق يَنطلق واستغفر يستغفر، وتقاتل يَتقاتل.

والضمة فى الأفعال الثلاثية المزيدة بهمزة القطع، مثل: أكرم يُكرم، وأعلم يُعلم. وفى الأفعال الرباعية المجردة، مثل: دحرج يُدحرج.

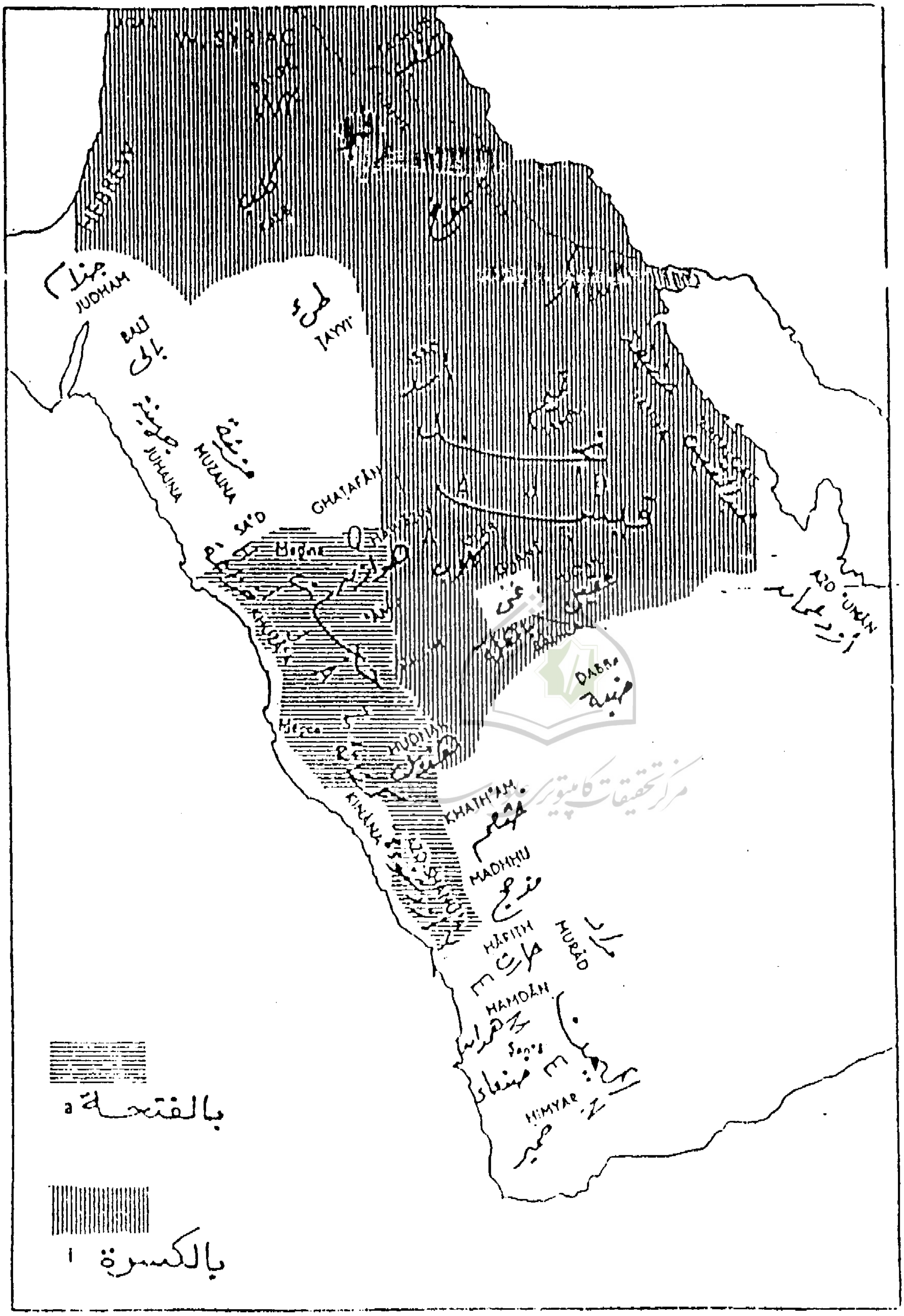
وما عليه الفصحى عليه كذلك بعض اللهجات العربية الغربية، مثل: لهجات الحجاز وأعجاز هوازن وأزد السراة وبعض أجزاء هُذَيْل[١].

أما لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها، من أمثال: قيس وتميم وأسد وربيعة، فإنها تكسر حروف المضارعة، ويشاركها فى ذلك قليل من غربى الجزيرة العربية، من أمثال: بعض هذيل وبعض هوازن[٢].

والخريطة التالية تبين القبائل التى كانت تكسر حروف المضارعة وتفتحها وهى مأخوذة من كتاب (اللهجات العربية الغربية القديمة صـ١١٥).

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة ١١٤.

(٢) السابق ومعجم القراءات ٨/٥١٥.



٦ - حركة حرف المضارعة

وظاهرة كسر حروف المضارعة تعرف فى فقه اللغة بظاهرة التلتلة وتُنسب إلى قبيلة بهراء من قبائل شرقى الجزيرة العربية، فيقال: (تلتلة بهراء)(١) وقد أشار إلى ذلك ابن جنى وغيره. يقول ابن جنى:

«أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن قراءة عليه عن أبى العباس أحمد ابن يحيى، أحسبه أنا عن الأصمعى، قال: ارتفعت قريش فى الفصاحة عن عنعنة تميم، وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة. فأما عنعنة تميم فإن تميماً تقول فى موضع (أنَّ): (عَنَّ)

أَعَنْ تغنَّتْ على ساقٍ مَطُّوَمَّةٌ ... وَرْقاءُ تدعو هديلاً فوق أعوادِ.

وتقول: ظننت عنَّ عبدَالله قائمٌ. قال: وسمعت ابن هرمة يُنشدها رون:

وأما تلتلة بهراء فإنها تقول: تِعلمون وتِفعلون وتِصنعون، بكسر أوائل الحروف. انقضت الحكاية(٢)».

والتلتلة تكون بكسر جميع حروف المضارعة ما عدا الياء فإنها تفتح لأن الكسرة تستثقل عليها. يقول سيبويه: «وجميع هذا إذا قلت فيه يفعل فأدخلت الياء فتحت، وذلك أنهم كرهوا الكسرة فى الياء حيث لم يخافوا انتقاض معنى، فيحتمل ذلك، كما يكرهون الياءات والواوات مع الياء وأشباه ذلك»(٣).

---

(١) بهراء قبيلة فى قضاعة، وكانت مساكنهم متاخمة لحدود الشام. فى اللهجات العربية ١٣٩.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/٢٢٩ ـ ٢٣٠ وانظر الخصائص ٢/١٠ ـ ١١

(٣) الكتاب ٤/١١٠ وانظر كذلك شرح المفصل ١٠/٦٣ ومعجم القراءات ٨/١١٥

أما بعض بنى كلب فإنهم يكسرون جميع الحروف بما فيها الياء(١). وقيل بهراء كذلك(٢)، وبنو أسد(٣).

وقد ذكر العلماء القدامى الأبنية التى تكسر فيها حروف المضارعة، وهى على النحو التالى:

١ـ الفعل الثلاثى الذى على وزن: فَعِل يفعَل (السالم والمضعف والأجوف والناقص) مثل:

ـ أنت تِعْلَمُ، وأنا إِعْلَمُ، وهى تِعْلَمُ، وهو يِعلَمُ، ونحن نِعْلَمُ.

ـ عَضِضْتُنَّ فأنتن تِعْضَضْنَ، وأنت تِعَضِّين.

ـ خِلنا فنحن نِخالُ.

ـ شَقِيتَ فأنت تِشْقَى، وخَشِيتُ فأنا إِخْشَى(٤).

وقد رودت على ذلك شواهد شعرية، منها:

ـ قول حكيم بن مُعيَّة الربعى:

لو قُلتَ ما فى قومها لم تِيثَمِ يفْضُلُها فى حسَبٍ ومِيسمِ

أراد (لم تِأتم) فخفف الهمزة، فصارت (لم تِيتَم).

ـ قول أعرابى من بنى عُقَيْل، فيما رواه ابن جنى:

فقومى هُمْ تميمٌ يا مُمارى وجُوثَةُ ما إِخافُ لهُمْ كثارَا

---

(١) شرح التصريف ١٩٦.

(٢) فى اللهجات العربية ١٣٩.

(٣) فصول فى فقه العربية ١٢٥.

(٤) الكتاب ٤/ ١١٠ وشرح التصريف ١٩٦ ـ ١٩٧.

بكسر همزة (إِخاف)

ـ قول المرَّار الأسدى، فيما رواه ابن الأنبارى:

قد تِعلم الخيلُ أياماً تطاعنُها من أىِّ شِنْشِنَةٍ أنت ابنُ منظورِ

بكسر تاء (تِعلم)(١).

ويرى سيبويه أن سبب الكسر يعود إلى أن من كسر أراد أن يدل على أن الفعل الماضى مكسور العين أو فى أوله همزة، يقول:

«فأما الذين كسروا حرف المضارعة فإنهم أرادوا أن يدلوا على أن الفعل الماضى مكسور العين أو فى أوله همزة، فلما أرادوا أن يدلوا على هذا لم يخلوا أن يكسروا حرف المضارعة أو فاء الفعل أو عينه أو لامه، ولم يجز أن يكسروا لامه؛ لأنه حرف الإعراب، ولو ألزموها الكسر لبطل أن يدخلها إعراب، ولم يجز أن يكسروا عينه؛ لأن بحركة العين يُفصل بين الأبنية من (يفعُل) و(يفعِل) و(يفعَل) لو ألزموها الكسر لبطل هذا الفرق، ولم يجز أن يكسروا فاء الفعل لئلا يتوالى فى اللفظ أربع حركات ليس بينها حاجز فى اللفظ ولا فى التقدير، فلم يبق إلا حرفُ المضارعة فكسروه»(٢).

٢ ـ **المثال الواوى**: مثل: وجِع يوجَع، ووجِل يوجَلُ.

اللهجات التى تكسر حروف المضارعة على فريقين فى ذلك:

الفريق الأول: بنو أسد، وهؤلاء يكسرون جميع الحروف بما فيها الياء، فيقولون: وجِل ييجَلُ، ونيجَلُ(٣).

---

(١) فصول فى فقه العربية ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٢) الكتاب ٤/١١٠.

(٣) شرح التصريف ١٩٧ ـ ١٩٨.

يفهم مما سبق أن الأصل: يِوْجَلُ، ونِوْجَلُ، ثم ماثلت الواو الساكنة الكسرة السابقة فقلبت ياء ليحدث الانسجام بين الكسرة والياء، ثم ماثلت الياء الكسرة فتحولت إلى كسرة قصيرة مثلها، ثم تحولتا إلى كسرة طويلة.

ى ــِـ وج ــ ل ــُـ / ن ــِـ وج ــَـ ل ــُـ > ى ــِـ ى ج ــ ل ــُـ / ن ــِـ ى ج ــَـ ل ــُـ > ى ــِـ ــِـ ج ــ ل ــُـ / ن ــِـ ــِـ ج ــَـ ل ــُـ(١).

أما القدماء فيرون عكس ذلك، فالواو عندهم قد قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وأن الكسرة قد قويت على الواو ـ مع أن الحركة أضعف من الحرف ـ لأن الواو لما سكنت ضعفت فقويت عليها الكسرة(٢).

أما سيبويه فيرى أن حرف المضارعة الياء قد كسر حتى تنقلب الواو ياء؛ لأنهم كرهوا اجتماع الواو مع الياء، يقول: «كأنه لما كره الياء مع الواو كسر الياء ليقلب الواو ياء لأنه قد علم أن الواو الساكنة إذا كانت قبلها كسرة صارت ياء»(٣).

الفريق الثاني: غير بني أسد، وهم الذين يكسرون جميع حروف المضارعة ما عدا الياء. بعضهم يقول: (يَوْجَل)، بفتح الياء، وبعضهم يقول: (ياجَلُ) بقلب الواو ألفاً؛ لأن الواو الساكنة لا تقلب ألفاً إلا إذا تحركت وانفتح ما قبلها، وهنا قد تحرك ما قبلها فقط، وهؤلاء يقلبون الواو مع جميع حروف المضارعة ويفتحون ما قبلها فراراً من ثقل الواو إلى خفة الألف، فيقولون في غير الياء: أنا أَجَلُ، ونحن ناجَلُ، وأنت تاجَلُ، وهو ياجَلُ(٤).

---

(١) راجع قانون المماثلة فيما يشبه هذين المثالين في: مدخل في الصوتيات ١٨٣ ـ ١٨٤ ودراسات في علم أصوات العربية ١٩ و٢٣.

(٢) انظر في ذلك: سر الصناعة ٢/٢٣٤ وشرح التصريف ٣١٢.

(٣) الكتاب ٤/١١٢.

(٤) شرح التصريف ١٩٨.

وأرى أن الواو فيما سبق لم تقلب ألفاً، بل هذه الواو الساكنة مع الفتحة القصيرة التي قبلها شكلت معها صوتاً مركباً هو (ـَ و) الذى تحول إلى فتحة طويلة (ـَـَ).

ي ـَ وج ـَ ل ـُ > ي ـَـَ ج ـَ ل ـُ

٣ ـ الأفعال الثلاثية المزيدة بهمزة وصل: وقد كسروها تشبيهاً لها بالثلاثى الذى على وزن فعل يفعَل السابق. يقول سيبويه:

«اعلم أن كل شيء كانت ألفه موصولة مما جاوز ثلاثة أحرف فى فَعَلَ، فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء، وذلك لأنهم أرادوا أن يكسروا أوائل فَعَلَ، فلما أرداوا الأفعال المضارعة على هذا المعنى كسروا أوائلها كأنهم شبهوا هذا بذلك. وإنما منعهم أن يكسروا الثوانى فى باب فَعَلَ أنها لم تكن تَحرَّكَ فوضعوا ذلك فى الأوائل، ولم يكونوا ليكسروا الثالث فيلتبس يَفْعَلُ بيفْعَلُ، وذلك قولك: استغفر فأنت تِسْتَغْفِرُ، واحرنجم فأنت تِحْرَنْجِمُ، واغدَوْدَنَ فأنت تِغدودِن، واقْعَنْسس فأنا إِقْعَنْسِسُ»(١).

٤ ـ الأفعال الثلاثية المزيدة بتاء فى أولها: أى مما جاء على أوزان: تَفَعَّلَ، وتفاعل، وتَفَعْلَلَ، وقد حملوا ذلك على السابق الذى أوله همزة وصل لأنه أصله أن يكون مبدوءاً بهمزة وصل لما كانت التاء ساكنة، ثم لما حُركت التاء استخفافاً استُغنى عن همزة الوصل. يقول سيبويه مواصلاً ما سبق:

« وكذلك كل شيء من تَفَعَّلْتُ أو تفاعلْتُ أو تفعْلَلْتُ، يجرى هذا المجرى؛ لأنه كان عندهم فى الأصل مما ينبغى أن تكون أوله ألف

(١) الكتاب ٤/١١٢.

موصولة؛ لأن معناه معنى الانفعال، وهو بمنزلة انفتح وانطلق، ولكنهم لم يستعملوه استخفافاً فى هذا القبيل. وقد يفعلون هذا فى أشياء كثيرة... والدليل على ذلك أنهم يفتحون الياءات فى يفعلُ، ومثل ذلك قولهم: تَقَى اللهَ رجلٌ، ثم قال: يتِقى الله، أجروه على الأصل، وإن كانوا لم يستعملوا الألف حذفوها والحرف الذى بعدها»(١).

ويلاحظ من خلال ما سبق أن التمحل ظاهر فى تعليل الكسر فى حروف المضارعة، ولو أن هؤلاء العلماء كانوا على معرفة باللغات السامية لكان تعليلهم أكثر دقة. من هنا يرى بعض العلماء، وأوافقهم على ذلك، أن الكسر فى حروف المضارعة المنتشر فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها يعود إلى التأثر باللغات السامية: العبرية والآرامية الغربية، والأوجريتية، والحبشية، حيث تشيع فيها هذه الظاهرة(٢).

ومن الأمثلة على كسر حروف المضارعة فى اللغات السامية الفعل المضارع (يقتل) فهو فى الآرمية: yeqṭul، وفى السريانية (من لهجات الآرامية) ܢܶܩܛܘܽܠ niqṭol، وفى العبرية יִקְטֹל yiqṭol، وفى الحبشية ይቅትል yeqtel (فى حالة النصب) و ይቀትል yeqaṭel (فى حالة الرفع)(٣).

ويرى رابين Rabin أن هذا التأثر بدأ أولاً بقضاعة ـ التى منها قبيلة بهراء ـ حيث كانت تجاور المناطق الكنعانية، ثم انتقل هذا التأثر إلى لهجات وسط الجزيرة وشرقيها(٤).

---

(١) الكتاب ١١٢/٤.

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة ١١٦ وبحوث ومقالات فى اللغة ٢٦٧ وفى اللهجات العربية ١٣٩.

(٣) فقه اللغات السامية ١٢٤.

(٤) اللهجات العربية الغربية القديمة ١١٦.

ولا تزال ظاهرة كسر حروف المضارعة منتشرة حتى الآن فى اللهجات العربية الحديثة؛ حيث نقول مثلاً (مين يقرا ومين يسمع)(١).

وبمقارنة ما عليه الفصحى وما هو موجود فى اللهجات القديمة والحديثة واللغات السامية يمكن أن نقرر أن فتح حروف المضارعة فى العربية الفصحى، وهناك فى الفصحى بقايا من كسر حروف المضارعة، مما يدل على أنه كان من الظواهر الشائعة فيها، ثم صارت مفتوحة فيما بعد، وذلك فى الفعل المضارع (إخال) فى قول أبى ذؤيب:

فغيرتُ بعدهُم بعيشٍ ناصبِ وإِخال أنك لاحق مُسْتَتْبَعُ

وقول زهير بن أبى سلمى:

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سَيِّدٌ معَيُوْنُ(٢)

وقول العباس بن مرداس:

وما أردى وسوف إِخالُ أدرى أقَومٌ آلُ حِصنٍ أمّ نِساءُ

ـ وفيما يلى استعراض ما ورد من القراءات القرآنية دليلاً على كسر حروف المضارعة عند قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها، مع ملاحظة أن مَنها ما ورد على وفق ما قرر القدماء من أبنية، ومنها ما ورد على غير ما قرروا:

١ ـ ما ورد من الثلاثى على زنة (فعل يفعل) :

١ ـ أمِن يأمَن. قال تعالى: «قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف» يوسف/١١.

---

(١) بحوث ومقالات فى اللغة ٢٦٧.

(٢) السابق ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

«روى عن يحيى بن وثَّاب وأبى رُزَيْن والمطوعىّ (لا تِئْمَنَّا) بكسر أوله مع بقاء الهمزة، وهى لغة تميم»(١).

٢ ـ رَكِنَ (أو رَكَن) يرْكَنُ ـ مَسَّ يمسُّ. قال تعالى: ﴿ولا ترْكَنُوا إلى الَّذينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ هود/٥٣.

«قرأ محبوب عن أبى عمرو ويحيى بن وثاب وقتادة وطلحة الأشهب: (ولا تِركنوا) بكسر التاء، وهى لغة تميم فى مضارع عَلِمَ غير الياء. وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة والأعمش وطلحة بن مصرف وحمزة فى رواية (فتِمسّكم) بكسر التاء، وهى لغة تميم»(٢).

٣ ـ يئس ييأس. قال تعالى: ﴿وَلا تَيْأَسُوا مِن رَوْحِ اللَّهِ﴾ يوسف/٨٧.

«قرأ مجاهد والأعرج والمطوعى (ولا تِيْئَسوا) بكسر التاء وياء ساكنة بعدها همزة. وكسر أول المضارع لغة تميم وهذيل وقيس وأسد وبعض بنى كلب وربيعة»(٣).

٤ ـ عَثِىَ يَعْثَى. قال تعالى: ﴿ولا تَعْثَوْا في الأَرْضِ مُفْسِدِين﴾ البقرة/ ٦٠

«قرأ الأعمش والمطوعى (ولا تِعْثَوا) بكسر التاء. وقالوا: هى لغة تميم»(٤).

٥ ـ عَيِىَ يَعْيَى. قال تعالى: ﴿أو لَمْ يروْا أنَّ اللَّه الَّذي خلق السَّموات والأَرْض ولَمْ يعْيَ بِخلْقِهِنَّ بِقادرٍ علَىٰ أن يُحْيِيَ الْموْتَىٰ﴾ الأحقاف/٣٣.

---

(١) معجم القراءات ١٩٢/٤.
(٢) السابق ١٥٣/٤ ـ ١٥٤.
(٣) السابق ٣٢٧/٤.
(٤) السابق ١١٠/١.

«ذكر ابن خالويه أن الحسن قرأ (يِعْىَ) وأسد وربيعة ولغة هذيل، غير أنهم رأوا هذا الكسر في غير الياء لئلا يجمعوا ثقيلين: الكسر والياء»(١).

ـ كما ورد في القراءات أبنية على زنه فعل عى خلاف ما قرر القدماء، وذلك على النحو التالي:

١ ـ فَعَلَ يَفْعُل (فَرَغ يفْرُغ). قال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقلان﴾ الرحمن/ ٣١.

«قرأ أبو السَّمَّال وعيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو والمطوعي (سنفرغ) بكسر النون وفتح الراء... وقرأ أبو عمرو أيضاً (سِنِفْرِغ) بكسر النون والراء، وزعم أن تميماً تقول (نِعْلِم) كذا بكسر النون واللام»(٢).

٢ ـ فَعَلَ يَفْعِلُ (ضَلَّ يضِلُّ). قال تعالى: ﴿قُلْ إن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ سبأ/ ٥٠.

«قرأ عبدالرحن المقرىء وابن وثّاب وأبو حيوة (إِضَلُّ) بكسر الهمزة وفتح الضاد من (ضَلِلْتُ أَضَلُّ) وهي لغة تميم وقيس وأسد وربيعة وهذيل»(٣).

٣ ـ فَعَلَ يَفْعَلُ (نصَحَ يَنْصَحُ)، قال تعالى: ﴿أُبلِّغُكُمْ رسالات ربي وأَنصحُ لَكُمْ وأَعْلَمُ مِن اللَّه ما لا تعْلَمُون﴾ الأعراف/٦٢.

---

(١) السابق ٨/٥١٥.

(٢) السابق ٩/٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٣) السابق ٧/٣٩٥ ذكر صاحب معجم القراءات في الصفحة نفسها أن اللغة الفصحى هي (ضللت أضل) وهي لغة نجد، وقرأ بها الجمهور (أضل) ولغة الحجاز والعالية (ضللت أضل) وبها قرأ الحسن ويحيى بن وثاب.

«قرأ يحيى بن وثاب وطلحة (وإنصح لكم) بكسر أوله»(١).

٢ ـ ما ورد من غير الثلاثى فى المبدوء بهمزة وصل:

١ ـ استفعَل يستفعِل (استعان يستعين)، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة/٥.

«قرأ عُبَيد بن عُمَير الليثى وزرٌّ بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والمطوعى والأعمش (نستعين) بكسر النون فى أوله. وهى لغة تميم وقيس وأسد وربيعة ولغة هذيل وبعض قريش»(٢).

٢ ـ افعَلَّ يفعَلُّ (أبيَضَّ يبيضُّ ـ اسودَّ يسوَدُّ) قال تعالى: ﴿يوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ آل عمران/١٠٦.

«قرأ يحيى بن وثاب وأبو رزين العقيلى وأبو نهيك وأبو عمران الجونى (تبيض وتسود) بكسر التاء فيهما. وهى لغة تميم وأسد»(٣).

(١) السابق ٣/٨٦.
(٢) السابق ١/١٦ وقرأ بكسر النون من (نعبد) زيد بن على ويحيى بن وثاب وعبيد بن عمير الليثى. السابق ١/١٥.
(٣) السابق ١/٥٥٣.

٢ ـ حذف حركة الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها، تميم وقيس، وأسد وبكر وربيعة، حذف حركة الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية تخفيفاً، أسماء كانت أو أفعالاً.

وقد أشار إلى ذلك علماء العربية القدامى، يقول سيبويه فى:

«هذا باب ما يسكن استخفافاً وهو فى الأصل؛ وذلك قولهم فى فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفى كَبِدٍ: كَبْدٌ، وفى عَضُدٍ: عَضْدٌ، وفى الرَّجُلِ: رَجْلٌ، وفى كرم الرجل: كرم، وفى علم: علم. وهى لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم، وقالوا فى مثل: «لم يحرم من قصد له» وقال أبو النجم:

لو عُصْرَ منه البانُ والمسك انْعَصَرْ

يريد: عُصِرَ»(١).

يفهم مما سبق أن الكلمات الثلاثية التى تحذف حركة الحرف الثانى منها تكون على الأوزان الآتية:

١ ـ **فَعِلٌ** فى الأسماء، كفَخِذ وكَبِد، فيصيران: فَخْذ وكَبْد. **وفَعِلَ** فى الأفعال، كعَلِمَ، فيصير: عَلْمَ. وعن سبب هذا التخفيف يقول سيبويه:

«وإنما حملهم على هذا أنهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل»(٢).

---

(١) الكتاب ٤/١١٣ ـ ١١٤ وانظر الخصائص ١/٧٥.

(٢) السابق ٤/١١٤.

٢ـ **فُعِلَ** في الأفعال، كفُصِدَ وعُصِرَ، فيصيران: فُصْدَ وعُصْرَ. ويقول سيبويه عن هذا التخفيف:

«وكرهوا في عصر الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع، ومع هذا أنه بناء ليس من كلامهم إلا في هذا الموضع من الفعل، فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال»(١).

٣ ـ **فَعُلٌ** في الأسماء، كعَضُدٍ ورَجُلٍ، يصيران: عَضْدٍ ورجْلٍ **وفَعُلَ** في الأفعال، ككَرُمَ، فيصير: كَرْمَ.

ولم يذكر سيبويه سبب هذا الحذف، لأنه مفهوم من سبب تخفيف وزن فعل، حيث إنهم يكرهون الضمة بعد الفتحة كما يكرهون الكسرة بعدها، حيث إن الفتحة أخف والضمة أو الكسرة أثقل، فكرهوا الخروج من الأخف إلى الأثقل.

٤ ـ **فُعُلٌ** في الأسماء، مثل: الرُّسُل الطُّنُب والعُنُق، فتصير: الرُّسْل والطُّنْب والعُنْق. وعن هذا التخفيف يقول سيبويه:

«وإذا تتابعت الضمتان فإن هؤلاء يخففون أيضاً، كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان؛ لأن الضمة من الواو»(٢).

وإذا كان الحرف الثاني واواً مضمومة كان التخفيف أشد، نحو: نُوُرٍ وعُوُنٍ وقُوُلٍ، فتصير: نُوْرٌ وعُوْنٌ وقُوْلٌ؛ لأنهم إذا سكنوا في غير الواو

---

(١) السابق ١١٤/٤.

(٢) الكتاب ١١٤/٤.

كالرُّسُلِ والكُتُبِ كراهية الضمة فإن حاجتهم إلى التسكين عند وجود الواو والضمة أشد وذلك لثقل الواو والضمة(١).

٥ ـ فِعِلٌ فى الأسماء، كإبِلٍ، فتصير: إبْلٌ. وعن سبب التخفيف يقول سيبويه:

«وكذلك الكسرتان تكرهان عند هؤلاء كما تكره الياءان فى مواضع، وإنما الكسرة من الياء، فكرهوا الكسرتين كما تكره الياءان»(٢).

أما إذا توالت الفتحتان أى فتحة الفاء والعين على وزن (فعل) فى الأسماء، نحو: جَمَلٍ وحَمَلٍ، فإن سيبويه يرى أنهم لا يخففون، وذلك لخفة الفتحة، يقول:

«وأما ما توالت فيه الفتحتان فإنهم لا يسكنون منه، لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخف من الواو والياء... وذلك نحو: جملٍ وحملٍ ونحو ذلك»(٣).

غير أن القراءآت القرآنية ورد فيها تخفيف الحرف الثانى المفتوح كما سنرى فيما بعد عند عرضنا نماذج من القراءات القرآنية.

وهذا التخفيف الذى حدث فى العربية حدث ما يشبهه فى العبرية فى كلمة נֶפֶשׁ nĕp̄eš حيث صارت נַפְשׁ nap̄š وحركته النون فيها بالفتحة القصيرة بدلاً من الكسرة الممالة الطويلة، وبقيت تلك الكلمة بلا تخفيف فى الأكادية(٤).

---

(١) المنصف ٣٣٦/١ وأرى أن ما حدث فى الكلمات الثلاثة أن الواو سكنت فيها، ثم تماثلت الواو الساكنة مع الضمة السابقة فتحولت إلى ضمة مثلها، ثم تحولت الضمتان إلى ضمة طويلة: نُوْرٌ ـ عُوْنٌ ـ قُوْلٌ > نورٌ وعونٌ وقولٌ.

(٢، ٣) الكتاب ١١٥/٤ وانظر أسباب التخفيف السابقة كذلك: شرح الشافية ٤٢/١ ـ ٤٤ ولهجة تميم ١٥٦ واللهجات العربية ٣٠٣.

(٤) التطور النحوى ٦٨.

- ويدخل فى إطار ما سبق من التخفيف بعض الكلمات التي اتبعت فيها حركة أولها لحركة ثانيها، نحو: شَهِد ولَعِب ونَعِم وبَئِس، فتماثلت حركة الحرف الأول وهى الفتحة مع حركة الحرف الثانى وهى الكسرة، فتحولت إلى كسرة مثلها (مماثلة رجعية re-gressive) فصارت: شِهِد، ولِعِب ونِعِم وبِئِس، ثم حذفت حركة الحرف الثانى تخفيفاً، فصارت: شِهْد، ولِعْب ونِعْم وبِئْس.

هذا هو مفهوم كلام سيبويه التالى، يقول فى:

«هذا باب ما أسكن من هذا الباب الذى ذكرنا وتُرِك أول الحرف على أصله لو حُرِّك؛ لأن الأصل عندهم أن يكون الثانى متحركاً، وغَيَّرَ الثانى أوَّلَ الحرف، وذلك قولك: شِهْدَ ولِعْبَ، تُسكن العين كما أسكنتها فى علْم، وتدع الأول مكسوراً؛ لأنه للأخطل هكذا:

إذا غاب عنا غاب عنا فُراتُنا وإنْ شِهْدَ أجدى فَضْلُهُ وجداولُهْ

ومثل ذلك: نِعْمَ وبِئْس، إنما هما فَعِل، وهو أصلهما، ومثل ذلك: فيها ونِعْمَتْ، إنما أصلهما: فيها ونَعِمتْ. وبلغنا أن بعض العرب يقول: نَعْمَ الرَّجُلُ»(١).

- ولم يرد فى القراءات القرآنية مخففاً ثانية إلا على ثلاثة أبنية هى: فَعُل، وفَعِل، وفُعُل. وأكثرها وروداً فُعُلٌ، وفيما يلى استعراض أمثلة ذلك:

١- فَعُلَ

- (عَضُدَ) قال تعالى: «وما كنت متخذ المضلين عَضُداً» الكهف/ ٥١.

---

(١) الكتاب ٤/ ١١٦ وانظر كذلك: اللهجات العربية الغربية القديمة ١٧٦ والتطور النحوى ٦٨.

«قرأ عيسى بن عمر والأعرج وأحمد بن موسى عن أبى عمرو (عَضْداً) بفتح العين وسكون الضاد، وهو تخفيف من (فَعُل) قالوا: رَجُلٌ ورَجْلٌ وسُبُعٌ وسَبْعٌ. وهى لغة تميم وبكر»(١).

ـ (رَجُل) قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ يونس/٢

«قرأ رؤبة (إلى رَجْلٍ) بسكون الجيم، وهى لغة تميمية، يسكنون (فَعُلاً) نحو: سَبُعَ وعَضُدَ فى: سَبْعٍ وعَضْدٍ.

ـ (كَبُرَت) قال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ الكهف/٥.

«قرئ (كَبْرَتْ) بسكون الباء. وهى لغة تميم»(٣).

ـ (حَسُنَ) قال تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾النساء/ ٦٩.

«قرأ أبو السمال العدوى (حَسْنَ) بسكون السين. وهى لغة تميم»(٤).

٢ـ فَعِل:

ـ (عقبَيْه) قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ البقرة/ ١٤٣.

«قرأ ابن أبى اسحاق ﴿عَقْبَيْهِ﴾ بسكون القاف، وتسكين عين فَعِلَ اسماً كان أو فعلاً لغة تميمية»(٥).

---

(١) معجم القراءات ٥/٢٣٩.
(٢) السابق ٣/٤٩٠.
(٣) السابق ٥/١٥٣.
(٤) السابقة ٢/١٠٣.
(٥) السابق ١/٢٠٧.

ـ (فَنَظِرَة) قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ البقرة/ ٢٨٠.

«قرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن والضحاك وقتادة والوليد بن مسلم عن ابن عامر (فَنَظْرَةٌ) بسكون الظاء. وهي لغة تميمية، يقولون كبدٍ كبْدٌ»(١).

ـ (قَطِران) قال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ إبراهيم/ ٥٠.

«قرأ عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعيسى بن عمر والأعمش (من قَطْران) بفتح القاف وسكون الطاء»(٢).

ـ (نَعِم) قال تعالى: ﴿ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد/ ٢٤ «روى عن يحيى بن وثاب (فَنَعْمَ) بفتح النون وسكون العين، وهو تخفيف من (نَعِمَ) وتخفيف فَعِلَ لغة تميمية»(٣).

٣ ـ فَعَل:

ـ (رَغَداً) قال تعالى: ﴿ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ البقرة/ ٣٥.

«قراءة إبراهيم النخعي ويحيى بن وثاب (رَغْداً) بسكون الغين. وهي لغة تميم»(٤).

ـ (وَهَنُوا) قال تعالى: ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ﴾ آل عمران/ ١٥.

---

(١) السابق ١/ ٤٠٨.
(٢) السابق ٤/ ٥٢٢.
(٣) السابق ٤/ ٤١٣.
(٤) السابق ١/ ٨١.

«قرأ أبو السمال وعكرمة (وَهْنُوا) بإسكان الهاء، كما قالوا في نِعِمَ: نِعْمَ، وفي شَهِدَ: شَهْدَ، وتميم تسكّن عين فَعِلَ»[1].

٤ـ فُعُل:

ـ (الثُّلُث) قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ النساء/ ١١.

«قرأ الحسن ونعيم بن ميسرة والأعرج (الثُّلْث) بسكون اللام. وهي لغة تميم وربيعة»[2].

ـ (السُّدُس) قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ النساء/ ١١.

«قرأ الحسن ونعيم بن ميسرة والأعرج وأبو رجاء العطاري (السُّدْس) بسكون الدال. وهي لغة تميم وربيعة»[3].

ـ (رُسُل) قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ﴾ الأنعام/ ١٢٤.

«قرأ المطوعي (رُسْل) بضم فسكون، وهي لغة تميم وأسد وعامة قيس»[4].

ـ (أُكُلَهَا) قال تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ الكهف/ ٣٣.

---

(١) السابق ١/ ٥٩١.

(٢) السابق ٢/ ٢٦.

(٣) السابق ٢/ ٢٨.

(٤) السابق ٢/ ٥٣٩.

ـ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن واليزيدى والحسن (أُكْلَهَا) بسكون الكاف. وهى لغة تميم وأسد وعامة قيس»(١).

ـ (دُبُرَهُ) قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا ﴾ الأنفال/ ١٦.

«قرأ الحسن (دُبْرَهُ) بسكون الباء، وهو على التخفيف، وهو لغة تميم وأسد وعامة قيس»(٢).

ـ (عُرُباً) قال تعالى: ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ الواقعة/ ٣٧.

«قرأ حمزة وشجاع وعباس والأصمعى عن أبى عمرو وخارجة وكردم وأبو خليد عن نافع وحماد ويحيى عن أبى بكر وأبّان عن عاصم وإسماعيل وخلف والأعمش (عُرْباً) بسكون الراء للتخفيف. وهى لغة تميم وبكر ونجد»(٣).

* كما وردت قراءات أخرى من باب إتباع حركة الأول للثانى وهى:

ـ (صَدُقَاتهن) قال تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾النساء/ ٤.

«قرأ قتادة وأبو السمال (صُدْقَاتِهِنَّ) بسكون الدال، جمع صُدْقَة بوزن غُرْفَة. وهى لغة تميم»(٤).

صَدُقَاتهن > صُدُقَاتهن > صُدْقَاتهن.

ـ (قَطِران) قال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ إبراهيم/ ٥٠.

---

(١) السابق ٢٠٥/٥.

(٢) السابق ٢٧٣/٣.

(٣) السابق ٣٠١/٩.

(٤) السابق ١٢/٢.

«قرأ عيسى بن عمر والأعمش (من قِطْران) بكسر القاف وإسكان الطاء» وقال ابن جنى عن هذه القراءة وقراءة (قَطْران) السابقة:

«والأصل فيها قَطِران، فأسكنا على ما يقال فى كَلِمَةٍ: كَلْمَةٌ وكِلْمَةٌ، لغة تميمية»(١).

قَطِران > قِطِران > قِطْران.

ـ (عَضُداً) قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ الكهف/ ٥١.

«قرأ الحسن وعكرمة (عُضْداً) بإسكان الضاد ونقل حركتها وهى الضمة إلى العين، وهو تخفيف. وهى لغة تميم»(٢).

وأرى أن هذا ليس نقلاً إنما هو إتباع حركة العين لحركة الضاد، ثم تسكين الضاد وبحذف حركتها من باب التخفيف، ودليل ذلك قراءة «هارون عن أبى عمرو وشيبة وخارجة والحقاف والحسن وأبو زيد والأعرج وابن عامر (عُضُداً) بضمتين»(٣).

عَضُداً > عُضُداً > عُضْداً.

ـ ما يُحمل على تسكين الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية:

يحمل على الكلمات الثلاثية السابقة فى حذف حركة الحرف الثانى منها الشيئان المتصل أحدهما بالآخر حتى يصيرا كالكلمة الواحدة، ويشمل ذلك نوعين، هما:

الأول: الضميران (هو) و(هى) المسبوقان بواو العطف أو فائه أو لام الابتداء، أو همزة الاستفهام، ويكونان على وزنى فَعُلَ وفَعِلَ.

(١) السابق ٤/٥٢٢.

(٢، ٣) السابق ٥/٢٣٩.

ـ وزن فَعُلَ: نحو: وَهُوَ الله، وفَهُوَ ما ترى، فيصيران: وَهْوَ الله، وفَهْوَ ما ترى. وكذلك: لَهُوَ أفضل من عمرو، يصير: لَهْوَ أفضل من عمرٍو.

ـ وزن فَعِلَ: نحو: أَهِيَ عندك، يصير: أَهْيَ عندك، وقال الشاعر:

وقمت للصيف مرتاعاً وأرَّقني فقلت أَهْيَ سَرَتْ أم عادني حُلُمُ

وسبب هذا التخفيف هو الحمل ـ كما قلت ـ على ما كان من الكلمات الثلاثية التي على وزني فَعُلَ وفَعِلَ، وهذا هو مفهوم كلام ابن جني التالي:

«ووجه هذا أن هذه الأحرف لما كن على حرف واحد وضعفن عن انفصالها وكان ما بعدها على حرفين، الأول منهما مضموم أو مكسور أشبهت في اللفظ ما كان على فَعُلَ أو فَعِلَ، فخفف أوائل هذه كما يخفف ثواني هذه، فصارت (وَهُوَ) كعَضُدٍ، وصار (وَهْوَ) كعَضْدٍ، كما صارت (أَهِيَ) كعَلِمَ، وصار (أَهْيَ) بمنزلة عَلْمَ»(١).

ويري أن (ثُمَّ) لا تُعامل معاملة الحروف السابقة ـ الواو والفاء واللام والهمزة ـ لأن (ثم) منفصلة يمكن الوقوف عليها، فلا تخلط بما بعدها وتصير معه كالجزء الواحد كما حدث مع الحروف الأربعة السابقة، وبناء على هذا اعتبر قراءة أهل الكوفة: ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ الحج/١٥ بسكون لام (ليقطع) قبيحاً(٢).

أما ابن يعيش فيفسر تسكين اللام هنا على أساس أن الميم فقط لا (ثم) كلها صارت مع اللام والياء من (لِيَقْطَعْ) كالكلمة الواحدة على وزن

(١) الخصائص ٢/٣٢٩ ـ ٣٣٠ وانظر كذلك شرح الشافية ١/٤٥ وفقه اللغات السامية ٧٩.
(٢) الخصائص ٢/٣٣٠.

فَعِلَ، من هنا جاء التخفيف، وذكر أن ذلك يشبه قولهم: أراك مُنْتَفْخاً والمراد: مُنْتَفِخاً، حيث شبه (تَفِخا) بكَتِفٍ[1].

ـ وقد ورد فى القراءات القرآنية الضمير (هو) مسبوقاً بواو العطف وفائه واللام وثم، على وزن (فَعُلَ) على النحو التالى:

ـ (وَهُوَ) قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة/ ٢٩.

«قرأ بتسكين الهاء (وَهْوَ) نافع وأبو عمرو والكسائى وقالون وأبو جعفر والحسن واليزيدى. والإسكان لغة نجد»[2].

ـ (فَهُوَ) قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ الإسراء/٩٧.

«قرأ أبو عمرو والكسائى وأبو جعفر وقالون والحسن واليزيدى (فَهْوَ) بسكون الهاء. وهى لغة نجد»[3].

ـ (لَهُوَ) قال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الشعراء/ ١٤٠.

«قرأ قالون وأبو عمرو والكسائى وأبو جعفر والحسن واليزيدى (لَهْوَ) بإسكان الهاء. وهى لغة نجد»[4].

ـ (ثُمَّ هُوَ) قال تعالى: ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾ القصص/٦١.

---

(١) شرح المفصل ٩/١٤٠.

(٢) معجم القراءات ١/٢٢،

(٣) السابق ٥/١٢٣،

(٤) السابق ٦/٤٤٥.

«قرأ الكسائى والحلوانى عن قالون وأبو جعفر بخلاف عنه ونافع بخلاف عنه (ثُمَّ هْوَ) بسكون الهاء. والتسكين لغة نجد»[1].

الثانى: الفعل المتصل به ضمير نصب (فى موضع المفعول به)

وهذا الضمير يكون مع الحرفين الذين يسبقانه كالكلمة الواحدة، مع ملاحظة أن الحرف الثانى من هذين الحرفين هو الحرف الأخير من الفعل وأنه محرك بحركة الإعراب وعند التخفيف تحذف حركة الإعراب هذه. وهذا من باب إجراء المنفصل من كلمتين مجرى المتصل.

ومن خلال استعراض القراءات القرآنية المخفف فيها حرف الإعراب بحذف حركته وجدتها على الأوزان الآتية:

- فَعُلُ (يلعُنهمْ) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ البقرة/ ١٥٩.

«قراءة ابن محيصن (يلْعنهم) بسكون النون عن التخفيف، وهى لغة تميم»[2].

- (بعُولَتُهنَّ) قال تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ البقرة/٢٢٨.

«قرأ مسلمة بن محارب (وبُعُولَتْهنَّ) بسكون التاء فراراً من ثقل توالى الحركات، وقالوا هو لغة تميم»[3].

---

(١) معجم القراءات ٦٣/٧ ـ ٦٤.

(٢) السابق ٢٢٢/١.

(٣) السابق ٣١٣/١.

ـ فَعِل (بارِئِكُمْ) قال تعالى: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ البقرة/٥٤.

«قرأ أبو عمر واليزيدى وسيبويه والسوسى وعبدالوارث والدانى والفارسى وابن ظاهر بالإسكان (بارِئْكُمْ) وذلك إجراء للمنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة، فإنه يجوز تسكين مثل (إِبِل) فأجرى المكسورات فى (بارِئِكُمْ) مجرى إِبِلٍ، وإسكان الهمزة لغة بنى أسد وتميم وبعض بنى نجد طلباً للتخفيف»(١).

ـ فُعُل (يأمُرُكُمْ) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء/٥٨.

«قرأ أبو عمرو من رواية السوسى وابن محيصن (يأمُرْكُمْ) بسكون الراء، وهى لغة بنى أسد وتميم وبعض نجد طلباً للتخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال من نوع واحد كالضمة هنا»(٢).

ـ فعُل (يعلِّمُهُم) قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ البقرة/١٢٩.

«قرأ أبو عمرو وابن محيصن والسوسى (ويُعَلِّمْهُمْ) بإسكان الميم الأولى، وذهب ابن جنى إلى أن العلة فى الإسكان توالى الحركات مع الضمات، فيثقل ذلك عليهم، فيخففون بإسكان حركة الإعراب، وهى لغة تميم»(٣).

---

(١) السابق ١/١٠١.

(٢) معجم القراءآت ٢/٩٣ كما وردت كذلك كلمة (يأمركم) الأعراف/١٥٧ فى المعجم ٣/١٨١.

(٣) السابق ١/١٩٦.

ـ (يُشْعِرُكُمْ) قال تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنعام/١٠٩.

«قرأ أبو عمرو وابن فرح عن اليزيدى والسوسى وابن محيصن (وما يُشْعِرْكُمْ) بسكون الراء. وهى لغة بنى أسد وتميم وبعض نجد طلباً للتخفيف»(١).

** وأرى أن السبب فى التخفيف فى كل ما سبق لا يعود إلى كراهية الضمة أو الكسرة بعد الفتحة أو إلى كراهية الضمتين كما ذكر القدماء من علمائنا ، وإنما يعود إلى ظاهرة النبر، وواضح فيما سبق أن هذه الكلمات الثلاثية عبارة عن ثلاثة مقاطع من النوع القصير المفتوح، أى المكون من صامت + حركة قصيرة (ص ح) ومن القواعد المقررة فى النبر أنه يقع على المقطع الثالث من الكلمة حين نعد المقاطع من آخر الكلمة إذا كانت المقاطع الثلاثة من النوع السابق (ص ح) يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس:

«أما فى الفعل الماضى الثلاثى مثل: كَتَب وفَرِحَ وصَعُبَ، فالنبر يكون على المقطع الثالث حين نعد المقاطع من آخر الكلمة»(٢).

ويقول الدكتور عبدالفتاح إبراهيم: «وإذا كانت المقاطع الثلاثة الأخيرة من نوع المقاطع القصير (CV) فإن النبر يقع على المقطع الثالث ابتداء من الآخر: قَـ/تَـ/لَ ـ مَكْتَـ/بَـ/تُـ/ـه»(٣).

---

(١) السابق ٢/٥١٨.

(٢) الأصوات اللغوية ١٧٢.

(٣) مدخل فى الصوتيات ١٦٧.

ويقول بروكلمان:

« فى اللغة العربية القديمة يدخل نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن فى الكلمة مقطع طويل فإن النبر يقع على المقطع الأول منها»(١).

معنى هذا يمكن أن نقول إن حذف حركة المطع الثانى يعود إلى أن هذا المقطع غير منبور، كما يمكن رده كذلك إلى إيثار المقاطع المغلقة على المفتوحة.

يقول غالب فاضل المطلبى بعد ذكره علل القدماء التى أوردناها من قبل:

«غير أننى أرى أن هذه ليست بالعلة الوحيدة للتخفيف عند تميم، ذلك أن مسألة التخفيف ليست إلا أحد وجوه ظاهرة كبيرة فى لهجة تميم، تلك الظاهرة هى النظام المقطعى، كما أنه يؤدى دوراً بارزاً فى سرعة النطق التى كانت إحدى صفات لهجة تميم، ومما يوضح أهمية التخفيف أيضاً أن التميميين قد بالغوا فيه حتى أنهم غلبوه على حركة الإعراب كما فى قراءة ابى عمرو (يأمُرْكُمْ) ولعل أقل ما يمكن أن يقال فى هذا المجال: إن لهجة تميم كانت تميل إلى المقاطع المغلقة، فتقول فى كَبِد: كَبْدْ... إلخ وإلى الضغط (النبر) فى مكان بعينة»(٢).

---

(١) فقه اللغات السامية ٤٥.

(٢) لهجة تميم ١٥٦.

٣ ـ الإتبـــاع

يشيع فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها ظاهرة الإتباع فى الحركات، وبذلك يحدث الانسجام، ومن خلال استعراض القراءات القرآنية وجدت أن الإتباع فى الحركات يتنوع فيما يأتى:

١ ـ كسر فاء فعيل إتباعاً للعين إذا كانت من حروف الحلق.

٢ ـ إتباع حركة ضمائر الغيبة لياء أو كسرة قبلها.

٣ ـ إتباع حركة واو العطف وفائه لكسرة همزة إن.

٤ ـ إتباع حركة الضمير (ها) للضمة فى (أىُّ) و(أيُّهُ) فى أيُّها وأيَّتُها.

٥ ـ إتباع حرف الإعراب لما ليس حرف إعراب والعكس.

٦ ـ إشمام الصاد زاياً إذا جاورت صوتاً مجهوراً.

وفيما يلى بيان ذلك

١ ـ كسر فاء فعيل إتباعاً للعين إذا كانت من حروف الحلق

نُسب إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إتباع فاء فعيل للعين إذا كانت من الحروف الحلقية الستة ـ الهمزة والهاء والحاء والخاء والعين والغين ـ مثل: لئيم، وشهيد، وسعيد، ونحيف، ورغيف، وبخيل، وبئيس(١).

---

(١) الكتاب ٤/١٠٧ ـ ١٠٨ وانظر كذلك: الخصائص ٢/٢٣٦ وشرح الشافية ١/٤٠.

وذكر ابن جنى أن القاف تحمل على الخاء لأنها قريبة منها فى المخرج، فتكسر الفاء قبلها كذلك كما تكسر قبل الخاء، ومثل لذلك بما حكاه الأخفش من قولهم: النقيد[1].

وعن السبب فى كسر الفاء إذا كانت العين من حروف الحلق، يقول سيبيويه:

«وإنما كان هذا فى هذه الحروف؛ لأن هذه الحروف قد فعلت فى (يَفْعَلُ) ما ذكرت لك حيث كانت لامات، من فتح العين، ولم تفتح هى أنفسها لأنه ليس فى الكلام (فَعَيْلٌ) ... فلزمها الكسر ههنا وكان أقرب الأشياء إلى الفتح، وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها لما ذكرت لك، فكسرت ما قبلها حيث لزمها الكسر، وكان ذلك أخف حيث كانت الكسرة تشبه الألف فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد، كما أنهم إذا أدغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد، وإنما جاز هذا فى هذه الحروف حيث كانت تفعل فى (يَفْعَلُ) ما ذكرت لك، فصار لها فى ذلك قوة ليست لغيرها»[2].

ويفهم من كلام سيبويه السابق ما يأتى:

١ ـ الحروف الحلقية إذا وقعت فى موضع اللام فى الفعل تغير حركة العين من الكسر إلى الفتح وذلك لخفة الفتحة وانسجامها مع الحروف الحلقية، فلما وقعت هى نفسها فى موضع العين فى صيغة (فَعِيل) لم تفتح لئلا يتحول (فَعِيل) إلى فَعَيْل) مما يؤدى إلى بناء مرفوض، فكان لابد من كسر ما قبلها.

---

(١) الخصائص /٢٣٦.

(٢) الكتاب ٤/١٠٨.

٢ ـ غير حروف الحلق المكسورة حركة الفاء التى قبلها من الفتح إلى الكسر أى مثل حركتها (مماثلة رجعية regressive) وذلك لأن الكسر قريب من الفتح كما يقول الرضى(١)، فكأنها بذلك قد غيرت ما قبلها إلى الفتح؛ لأن عادة حروف الحلق دائماً أن تُغير ما قبلها أو تغير نفسها، فلما امتنع تغيير نفسها من الكسر إلى الفتح غيرت ما قبلها.

٣ ـ مال التميميون إلى هذا التغيير بغية الانسجام ليكون العمل من وجه واحد لا من وجهين (فتح ثم كسر) وهذا كما يقول سيبويه يشبه الإدغام، حيث إن الغرض منه هو رفع اللسان من موضع واحد بالحرفين معاً، أى النطق بهما من مخرج واحد.

وقد جعل ابن جنى ذلك من باب الإدغام الأصغر الذى عرفه بأنه «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام» وعد من ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق فى وزن فعيل، كقولهم: شِعيرٌ، وبِعيرٌ، ورِغيفٌ، وزِئيرٌ الأسد(٢).

ولا شك أن هذا الانسجام الصوتى بتتابع الحركات مما تتطلبه السرعة فى النطق التى هى من خصائص أهل البادية(٣).

وقد ورد هذا الإتباع فى القراءات القرآنية فى موضعين هما:

١ ـ (بهيمة) قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ المائدة/١.

---

(١) شرح الشافية ٤١/١ ويرجع السبب فى قرب الكسرة من الفتحة أنهما من الحركات الأمامية المفتوحة عكس الضمة فإنها من الحركات الخلفية الضيقة.

(٢) الخصائص ١٤٣/٢ و١٤٦.

(٣) اللهجات العربية ٢٩٧.

«قرأ أبو السمال (بهيمة) بكسر الباء، وهى لغة تميم»[1].

٢ ـ (بَئِيس) قال تعالى: «وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيس» الأعراف/١٦٥.

«قرأ أهل مكة وابن كثير وابن عامر فى رواية وشبل (بِئِيْس) الباء مكسورة ثم همزة مكسورة وبعدها ياء ساكنة على زنة (فِعِيْل).

قال أبو حيان: وهى لغة تميم فى (فَعِيل) حلقى العين، يكسرون أوله سواء كان اسماً أو صفة»[2].

٢ ـ إتباع حركة ضمائر الغيبة لياء أو كسرة قبلها

تتماثل حركة ضمائر الغيبة مع الياء أو الكسرة السابقة عليها، فتتحول إلى كسرة فى لهجات قبائل وسط الجزيرة العربية ـ قيس وتميم وأسد ـ وكذلك بنو سعد غربى الجزيرة العربية، وبذلك يحدث الانسجام بين الحركات. وقبل أن أستعرض ما يدل على ذلك من القراءات القرآنية يجب أن نتعرف أصل حركة ضمائر الغيبة، وذلك على النحو التالى:

يرى سيبويه أن الأصل فى ضمير الغائب إذا كان لمفرد أن تكون حركة الضمة وبعدها واو (سهُو) أما إذا كان للجمع فإنه يكون بعد الهاء المضمومة ميم محركة بضمة وبعدها واو كذلك (سهُمُو) وإذا سبق هذان الضميران بكسرة أو ياء، فإن ضمة ضمير المفرد تتحول إلى كسرة، ثم تقلب الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها، وبالنسبة لضمير الجمع فإن الضمة فى الهاء والميم تتحول إلى كسرة، ثم تقلب الواو ياء كما حدث فى ضمير المفرد:

---

(١) معجم القراءات ٢/٢١٥.

(٢) السابق ٣/٢٠٠.

بِهُو / لَدَيْهُو > بِهِى / لَدَيْهِى.

بِهُمُو / لَدَيْهُمُو > بِهِمِى / لَدَيْهِمِى.

يقول سيبويه فى: «هذا باب ما تكسر فيه الهاء التى هى علامة الإضمار: اعلم أن أصلها الضم وبعدها الواو؛ لأنها فى الكلام كله هكذا، إلا أن تدركها هذه العلة التى أذكرها لك. وليس يمنعهم من أذكر لك أيضاً من أن يخرجوها على الأصل.

فالهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة؛ لأنها حفية كما أن الياء حفية، هى من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة، وهى من موضع الألف وهى أشبه الحروف بالياء. فكما أمالوا الألف فى مواضع استخفافاً، كذلك كسروا هذه الهاء، وقلبوا الواو ياء؛ لأنه لا تثبت واو ساكنة وقبلها كسرة، فالكسرة ههنا كالإمالة فى الألف لكسرة ما قبلها وما بعدها، نحو: كلابِ وعابدٍ، وذلك قولك: مررت بِهِى قبلُ، ولدَيْهِى مالٌ، ومررت بدارِهِى قبلً.

فإن لحقت الهاءَ الميمُ فى علامة الجمع كسرتها كراهية الضمة بعد الكسرة، ألا ترى أنهما لا يلزمان حرفاً أبداً، فإذا كسرت الميم قلبت الواو ياء كما فعلت ذلك فى الهاء»(١).

ويوضح ابن جنى أصل ضمير الجمع وما حدث له بقوله:

«أصله: (عَلَيْهُمُوْ، وإِلَيْهُمُوْ، وبِهُمُوْ). فالهاء للإضمار، والميم علامة تجاوز الواحد، والواو لإخلاص الجمع، ثم إنهم يبدلون ضمة الهاء كسرة

---

(١) الكتاب ٤/١٩٥.

لخفاء الهاء ووقوع الكسرة والياء الساكنة قبلها، فيقولون: (يليهمُو، ويهمُو، والِيهمُو) ثم إنهم قد يستثقلون الخروج من كسر الهاء إلى ضم الميم، فيبدلون من ضمة الميم كسرة، فيصير فى التقدير ولا يستعمل البتة (عليهمِوْ، وإليهمِوْ، وبهمِوْ) فتقلب الواو ياد لوقوع الكسرة قبلها، فيصير: (عليهمِى، وإليهمِى، وبهمِى)».

ثم يذكر بعد ذلك أن الياء الأخيرة هنا تحذف استثقالاً لها:

«ثم تستثقل الياء هنا، فتحذف تخفيفاً هى والكسرة قبلها، ولا يُخاف لبس لأن التثنية بالألف لابد منها، فيقال: (عَلَيْهِمْ، وإلَيْهِمْ، وبِهِمْ) وهى قراءة أبى عمرو»(

كما يذكر كذلك أن الياء الأخيرة فى ضمير المفرد تحذف:

«وتحذف أيضاً الياء الزائدة بعد هاء إضمار الواحد، نحو: مررت به يا فتى، قرأ بعضهم: ﴿فَخَسَفْنَا به وبِدَارِه الأَرْضَ﴾ القصص/٨١(١).

يفهم من كلام ابن جنى السابق أن الياء الأخيرة تحذف فى الضميرين ويبقى ما قبلها (الميم فى ضمير الجمع، والهاء فى ضمير المفرد) ساكناً لأن الياء تحذف مع الكسرة التى قبلها، وهذا صحيح ومستعمل بكثرة فى ضمير الجمع أما ضمير المفرد فلا يستعمل إلانادراً، ليس عند جميع القبائل العربية إنما عند بنى كلاب وبنى عقيل كما سنرى عند عرضنا للقراءات القرآنية فيما بعد.

والأمر كذلك بالنسبة لضميرى المثنى وجمع المؤنث:

---

(١) سر صناعة الإعراب ٢/٧٧٣ ـ ٧٧٤ ولا يُعرف قارىء هذه القراءة.

عَلَيْهُنَّ > عَلَيْهِنَّ

بِهُما > بِهِما(١)

وجميع ما ذكر هو ما عليه الفصحى، أما الحجازيون واليمنيون فيبقون على الحركة الأصلية للهاء فى جميع الضمائر، وهى الضمة القصيرة، وإن كان قبلها كسرة أو ياء يقول أبو حيان:

«يقول الفراء: قريش وأهل الحجاز ومن جاورهم من فصحاء اليمن يرفعون الهاء من: «نَزِّل عليهُ الذكر» الحجر/٦ وعليهُما، وعليهُمْ، وعليهُنَّ، ولا ريب فيهُ، ونزلتُ بهُ»(٢).

أما سيبويه فيذكر أنهم يُبقون على الحركة الأصلية لضمير المفرد وبعدها الواو، يقول:

«وأهل الحجاز يقولون: مررت بهُو قبل، ولديهو مال، ويقرءون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهُ وَبِدَارِهُ الأَرْضَ﴾ القصص/٨١(٣).

- وأرى من خلال ما سبق أن الأصل فى ضمير المفرد الغائب أن يكون محركاً بالضمة الطويلة وليس بضمة (ū) قصيرة بعدها واو كما ذكر، والدليل على ذلك أن أصل هذا الضمير فى العبرية هـو: הוּא hū فى آخره همزة، مما يدل على أنها كانت تنطق فى فترة سابقة (hū'a) ثم سقطت من النطق وبقيت الضمة الطويلة(٤).

---

(١) فقه اللغات السامية ٦٤.

(٢) الارتشاف ٢/٩١٨ وانظر كذلك اللهجات العربية الغربية القديمة ١٨٠.

(٣) الكتاب ٤/١٩٥.

(٤) التطور النحوى ٨٢.

وإذا سبق هذا الضمير بكسرة أو ياء فإنها تؤثر على حركة الضمير (مماثلة تقدمية progressive) فتتحول الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة، ثم تقصر.

ب ـِ هـ ـُـُ > ب ـِ هـ ـِـِ > ب ـِ هـ ـِ

د ـِ ل ـَ ى هـ ـُـُ > د ـِ ل ـَ ى هـ ـِـِ > د ـِ ل ـَ ى هـ ـِ

أما إذا كان الضمير للجمع فالأصل أن تكون الهاء فيه محركة بالضمة القصيرة والميم بالضمة الطويلة، لا بضمة قصيرة بعدها واو كما ذكر من قبل، ومما يدل على أن حركة هذه الميم الضمة الطويلة أنها في الحبشية هكذا: አንትሙ 'antemmū ثم إذا سبق هذا الضمير بياء أو كسرة فإنها تؤثر على ضمة الهاء (مماثلة تقدمية) فتتحول إلى كسرة قصيرة، ثم تحذف حركة الميم، وهى الضمة الطويلة، تخفيفاً.

ب ـِ هـ ـُ م ـُـُ > ب ـِ هـ ـِ م ـُـُ > ب ـِ هـ ـِ م

ء ـِ ل ـَ ى ـ م ـُـُ > ء ـِ ل ـَ ى هـ ـِ م ـُـُ > ء ـِ ل ـَ ى هـ ـِ م

وكذلك الأمر بالنسبة لضميرى المثنى والجمع، تتأثر حركتهما وهى الضمة القصيرة بالياء أو الكسرة (مماثلة تقدمية) فتتحول إلى كسرة قصيرة.

ب ـِ هـ ـُ م ـَـَ/ ء ـِ ل ـَ ى هـ ـُ م ـَـَ > ب ـِ هـ ـِ م ـَـَ/ ء ـِ ل ـَ ى هـ ـِ م ـَـَ

ب ـِ هـ ـُ ن ن ـَ/ ء ـِ ل ـَ ى هـ ـُ ن ن ـَ > ب ـِ هـ ـِ ن ـَـَ/ ء ـِ ل ـَ ى هـ ـِ ن ن ـَ.

وهذه المماثلة في لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها هو ما عليه الفصحى كذلك. وفيما يلي استعراض ما ورد من القراءات القرآنية منسوباً إلى هذه القبائل.

- (عَلَيْهِمْ) قال تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ الفاتحة/٧.

«قرأ عاصم وأبو عمرو وابن عامر والكسائى (عَلَيْهِمْ) بكسر الهاء وإسكان الميم، وهى لغة قيس وبنى أسد وتميم»(١).

- (إِلَيْهِمْ) قال تعالى: ﴿ وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم ﴾.

«قراءة الجماعة بكسر الهاء وذلك لمجانسة الكسر لفظ الياء. وهى لغة قيس وتميم وبنى سعد»(٢).

كما وردت قراءة (إليهم) منسوبة إلى هذه القبائل فى: الأعراف/٦(٣). والتوبة/٢٢(٤) وإبراهيم/١٣(٥).

- (لَدَيْهِمْ) قال تعالى: ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ الجن/ ٢٨(٦).

- (فِيهِما) قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ سبأ/٢٢(٧).

- (عَلَيْهِنَّ) قال تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ النور/ ٦٠(٨).

وتخريج هذه القراءات هو نفس تخرج (إليهم) فيما سبق.

---

(١) معجم القراءات ١/ ٢٠.
(٢) السابق ١/٦٥٢.
(٣) السابق ٣/٧.
(٤) السابق ٣/٤٧٨.
(٥) السابق ٤/٤٦٣.
(٦) السابق ١/١٣٤.
(٧) السابق ٧/٢٦٦.
(٨) السابق ٦/٣٠٣.

ملاحظة:

نسب إلى بنى عقيل وبنى كلاب ـ من قبائل وسط الجزيرة العربية ـ حذف حركة ضمير المفرد الغائب ومن ثم تكون الهاء الساكنة، والاختلاس أى اختلاس حركة الضم أى النطق بها خفيفة. يقول أبو حيان:

«والاختلاس وتسكين الهاء عند سيبويه ضرور، وحكاهما الكسائي عن بنى كلاب، وبنى عُقَيْل لغة، تقول: لهُ وبهِ، ولهْ وبهْ وقرأ أبو جعفر: لَهُ وبِهْ، ويعقوب «بيده» البقرة/٢٣٧ بالاختلاس على هذه اللغة»(١).

وقد وردت قراءتان منسوبتان إلى هاتين القبيلتين، وهما:

١ ـ (يَرْضَهُ) قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ الزمر/٧.

«قرأ أبو عمرو فى رواية الدورى، وأبو شعيب السوسى، وأوقية عن اليزيدى، وحمزة فى رواية العجلى وأبو جعفر وشيبه وهبيرة ويحيى والأعمش والدورى وابن جماز وهشام وأبو بكر عن عاصم، وحمزة عن الأعمش (يَرْضَهْ) بسكون الهاء.

قال أبو حاتم: هذا غلط لا يجوز. وقال أبو حيان: وليس بغلط، بل ذلك لغة بنى كلاب وبنى عقيل، وهو من إجراء الوصل مجرى الوقف»(٢).

٢ ـ (لربِهِ) قال تعالى ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ العاديات/٦.

«قُرِئَ (لربِّهْ) بسكون الهاء، وهو من إجراء الوصل مجرى الوقف، وهى لغة قليلة قرئ بها، ونقلت عن بنى كلاب وعقيل وسمعها منهم الكسائى. وقرأ باختلاس حركة الهاء، وهى الكسرة، وهى لغة عقيل وكلاب»(٣).

---

(١) الارتشاف ٩١٨/٢.

(٢) معجم القراءات ١٣٩/٨.

(٣) السابقة ٥٤٣/١٠.

٣ ـ إتباع حركة واو العطف وفائه لحركة إنّ

يُتبع بعض بنى أسد حركة واو العطف وفائه وهى الفتحة القصيرة لحركة إنّ وهى الكسرة القصيرة، وهو من باب المماثلة الرجعية regres-sive وهذا يدخل فى إطار ميل بعض أفراد هذه القبيلة إلى الانسجام بين الحركات، وهذا مما تتطلبه سرعة النطق الذى تتسم به لغة أهل البادية.

وقد ورد هذا منسوباً إليهم فى موضعين فى القراءات القرآنية، هما:

١ ـ إتباع الواو (وَأَنَّا)

قال تعالى: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ الجن/٥.

«قال ابن خالويه: وبعض بنى أسد يقولون: (وِإِنَّا ظُنَنَّا) بكسر الهمزة».

والأهل: وأَنَّا ثم كسرت الهمزة: (وَإِنَّا) وهذه قراءة «ابن كثير ونافع وأبو بكر عن عاصم وأبو عمرو ويعقوب والحسن وأبو جعفر ومجاهد ورزين جبيش وشيبه»(١) ثم كسرت الواو عند بعض بنى أسد على سبيل الإتباع للهمزة المكسورة، فصارت (وِإِنَّا) وذلك فى بقية السورة.

٢ـ إتباع الفاء (فِإِنَّهُمْ)

قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام/٣٣.

«قال ابن خالويه: حكى الأخفش أن بعض بنى أسد يقولون: (فِإِنهم لا يكذبونك)(٢).

---

(١) معجم القراءات ١٠/١١٩.

(٢) السابق ٢/٢١٩.

٤ـ إتباع حركة (ها) التنبيه لحركة (أيٌ وأيةٌ) في أيُّها وأيَّتُها

يُتبع بنو أسد حركة هاء التنبيه (ها) وهى الفتحة الطويلة لحركة (أىٌّ وأيَّةٌ) فى أيُّها وأيَّتُها، فتتحول إلى ضمة طويلة، ثم تقصر فتتحول إلى ضمة قصيرة.

ءَ ـ ى ى ـُ هـ ـَ ـَ > ءَ ـ ى ى ـُ هـ ـُ ـُ > ءَ ـ ى ى ـُ هـ ـُ

ءَ ـ ى ى ـَ ت هـ ـَ ـَ > ءَ ـ ى ى ـُ ت ـُ هـ ـُ ـُ > ءَ ـ ى ى ـ ت ـُ هـ ـُ

وقد ورد هذا فى موضعين فى القراءات القرآنية، هما:

١ـ الإتباع لأىّ (أيُّها)

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور/ ٣١.

«فى الوصل: قرأ ابن عامر (أيُّهُ المؤمنون) بضم الهاء إتباعاً للضمة قبلها، وهو عند العكبرىّ بعيد، وعند أبى على الفارسى قراءة ضعيفة. وذكر غيرهما أنها لغة بنى أسد. وهى عند ابن الأنبارى لغة»[١].

٢ـ الإتباع لأيَّة (أيَّتُها)

قال تعالى ﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ الفجر/٢٧.

«ذكر المراوى والشيخ خالد الأزهرى وغيرهما أنه قرئ (يأيَّتُهُ) بضم الهاء. وذكروا أنها لغة بنى مالك من بنى أسد[٢].

(١) معجم القراءات ٦/٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٢) السابق ١/٤٣١ ـ ٤٣٢.

٥ـ إتباع حركة حرف الإعراب لحركة ماليس حرف إعراب والعكس

١ ـ نسب فى القراءات القرآنية إلى تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إتباع حركة حرف الإعراب لحركة ماليس حرف إعراب، ويشاركها فى ذلك بعض غطفان، من قبائل غربى الجزيرة العربية، وذلك فى موضعين:

الأول: في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ الكهف/١.

حيث «قرأ الحسن (الحمدِ لِله) بكسر الدال على إتباع حركة اللام، وهو حرف معرب لحركة غير إعراب. وهى لغة تميم وبعض غطفان، يُتبعون الأول الثانى للتجانس»[١].

والثانى: فى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة/١.

فقد «قرأ الحسن وزيد بن على ورؤبة وأبو نهيك (الحمدِ لِله) بالكسر كذلك»[٢].

ويرى الفراء أن السبب فى هذا الإتباع يعود إلى كراهية وقوع الكسرة بعد الضمة، فثقل ذلك عليهم، ووجدوا أن الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد، مثل (إِبِلٍ) فكسروا الدال لتتشابه وكسرة اللام مع الكسرتين فى إبل[٣].

ومقتضى رأى الفراء هنا أن الكسر فى الدال لسببين، أولهما: كراهية الكسرة بعد الضمة، وثانيهما: وجود نظير له فى كلام العرب فى مثل (إِبِلٍ).

---

(١) السابق ١٤٥/٥.
(٢) السابقة ٤/١.
(٣) معانى القرآن ٣/١.

أما ابن جنى فيرى عكس ذلك، فالقراءة عنده شاذة فى القياس والاستعمال لسببين:

الأول: أن الأقيس فى الإتباع أن يكون الثانى تابعاً للأول؛ لأنه جارٍ مجرى السبب والمُسبَّب، ومن الواجب أن يكون السبب أسبق فى الرتبة، من المُسبَّب، وهذه القراءة فيها إتباع الثانى للأول، والقياس إتباع اللام لحركة الدال فى الضم، أى تكون (الحمدُ لُله) وهذه قراءة لابن أبى عبلة.

والثانى: أن الضمة فى الدال فى (الحمدُ) إعراب والكسرة فى اللام فى (لِله) بناء والإعراب أقوى من البناء، والقياس أن يكون الأضعف تابعاً للأقوى، لا العكس كما فى هذه القراءة[1].

وهذه القراءة تخضع لقانون المماثلة الصوتية، حيث أثرت حركة اللام وهى الكسرة على حركة الدال وهى الضمة، فتحولت إلى كسرة مثلها (مماثلة رجعية regressive) والهدف من هذه المماثلة إحداث الانسجام بين الحركات، وهذا كما ذكرت من قبل مما تتطلبه سرعة النطق عند أهل البادية.

٢ ـ أتبع بعض قيس، من قبائل وسط الجزيرة العربية، حركة ماليس حرف إعراب لحركة ما هو حرف إعراب، وقد نسب ذلك إليهم فى قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة/١.

حيث «قرأ الحسن (الحمدَ للَّهِ) بفتح اللام إتباعاً لنصب الدال. وهى لغة بعض قيس».

---

(١) المحتسب ١/٣٧ ـ ٣٨.

وجاء فى معجم القراءات أن نصب «الحمدَ لِله على إضمار فعل، وهى قراءة هارون العتكى ورؤبة وسفيان بن عيينة وزيد بن على والحسن وابن السميفع. وذكر الطوسى أن نصب الدال لغة فى قريش والحارث بن أسامة بن لؤى».

وجاء فى هامش المعجم أن تقدير الفعل المضمر الناصب هو: أحمدُ للهَ الحمدَ، فاستغنى عن ذكر (أحمد)(١).

ويبدو أن من خلال رأى ابن جنى السابق تعليقاً على القراءة الأولى (الحمدِ لِله) أن هذه القراءة قوية فى القياس والاستعمال؛ لأن فيها إتباع الثانى للأول، وليس العكس كما فى القراءة السابقة.

وهى أيضاً تخضع لقانون المماثلة الصوتية، حيث أثرت حركة الدال، وهى الفتحة، على حركة اللام، وهى الكسرة، فقلبتها فتحة مثلها (مماثلة تقدمية progressive) وهنا يحدث الانسجام كما فى القراءة السابقة.

والاتجاهان السابقان من الإتباع يدخلان تحت ما أسماه ابن جنى بالإدغام الأصغر، الذى عرفه بأنه: «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام» وذكر من أنواعه: تقريب الحركة من الحركة ومثل له بـ «الحمدُ لُله، والحمدِ لِله»(٢).

٦ ـ إشمام الصاد زايا

نُسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة قيس، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إشمام الصاد صوت الزاى، ومعنى ذلك كما يقول ابن يعيش:

---

(١) معجم القراءات ١/٥.

(٢) انظر الخصائص ٢/١٤٣ ـ ١٤٧.

«أن تنحو بالصاد نحو الزاى، فتصير حرفاً مخرجه بين مخرج الصاد ومخرج الزاى»(١)، محافظة على الإطباق لئلا يذهب لفظ الصاد بالكلية فيذهب ما فيها من الإطباق، والإطباق فضلة فى الصاد، فيكون إجحافاً بها»(٢).

معنى ذلك أن هذه الصاد المشمة زاياً تجمع بين صفتى الجهر التى هى من خصائص الزاى، والإطباق التى هى من خصائص الصاد. ونطقها كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس يُشبه نطق العامة من الناس فى مصر لصوت الظاء، أى أنها تكون ظاءً غير لثوية(٣).

ويحدث هذا النطق إذا جاورت الصاد المتحركة صوتاً مجهوراً، وقد ذكر أن هذا الصوت المجهور يكون واحداً من اثنين:

الأول: صوت الدال، مثل: صَدَرَ، وصَدَفَ(٤).

ويقل الإشمام، إذا كانت الصاد ساكنة، إذا فصل بينهما أكثر من حرف وحركة فلا يجوز الإشمام، ويقتصر فى ذلك على ما سمع عن العرب كلفظ الصاد، والمصادر(٥).

---

(١) مخرج الصاد والزاى عند القدماء مما بين طرف اللسان وفُوَيْق الثنايا ـ أى الثنايا السفلى ـ الأصوات اللغوية ١٣٢.
وهو شبيه إلى حد كبير بما عند علماء اللغة المحدثين، فالمخرج عندهم هو الأسنانى اللثوى، وعند النطق بهما يوضع طرف اللسان ضد الأسنان السفلى ومقدمه ضد اللثة، مع رفع مؤخر اللسان نحو الطبق مع الصاد لأنه صوت مطبق أو مفخم، ولا يحدث ذلك مع الزاى. راجع مناهج البحث فى اللغة ٩٩ ــ ١٠٠.

(٢) شرح المفصل ٥٣/١٠.

(٣) فى اللجهات العربية ٧٤.

(٤) سر الصناعة ٥١/١ وشرح الشافية ٢٣٢/٣.

(٥) شرح الشافية ٢٣٢/٣.

الثانى: صوت الطاء: يرى ابن جنى أن الصاد لا تُشم صوت الزاى إذا وقعت قبل غير الدال(١).

بينما يرى الرضى أنه يجوز إشمامها صوت الزاى إذا وقعت قبل الطاء وفُصل بينهما بأكثر من حرف، وعلل ذلك بأن الطاء كالدال، وذكر أن ذلك يُقتصر فيه على السماع(٢).

والمقصود بأن الطاء كالدال أى فى صفة الجهر فقط دون التفخيم فالطاء عند القدماء مجهورة، يقول سيبويه: «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً»(٣) وبما أن الدال مجهورة فالطاء كذلك، ولا فرق بينهما إلا فى صفة الإطباق، أو التفخيم، هذا هو مفهوم قول سيبويه.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن نطق الظاء مجهورة يشبه نطقنا الآن لصوت الضاد، وقد استنتج ذلك من قول ابن الجزرى: «إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة»(٤).

ويؤيد هذا الرأى أن بعض البدو فى اليمن لا يزالون ينطقونها على هذا النحو، فيقولون: مضر وأمضار، يقصدون: مطر، وأمطار(٥).

أما الفصحاء من متحدثى العربية اليوم فينطقونها بالهمس وهى النظير المفخم للتاء(٦).

عند القدماء: مجهورة، وهى النظير المفخم للدال.

---

(١) سر الصناعة ١/٥١.
(٢) شرح الشافية ٣/٢٣٢.
(٣) الأصوات اللغوية ٦٢ وانظر كذلك علم اللغة العام والأصوات ١٠٣.
(٤) الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين ٤٤.
(٥) الأصوات اللغوية ٦٢.

وعند المحدثين: مهموسة، وهى النظير المفخم للتاء.

وعلى هذا يمكن أن نعد نطقها الآن بالهمس من التغيرات التاريخية التى حدثت لهذا الصوت.

ويمكن أن نستنتج مما سُبق أن إشمام الصاد وزاياً يعود إلى أن هذه الصاد كانت مهموسة، وقد وقعت قبل صوت مجهور هو الدال أو الطاء، فتأثرت به، فنطقت صوتاً مجهوراً مثل نطق العوام من المصريين للظاء الفصيحة كما سبق أن ذكرنا، وهذه مماثلة رجعية regressive وذلك حتى يحدث الانسجام بين الحروف، وهذا أيضاً أدرجه ابن جنى تحت ما أسماه الإدغام الأصغر، وذكر أنه يدخل تحت ما أسماه: تقريب الحرف من الحرف[1].

ونطق الصاد بهذا النطق ورد فى القراءات القرآنية منسوباً إلى قبيلة قيس فى ستة مواضع، يمكن بيانها على النحو التالى:

١- صاد + دال (أصدق)

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ النساء/٨٧.

«قرأ حمزة وخلف ورويس بخلاف عنه والأعمش بإشمام الصاد الزاى للمجانسة والخفة. وهى لغة قيس»[2].

كما وردت هذه الكلمة كذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ النساء/١٢٢ وتخريجها هو نفس التخريج السابق[3].

---

(١) راجع الخصائص ٢/١٤٣ ـ ١٤٧.
(٢) معجم القراءات القرآنية ٢/١٢٢.
(٣) السابق ٢/١٦١.

٢ـ صاد + طاء (صِراط)

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ الأعراف/٨٦.

«قرأ خلف عن حمزة والمطوعى وخلاد بخلاف عنه بإشمام الصاد الزاى، ومعناه مزج لفظ الصاد بالزاى (صراط) وهى لغة قيس»(١).

كما وردت الكلمة نفسها فى ثلاثة مواضع، وتخريجها نفس التخريج السابق، وهى:

ـ قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ يونس/٢٥(٢).

ـ قال تعالى: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴾ طه/١٣٥(٣).

ـ قال تعالى: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ الفتح/٢(٤).

٥ـ الإمالة

نسب فى القراءات القرآنية إلى أهل نجد من تميم وقيس وأسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إمالة الألف نحو الياء(٥). وهذا على عكس أهل الحجاز، فهم يلتزمون بالفتح(٦).

---

(١) السابق ٣/١٠٣.
(٢) السابق ٣/٥٣١.
(٣) السابق ٥/٥٢١.
(٤) السابق ٩/٤١.
(٥) تنسب كذلك إلى بكر بن وائل وعبدالقيس وتغلب من القبائل الشرقية. فى اللهجات العربية.
(٦) وكذلك جميع القبائل التى تسكن غربى الجزيرة العربية، بما فى ذلك قبائل الحجاز، مثل: قريش وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة. فى اللهجات العربية ٦٠.

والإمالة، لغة مصدر: أملته أميله، والميل هو الانحراف عن القصد، فيقال فيه: مال الشيء، ومنه: مال الحاكم، إذا عدل عن الاستواء.

واصطلاحاً: العدول بالألف عن استوائها، والجنوح بها إلى الياء، فيصير مخرجها بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها(١).

والتفخيم هو الأصل والإمالة طارئة، والذى يدل على ذلك أنه يجوز تفخيم كل ممال ولا يجوز إمالة كل مفخم، وأيضاً فإن التفخيم لا يَحتاج إلى سبب والإمالة تحتاج إلى سبب(٢).

ومعروف أن الألف الممالة تكون فى الأصل مسبوقة بفتحة(٣)، وعند الإمالة تُمال الفتحة أولاً، فينحى بها نحو الكسرة ثم يُنحى بالألف التى بعدها نحو الياء، وذلك لتبعيتها للفتحة، كما فى كلمتى: عابد، وعارف، فتنطقان بالإمالة هكذا: ʿēbed ـ ʿērif (٤).

والهدف من الإمالة تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التجانس(٥).

---

(١) لا تميل جميع قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها بنسبة واحدة، بل كانت تلك الإمالة شديدة عند قبائل وسط الجزيرة، أما عند القبائل المتاخمة لمدن العراق فقد كانت صفيفة، أى قريبة من الفتح. فى اللهجات العربية ٦٠.

(٢) شرح المفصل ٩/٥٣ ـ ٥٤ وانظر كذلك: الارتشاف ٢/٥١٨ والتتمة فى التصريف ٢٦١ وشرح الشافية ٣/٤.

(٣) هذا هو تعبير القدماء دائماً، حيث يرون أن حروف المد الثلاثة ـ الألف والواو والياء ـ تسبق بحركة قصيرة من جنسها، فالألف قبلها فتحة، والواو قبلها ضمة، والياء قبلها كسرة. وهذا غير صحيح لأن حروف المد هذه حركة لما قبلها من حروف.

(٤) سر الصناعة ١/٥٢.

(٥) شرح المفصل ٩/٥٤.

ويُفهم مما سبق أن الإمالة مرحلة وسطى بين الفتحة والكسرة، ولا فرق بين الفتح والإمالة إلا فى وضع اللسان، إذ هو مع «الفتح يكاد يكون مستوياً فى قاع الفمّ، فإذا أخذ فى الصعود نحو الحنك الأعلى هو ذلك المقياس الذى يسمى عادة بالكسرة، طويلة كانت أو قصيرة. فهناك إذن مراحل بين الفتح والكسر لا مرحلة واحدة، من أجل ذلك كان القدماء يقسمون الإمالة إلى نوعين: إمالة خفيفة وإمالة شديدة.

وهكذا نرى أن الفرق بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ليس إلا اختلافاً فى وضع اللسان مع كل منهما حين النطق بهذين الصوتين، واللسان فى حالة الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه فى حالة ا لفتح»(١).

معنى هذا أن الإمالة لا تُعطى اللفظ الممال حقه من النغم الخاص به، إذ هى جنوح بالألف نحو الياء، أى ليست ألفاً خالصة، بل يكون مخرجها بين مخرج الألف ومخرج الياء. وهذا العمل لا يُستغرب من القبائل البدوية، وإنما يُستغرب العكس؛ لأن تحقيق جميع أصوات اللفظ وإعطاءها حقها من النغم طور نهائى فى صقل اللغة واستكمال أدواتها، وهو أجدر بأن يكون من خصائص اللغة الأدبية المصطفاة، لا من وظيفة لغة طائفة من البدو الرحل تلك اللغة التى هى عرضة للتغير والتأثر تبعاً لتنقلات أصحابها الذين لا يستقرون فى مكان»(٢).

وقد ذكر القدماء من علمائنا أسباب الإمالة، وحصروها فى ستة أسباب، يمكن بيانها على النحو التالى:

---

(١) فى اللهجات العربية ٦٤ ـ ٦٥.

(٢) دراسات فى فقه اللغة ١٠١.

١ ـ أن يكون قبل الألف أو بعدها كسرة، نحو: شِملالٍ، وسِربالٍ، وعالِمٍ، وعابِدٍ.

٢ ـ أن يكون قبل الألف ياء، نحو شَيْبان، وقيس عَيْلان.

٣ ـ أن تكون الألف منقلبة عن ياء، نحو: باعُ، وسَعَى، ورَقَى.

٤ ـ أن تكون الألف فى حكم المنقلبة عن الياء، نحو: حُبلى، وملهى، وسُكارى.

ويلاحظ أن الألف التى تمال هى:

أ ـ كل ألف رابعة ـ زائدة كانت، أو منقلبة عن ياء أو واو.

ب ـ كل ألف ثالثة، منقلبة عن ياء، لا عن واو.

جـ ـ الألف الثالثة فى الفعل وإن كانت منقلبة عن واو، نحو: غزا.

٥ ـ أن ينكسر ما قبل الألف فى حال، نحو: خاف، وصار، فتميل الألف؛ لأنك تقول: خِفْتُ، وصِرْتُ.

٦ ـ الإمالة للإمالة، كقولك: رأيتَ عِماداً، فتُميل الألف التى بعد الذال لإمالة الألف التى قبلها(١).

ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس والدكتور/ رمضان عبدالتواب، وأوافقهما على ذلك، أن الإمالة التى يُعبر عنها بالكسرة الممالة (ē) إنما هى تطور عن الصوت المركب Diphthong الذى هو عبارة عن الصوتين (aw) والذى تطور إلى (ō) و(ay) والذى تطور إلى (ē) ويريان أن هذه المرحلة هى المرحلة الثانية من مراحل تطور هذا الصوت المركب، وقد وقفت

---

(١) التتمة فى التصريف ٢٦١ ـ ٢٦٣.

القبائل البدوية عندها، ولم تتطور على ألسنتهم إلى الفتح الخالص (a) كما عند الحجازيين[١].

والدليل على أصالة الإمالة وأن العربية ليست بدعاً فى ذلك وجودها فى اللغة الحبشية، إذ هذه المرحلة الثانية (ē) و(ō) هى الشائعة فى الأفعال الجوفاء، فى مثل: ቆመ qōma قام و ሖረ hōrā هذب و ጾረ ṣōra حمل و ኮነ kōna كان (فى الواوى).

وكذلك: ሤመ šēma وضع و ቤተ bēta بات و ኬደ kēda دخل و ሤጠ šēṭa باع (فى اليائى)[٢].

أما المرحلة الأخيرة فى تطور الأصوات المركبة، فهى إخلاص الفتح، أى تطور الإمالة (ō) و(ē) إلى (ā)

aw > ō > ā / ay > ē > ā

وهذه المرحلة أصيلة، ودليل ذلك وجودها فى جميع الأفعال الجوفاء والناقصة فى العبرية والآرامية.

فمن أمثلة الأفعال الجوفاء: שָׁת šāṯ وضع و רָם rām ارتفع و גָּר gār سكن (فى العبرية) و ܩܳܡ qām أجاب و ܚܳܛ ḥāṭ خاط و ܣܳܡ sām وضع (فى الآرامية).

ومن أمثلة الأفعال الناقصة: עָנָה ʿānā قام و גָּלָה gālā جلا (فى العبرية) و ܪܡܳܐ rmā رمى و ܒܢܳܐ bnā بنى و ܩܪܳܐ qrā دعا/ سمى (فى الآرامية)[٣].

---

(١) فى اللهجات العربية ٩٠ ـ ٩١ وبحوث ومقالات فى اللغة ٢٤٨.

(٢) فى قواعد الساميات ٣٣٤.

(٣) بحوث ومقالات فى اللغة ٦٤ ـ ٦٥.

وهذه المرحلة التى هى آخر المراحل هى أرقى ما وصلت إليه العربية الفصحى على ألسنة الحجازيين وغيرهم من قبائل غربى الجزيرة العربية، والفتح هنا ـ كما يقول الدكتور/ إبراهيم أنيس ـ ليس له ما يبرره سوى الاقتصاد فى الجهد العضلى والميل إلى السهولة التى يلجأ إليها الإنسان فى معظم ظواهره الاجتماعية(١).

وفيما يلى استعراض ما نسب من إمالة لقبائل قيس وتميم وأسد.

١ـ (زادهم)

قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ البقرة/ ١٠.

«قرأ بالإمالة حمزة وابن عامر وابن ذكوان ونافع والحلوانى والأعمش وهشام بخلاف عنه (فزِادهم). والإمالة لتميم والتفخيم للحجاز»(٢).

وسبب الإمالة هنا راجع إلى أن الألف هنا منقلبة عن ياء، إذ أصل: زاد (زَيَدَ) الذى صار بعد ذلك (زَيْدَ) بتسكين الياء ونشوء الصوت المركب (ay) ثم تحول إلى (Zēda زِادَ) وأخيراً الفتح الخالص (زَادَ Zāda).

٢ـ (آذانهم)

قال تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ البقرة/ ١٩.

«أمال الألف الثانية الدورى عن الكسائى. والإمالة لغة تميم وقيس وأسد»(٣).

---

(١) فى اللهجات العربية ٦٧.
(٢) معجم القراءات ١/ ٤٣.
(٣) السابق ١/ ٥٥.

وسبب الإمالة هنا راجع إلى أن ما بعد الألف الثانية هنا كسرة، كما أنها أى الألف رابعة وزائدة.

٣ـ (استوى) و(سواهُنَّ)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة/٢٩.

«(استوى) أهل الحجاز على الفتح، وأهل نجد على الإمالة، وقرئ فى السبعة بهما، فقد قرأ حمزة والكسائى وخلف بالإمالة».

«(فسواهن) فى هذا الفعل ما فى الفعل السابق (استوى) من الإمالة والفتح»(١).

وسبب الإمالة هنا راجع إلى أن الألف منقلبة عن ياء، فأصل (استوى) > اِستَوَىَ > اِسْتَوَيَ > اِسْتَوِى > stawē' > استوى stawā'

وأصل (سُوَّاهُنَّ) سَوَّيَهُنَّ > سَوَّيْهُنَّ > سَوّاهُنَّ sawwēhunna > سَوَّاهُنَّ sawwāhunna.

٥ ـ المحافظة على الهمزة

تظهر نزعة التخلص من الهمزة فى اللهجات العربية الغربية، ويشاركها فى ذلك من اللغات السامية الآرامية، أما فى اللهجات العربية الشرقية فيظهر فيها شدة المحافظة عليها، ويُشاركها فى ذلك من اللغات السامية الأوجريتية، غير أنه يُلاحظ أن فيها حالات تخلصت فيها من

---

(١) السابق ١/٧١،

الهمزة، كما فى (يُفْعِلُ) مضارع (أفعل) المتعدى بالهمزة، وأصل المضارع (يُؤَفْعِلُ) وكذلك لفظ الجلالة (الله) وهو من (الإله)(١).

وفيما يلى الحديث عن بعض أحكام الهمزة فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها كما جاء فى القراءات القرآنية، مع ملاحظة أن هذه الأحكام نسبت إلى قبيلة تميم من قبائل وسط الجزيرة.

أولاً: الهمزة المفردة

١ـ الهمزة المتحركة بعد ساكن:

فيها اتجاهان عند تميم. **الاتجاه الأول: فى فعل الأمر من مهموز العين**، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ البقرة/ ٢١١.

فى كلمة (سَلْ) قراءتان:

الأولى: عدم حذف الهمزة (اسْأَلْ) وهى قراءة أبى عمرو فى رواية ابن عباس. وهى لغة لبعض تميم.

الثانية: بحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى السين الساكنة، وعدم حذف همزة الوصل (اسَلْ) وهى قراءة قوم، وأصله (اسْأَلْ) فنقل حركة الهمزة إلى السين، وحذف الهمزة التى هى عين ولم تحذف همزة الوصل؛ لأنه لم يُعتدّ بحركة السين لعروضها، وهى لغة لبعض تميم»(٢).

والقراءة الثانية التى خففت فيها الهمزة شبيهة بما حدث للأمر من هذا الفعل عند الحجازيين وغيرهم، وتخالفهم فقط فى عدم حذف همزة

---

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة ٢٣٦.

(٢) معجم القراءات ١/٢٨٨.

الوصل، والسبب فى عدم حذف همزة الوصل عند تميم أنه لم يعتد بالحركة المنقولة إلى السين لأنها حركة عارضة، فكأن السين هنا ساكنة تقديراً، أما الحجازيون وغيرهم فحذفوها وذلك لاعتدادهم بتلك الحركة وإن كانت عارضة. اسْأَل > اسأَلْ > اسَلْ (عند تميم).

اسْأَلْ > اسأَلْ > اسَلْ > سَلْ (عند الحجازيين).

الاتجاه الثاني: في مضارع رأى (يَرْأَى)

يُبقى على الهمزة المتحركة بعد ساكن فى مضارع رأى (يَرْأَى) والهمزة هنا فى موضع العين. مثال ذلك: قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ الفيل/١.

«قرأ السُّلَمِىّ (تَرْأَ) بهمزة مفتوحة وسكون الراء على الأصل. وهى لغة تميم»(١).

الأصل: (تَرْأَى) ثم حذفت الألف الأخيرة بسبب الجزم لأن المعتل الآخر إذا جزم حذف حرف العلة ـ هذا هو تعبير القدماء ـ أما التفسير الصوتى لذلك فهو أن الألف هنا فتحة طويلة، وأن ما حدث هنا هو تقصير هذه الفتحة الطويلة.

ت ـ رءـَـَـ ء ـَ ل ـَ م > ت ـَ رء ـَ ء ـَ ل ـَ م

وقد عد النحاة الإبقاء علي الهمزة المتحركة بعد ساكن حملاً على لغة تميم من ضرورة الشعر، واستشهدوا لذلك بثلاثة شواهد: هى:

١ ـ أُرِى عَيْنَىَّ ما لم تَرْأَياهُ كِلانا عالمٌ بالتُّرَّهاتِ

---

(١) معجم القراءات ١٠/٥٨٨.

٢ ـ ثُمَّ اسْتَمَرَّ بها شَيْحان مُنْتَجِعٌ   بِالْبَيْنِ عنك بما يرآك شنآنا[١]

٣ـ ألم ترْأَ ما لاقيتَ والدَّهرُ أَعْصُرٌ   ومنَ يَتَمَلَّ العيشَ يرْأى ويسمعِ[٢]

وهذا الأصل الذى حافظت عليه تميم حافظت عليه العبرية كذلك، فمضارع رأى (רָאָה rāʾā) هو: יִרְאֶה yirʾe يرى[٣].

وهذا الأصل تغير على ألسنة الحجازيين، وعليه الفصحى كما فى الآية الكريمة السابقة، وذلك بحذفها وإلقاء حركتها على الساكن الذى قبلها، مع ملاحظة أن أصل المضارع أن يكون مكسور العين لأن الماضى مفتوح، ثم تحولت إلى فتحة لأن العين حرف حلق.

يرْئىِ   يرْأَى   يرَى

ويرى ابن يعيش أن الهمزة حذفت وألقيت حركتها علي الساكن الذى قبلها أولاً فى المضارع المبدوء بهمزة المضارعة، وعلل ذلك بأن (أرْأَى) قد اجتمع فيه همزتان بينها ساكن، والساكن حاجز غير حصين، فحذفت الثانية على حد حذفها فى (أُكْرِم) ثم حمل عليه صور المضارع الأخرى المبدوءة بالتاء والياء والنون وإن لم تلتق همزتان بينهما ساكن، وذلك طرداً للباب على وتيرة واحدة، فالحذف هنا سببه كثرة الاستعمال.

ثم يرى كذلك أن حذف الهمزة هنا يمكن أن يكون على سبيل التخفيف القياسى ، أى قياسها على حذفها وإلقاء حركتها على الساكن الذى

---

(١) شرح المفصل ٩/١١٠.
(٢) شرح مختصر التصريف العربى ١٧٩.
(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة ٢٣٦.

قبلها كما فى قراءة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون/١[١] وكذلك كما فى قراءة قوله تعالى ﴿ يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾ النمل/٢٥[٢].

٢ـ الهمزة الساكنة بعد متحرك:

فيها اتجاهان عند تميم:

الاتجاه الأول: الإبقاء عليها، مثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ يوسف/١١.

«روى عن يحيى بن وثاب وأبى زُزين والمطوعى (لا تِئْمنا) بكسر أوله مع بقاء الهمزة، وهى لغة تميم»[٣].

يلاحظ فى هذه القراءة شيئان: أولهما: كسر حرف المضارعة (التاء) وهو اتجاه تميم ومعها كثير من اللهجات العربية من شرقى الجزيرة ووسطها وغربيها باستثناء الحجازيين، منهم يفتحون، وقد عالجنا ذلك عند حديثنا عن كسر حروف المضارعة.

والثانى: أن الهمزة هنا بقيت لم تسهل، وهذا أحد اتجاهين عند تميم. وهذا الاتجاه هو الأصل.

الاتجاه الثانى: تسهيلها بإبدالها حرفاً من جنس حركة ما قبلها

ويمكن التمثيل لذلك بالقراءة الثانية لكلمة (لا تأمنا) فى الآية السابقة، فقد «قرأ ابن وثاب وأبو رُزَيْن وكذا الأعمش رواية وعبدالله بن

---

(١) قرأ بذلك مدش عن نافه (قَدَ افلح) بنقل حركة الهمزة إلى الدال الساكنة تميلها ثم حذفها، وقرأ بذلك أيضاً ابن ذكوان وحفص وإدريس. معجم القراءات ٦/١٥١.

(٢) شرح المفصل ٩/١١٠ وهذه القراءة لأبى وعيسى وعكرمة ومالك بن دينار (الخب) بنقل حركة الهمزة إلى الياء الساكنة قبلها ثم حذفها. معجم القراءات ٦/٥٠٧.

(٣) معجم القراءات ٤/١٩٢.

مسعود (لا تَيَمنا) بكسر حرف المضارعة، وتسهيل الهمزة وهى تخالف المصحف. وهى لغة تميم»(١).

يرى القدماء أن الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ـ كما فى «تأْمنا» ـ تُبدل حرفاً من جنس ما قبلها، فتبدل ألفاً إذا فتح ما قبلها، كما فى نحو: رأْس، وبأْس، وقرَأْت، فتصير: راس وباس، وقرات. وتُبدل واواً إذا انضم ما قبلها كما فى نحو: الجُؤْنة والبُؤْس والمؤْمن، فتصير: الجُونة والبُوس، والمُومن. وتُبدل ياء إذا انكسر ما قبلها، كما فى نحو: الذِّئْب والمِئْرة، فيصران: الذِّيب والمِيرة(٢).

وأرى أن ما حدث فى كلمة (لا تِيمنَّا) السابقة وما شابهها من الكلمات السابقة المسهلة التى ذكرها سيبويه، أن الهمزة الساكنة لم تُبدل فيها حرفاً من جنس حركة ما قبلها، بل حذفت وأطيلت الحركة السابقة عليها. فلما كسر حرف المضارعة (التاء) سُهلت الهمزة بحذفها وإطالة الحركة السابقة عليها، فصارت كسرة طويلة:

ل ـَ ـَ ت ـَ ء ـْ م ـَ ن ن ـَ ـَ > ل ـَ ـَ ت ـِ ء ـْ م ـَ ن ن ـَ ـَ > ل ـَ ـَ ت ـِ ـِ م ـَ ن ن ـَ ـَ

والتسهيل هذا مرحلة متأخرة، ويبدو أن من سهل الهمزة من التميميين هنا متأثر بلهجة أهل الحجاز؛ لأنهم لا يحققون الهمزة.

ثانيا: التقاء الهمزتين

التقاء الهمزتين فى كلمة واحدة فى موضع العينين جائز، كما فى نحو: سَأَّال، وجَأَّار، أما التقاؤهما غير عينين فشاذ عند ابن جنى، ولذلك عد قراءة الكسائى ﴿ أئمَة ﴾ التوبة/١٢ شاذة.

---

(١) السابق ٤/١٩٢.

(٢) الكتاب ٣/٥٤٣ ـ ٥٤٤.

ويري أنهما في كلمتين ضعيف وليس لحناً، نحو: قرأ أبوك، وقوله تعالى ﴿السُّفَهَاءُ أَلا﴾ البقرة/١٣، وقوله تعالي: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ﴾ الحج/٦٥ وقوله تعالى: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١).

وقد نسب في القراءات القرآنية إلى تميم التقاؤهما في كلمتين، وهاتان الهمزتان متحركتان، ولهم فيها اتجاهان:

الاتجاه الأول: تحقيقهما.

مثال ذلك (أَأَنذرتهم) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة/٦.

«قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وابن ذكوان وهشام ورَوْح وخلف والحسن وابن عباس والأعمش وابن أبي إسحاق بتحقيق الهمزتين (أَأَنذرتهم) وهي لغة تميم»(٢).

فالهمزة الأولى للاستفهام، والثانية في الفعل وهي حرف مزيد، والفعل على وزن (أفعل).

الاتجاه الثاني: تحقيقهما مع إقحام ألف بينهما.

مثال ذلك (أَإذا) و(أَإنا) في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ الرعد/٥.

«أَإذا. قرأ هشام بتحقيق الهمزتين مع إدخال ألف بينهما (آإذا) وهي عن بني تميم...

(أإنا) هشام يحقق الهمزتين ويُدخل بينهما ألفاً بخلاف عنه، وهي رواية بعض أصحاب ابن عامر عنه (آإنا) وهي لغة تميم»(٣).

ويرى ابن يعيش نقلاً عن سيبويه أن إقحام ألف بين الهمزتين يعود إلى كراهتيهم التقاء همزتين. أما أهل الحجاز فخففوا الثانية بجعلها بين

(١) الخصائص ١٤٣/٣.
(٢) معجم القراءات ٣٥/١.
(٣) السابق ٣٨٤/٤.

بين بعد إقحام الألف لأنهم يكرهون الهمزة المفردة، وكراهية أشد عند التقاء الهمزتين. يقول ابن يعيش:

«قال سيبويه: «ومن العرب ناس يُدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً».

وذلك لأنهم كرهوا التقاء الهمزتين، ففصلوا بينهما بألف كما قالوا: أخشينان، ففصلوا بألف بين النونات، كراهية التقاء هذه الحروف المضاعفة، فأما قول الشاعر:

فياظبية الوعساءِ بين جُلاجِلٍ   وبين النَّقَا آأنت أَمْ أُمُّ سالمِ

البيت لذى الرمة، والشاهد فيه إدخال الألف بين الهمزتين من قوله (آأنت) كراهية اجتماع الهمزتين كما دخلت بين النونان فى قولهم: (اضربنان) كراهية اجتماعهما.

وأما البيت الآخر وهو:

حُزُنٌ إذا ما القومُ أبدَوْا فُكاهةً   تفكَّرَ آإِيَّاهُ يَعْنُونَ أم قِرْدا

أنشده أبو زيد فى نوادره، قال أنشدناه الأعراب، وأنشده الجوهرى فى كتابه، والشاهد فيه قوله (آإياه) بإدخال الألف بين همزة الاستفهام وبين الهمزة التى هى فاء.

وقد قرأ ابن عامر: آأنذرتهم أم لم تُنْذِرْهُم» وكذلك «آإنك لأنت يوسف» ثم بعد دخول ألف الفصل منهم من يحقق الهمزتين وهم بنو تميم، ومنهم من يخفف الثانية، وهم أهل الحجاز، وهو اختيار أبى عمرو»(١).

والألف التى بين الهمزتينِ فيما سبق ليست مقحمة كما ذكر ابن يعيش نقلاً عن سيبويه، وإنما هى مد لحركة الهمزة الأولى وهى الفتحة القصيرة(٢).

---

(١) شرح المفصل ١١٩/٩ ـ ١٢٠.
(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة ٢٣٧.

٦ ـ المعاقبة بين الكسرة والضمة

تؤثر لهجات وسط الجزيرة العربية، مثل: تميم وقيس وأسد وبعض اللهجات من شرقيها مثل بكسر الضمة على الكسرة فى الكلمات التى تستعمل فى لغة الحجاز مكسورة، أما إذا كانت الكلمة فى لغة الحجاز مضمومة فإن قيساً تبدلها كسرة، وهذا واضح من خلال القراءات القرآنية التى يتضح فيها المعاقبة بين الكسرة والضمة.

ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس أن السر فى ميل القبائل البدوية بشكل عام إلى الضم فى مقابل الكسر عند الحجازيين إلى أن الضمة تعد مظهراً من مظاهر الخشونة البدوية، والكسرة والضمة متشابهتان من الناحية الصوتية؛ لأنهما من أصوات العلة الضيقة، ونظراً لتشابههما نجد أن إحداهما تحل محل الأخرى، غير أنه يُلاحظ أن الكسرة دليل التحضر والرِّقة، بدليل أنها حركة للمؤنث، والتأنيث عادة هو محل الرقة أو ضعف الأنوثة، والحضرى أميل بوجه عام إلى هذا، كما أن الياء التى هى فرع عن الكسرة تُعد العلامة الأساسية للتصغير فى اللغة العربية(١).

ويرى الدكتور/ أنيس أنه ليس قصر الكسرة على أهل الحضر والضمة على أهل البادية أن أهل البادية لم يستعملوا الكسرة، وإنما معناه أن الكلمة لو رُويت بروايتين إحداهما بالكسر والأخرى بالضم رجحنا أن المشتملة على الضم تنتمى إلى بيئة بدوية، وأن المشتملة على الكسرة صيغة حضرية، كما نرجح أن الصيغتين كانتا تستعملان فى زمن واحد وفى مكانين مختلفين،

---

(١) ربما يكون السبب فى ذلك أنها أخف من الضمة، وهذا يتفق مع طبيعة أهل الحضر، يقول سيبويه: إن الكسرة أخف عليهم من الضمة، ألا ترى أن فعِل أكثر فى الكلام فعل والياء أخف عليهم من الواو وأكثر، الكتاب ٤/٣٧.

فليست إحداهما أصل والأخرى فرع عنها، أو أن إحداهما تطور عن الأخرى، بل إن الصيغتين وجدتا معاً وعاشتا فى عصور ما قبل الإسلام.

كما يرى أن إيثار البدويين للضمة على الكسرة مما يدل على طبيعتهم التى تتسم بالخشونة، ذلك أن الضمة فى نطقها تحتاج إلى جهد عضلى أكثر من الكسرة فى نطقها؛ لأنها تتكون بتحرك أقصى اللسان، فى حين أن الكسرة تتكون بتحرك أدنى اللسان، ولا شك أن تحرك أدنى السان أيسر من تحرك أقصاه، ولذلك تمسك البدو بالضمة، لأنهم أدركوا أنها تميزهم عن غيرهم، مع أن شيوع الكسرة كان أمراً متوقعاً عندهم[1]، حيث يميلون إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى، وبذل أقل جهد ممكن فى أثناء النطق متى تحقق الناطق منهم أن مثل هذا الجهد سيحقق له الهدف من الكلام.

وراح الدكتور أنيس يُعدد الأمثلة الكثيرة التى تدل على وجهة نظره السابقة، ومنها:

١ ـ بعض من فزارة يقولون: كسايان بدلاً من: كساوان، وفزارة من غطفان، تلك القبيلة التى عاشت بالقرب من الحجاز، وربما قد تأثرت بما شاع فيه.

٢ ـ كلمة (حيث) رويت فى صورة أخرى هى (حوث) ونسبت هذه الصورة الأخيرة لقبيلة طيء وقيل تميم، وكلاهما من القبائل البدوية التى آثرت الضم فى كثير من الصيغ.

---

(١) لأن الكسر شائع فى ظواهر صوتية كثيرة؛ منها: الإتباع والإمالة وكسر حروف المضارعة. لهجة تميم ١٣٩.

٣ ـ يقال: (ما أُعيج به) أى: ما أعبأ به. ولكن بنى أسد كانوا يقولون (ما أعوج).

٤ ـ حكى عن بنى سليم، وهم من القبائل الحجازية أنهم كانوا يقولون: (مِنْذُ) بكسر الميم فى : مُنذُ.

٥ ـ (مكيل) اسم المفعول م كال يكيل، وينطق به بنو أسد (مكول).

٦ ـ المشهور هو (نما ينمو) ولكن حكى عن بنى سليم أنهم قالوا (ينمى) وسُئل جماعة من بنى سليم عن الواوى فلم يعرفوه.

٧ ـ المشهور الشائع فى اسم الموصول لجمع المذكر هو (الذين) وقد رُوى لهذه الصيغة نظير هو (اللذون) وينسبه بعض الرواة لهذيل، وبعضهم ينسبه لعقيل(١).

وفيما يلى استعراض ما يُشير إلى ظاهرة المعاقبة بين الكسرة والضمة من القراءات القرآنية.

١ـ إبدال الكسرة ضمة عند تميم وقيس وأسد وبكر:

١ ــ **(قِثائها)**، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ البقرة/٦١.

«قرأ يحيى بن وثاب وطلحة بن مُصَرِّف وابن مسعود والأشهب والأعمش وأبو رجاء وقتادة (قُثائها) بضم القاف. وهى لغة تميم وبعض بنى أسد»(٢).

---

(١) انظر فيما سبق فى اللهجات العربية ٩١ ـ ٩٨.

(٢) معجم القراءات ١/١١٢.

٢ ـ (رِضوان)

قال تعالى: ﴿ للَّذين اتَّقوْا عند ربِّهِمْ جنَّاتٌ تجْرِي من تحْتِها الأنْهارُ خالدين فيها وأزْواجٌ مُطهَّرةٌ ورِضْوانٌ مِّن اللَّه ﴾ آل عمران/١٥.

«قرأ أبو بكر عن عاصم والأعشى والبرجمي ويحيى وحماد والحسن (رُضوان) بضم الراء. وهى لغة قيس وتميم وبكر»(١).

كما وردت كلمة (رضوان) كذلك فى قوله تعالى: ﴿ وعد اللَّهُ الْمُؤْمنين والْمُؤْمنات جنَّات تجْرِي من تحْتِها الأنْهارُ خالدين فيها ومساكن طيِّبةً في جنَّات عدْنٍ ورِضْوانٌ مِّن اللَّه أكْبرُ ﴾ التوبة/٧٢.

«قرأ أبو بكر عن عاصم والحسن (رُضوان) بضم فسكون. وهى لغة قيس وتميم»(٢).

٣ ـ (قِنوان)

قال تعالى: ﴿ ومن النَّخْلِ من طلْعِها قِنْوانٌ دانيةٌ ﴾ الأنعام/٩٩.

«قرأ الأعمش والخفاف عن أبى عمرو والمطوعى والأعرج فى رواية والسلمى عن على بن أبى طالب وعبدالوهاب عن أبى عمرو أيضاً (قُنوان) بضم القاف، مثل: ذِئب وذُؤبان. وهى لغة قيس وتميم»(٣).

٤ ـ (مِرية)

قال تعالى: ﴿ فلا تكُ في مِرْيةٍ مِّنْهُ ﴾ هود/١٧.

---

(١) السابق ١/٤٥٨،

(٢) السابق ٣/٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٣) السابق ٢/٤٩٩.

«قرأ السلمى وأبو رجاء وأبو الخطاب السدوسى وعلى والحسن وقتادة (مُرية) بضم الميم، وهى لغة أسد وتميم»[١].

كما وردت الكلمة السابقة فى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ الحج/٥٥.

«قرأ أبو عبدالرحمن السلمى ويونس وعدىّ كلاهما عن أبى عمرو (مُرية) بضم الميم، وهى لغة أسد وتميم»[٢].

٧ ـ إشمام حركة فاء الأجوف المبنى للمجهول من الماضي الضم

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبائل قيس وعقيل ومن جاورهم، وأسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إشمام حركة فاء الأجوف من الماضى المبنى للمجهول، وهى الكسرة، الضم.

وقبل أن نستعرض ما يشير إلى ذلك من القراءات القرآنية نقف أمام تعريف الإشمام. يقول الرضى عنه:

«الإشمام: تصوير الضم عند حذف الحركة بالصورة التى تعرض عند التلفظ بتلك الحركة بلا حركة ظاهرة ولا خفية، وعلامته نقطة بين يدى الحرف، لأنه أضعف من الروم، إذ لا يُنطق فيه بشىء من الحركة، بخلاف الروم، والنقطة أقل من الحرف.

وعزا بعضهم إلى الكوفيين تجويز الإشمام فى المجرور والمكسور أيضاً والظاهر أنه وهم؛ لم يجوزه أحد من النحاة إلا فى المرفوع والمضموم؛ لأن آلة الضمة الشفة، وقصدك بالإشمام تصوير مخرج الحركة للناظر

---

(١) السابق ٤/٢٧.

(٢) السابق ٦/١٣٤.

بالصورة التى يتصور ذلك المخرج بها عند النطق بتلك الحركة؛ ليستدل بذلك على أن تلك الحركة هى الساقطة دون غيرها، والشفتان بارزتان لعينه، فيدرك نظره ضمهما، وأما الكسرة فهى جزء الياء التى مخرجها وسط اللسان، والفتحة جزء الألف التى مخرجها الحلق، وهما محجوبان بالشفتين والسِّن، فلا يمكن المخاطب إدراك تهيئة المخرجين للحركتين»(١).

يفهم من الكلام الرضى ما يأتى:

١ ـ الإشمام لا يكون إلا فى المضموم (أى على الحرف الذى أصل حركته الضمة، وليس هذا الحرف حرف إعراب) والمرفوع (أى على حرف الإعراب الذى كانت حركته ضمة وقد حذفت).

٢ ـ معنى الإشمام: اتخاذ الشفتين شكل النطق بالضمة دون التلفظ بها، وهذا الشكل عبارة عن استدارة الشفتين، وهذا العمل يدركه المبصر دون غيره لأنه غير ملفوظ به.

٣ ـ لا يجوز الإشمام فى المكسور والمجرور، ولا فى المفتوح والمنصوب؛ لأن مخرجهما داخل الفم، فلا يمكن للناظر إدراك تهيئة المخرجين لهاتين الحركتين، كما هو الحال فى استدارة الشفتين عند النطق بإشمام الضمة.

ـ ومن أمثلة الإشمام فى المرفوع، قول الراجز:

متى لا أنام لا يُؤرِّقنى الكرى ... ليلاً ولا أسمع أجراسَ المطِىّ

ويقول ابن جنى تعليقاً على كلمة (يُؤَرِّقْنِى):

«بإشمام القاف من (يُؤَرِّقْنِى) ومعلوم أن الإشمام إنما هو للعين لا للأذن، وليست هناك حركة البتة، ولو كانت فيه حركة لكسرت الوزن،

(١) شرح الشافية ٢/٢٧٥ ـ ٢٧٦.

ألاترى أن الوزن من الرجز، ولو اعتدّت القاف متحركة لصار من الكامل. فإذا قنعوا من الحركة بأن يُومئوا إليها بالآلة التى من عادتها أن تُستعمل فى النطق بها، من غير أن يُخرجوا إلى حسّ السمع شيئاً من الحركة مشبعة ولا مختلسة، أعنى إعمالهم الشفتين للإشمام فى المرفوع بغير صوت يُسمع هناك، لم يبق وراء ذلك شيء يُستدل به على عنايتهم بهذا الأمر؛ ألا ترى إلى مصارفتهم أنفسهم فى الحركة على قلتها ولطفها، حتى يُخرجوها تارة مختلسة غير مشبعة، وأخرى مشمة للعين لا الأذن»[١].

ـ ومن أمثلة إشمام حركة فاء الأجوف المبنى للمجهول من الماضى: خِيفَ، وقِيلَ، وبِيعَ

يرى العلماء القدامى أن الأصل فى الكلمات السابقة هو:

خُوِفَ، وقُوِلَ، وبُيِعَ، على زنة ضرب، ثم حدث لها ما يأتى:

١ ـ أعلت العين ـ حملاً على إعلالها بالقلب ألفاً فى المبنى للمعلوم منها: خاف، وقال، وباع ـ وذلك بنقل حركتها وهى الكسرة إلى الفاء مع حذف حركة الفاء وهى الضمة، فصارت خِوْفَ، وقِوْلَ، وبُيْعَ.

٢ـ قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، وبقيت العين فى بيع على حالها،، فصارت خِيفَ، وقِيلَ، وبِيعَ.

٣ ـ تشم حركة الفاء ـ عند من أشمّ من القبائل العربية من أمثال قيس وعقيل وأسد ـ وذلك باستدارة الشفتين كما هو حالها عند النطق بالضمة، دون التلفظ بها، والهدف من ذلك هو التنبيه

---

(١) الخصائص ٢/٣٢٨.

على أن الحركة الأصلية فى الفاء هى الضمة لا الكسرة، فكأن حركة الفاء صارت بين الضمة والكسرة[١].

ـ وأرى أن ما حدث لأصل الكلمات الثلاثة السابقة (خُوِفَ ـ قُوِلَ ـ بُيِعَ) هو:

١ ـ تماثلت حركة الفاء وهى الضمة مع حركة ا لعين وهى الكسرة فقلبت كسرة مثلها (مماثلة رجعية regressive) فصارت: خِوِف ـ قِوِل ـ بِيِع.

٢ ـ حذفت الواو والياء لوقوعهما بين حركتين متماثلتين.

٣ ـ بعد الحذف تلتقى حركتان قصيرتان متماثلتان، فتتحولان إلى حركة طويلة آ<ii.

٤ـ بعد ذلك يكون الإتمام كما مر.

خُـ وِـ فَـ/ قُـ وِـ لَـ/ بُـ يِـ عَـ > خِـ وِـ فَـ/ ق
ـِ وِـ لَـ/ بِـ يِـ عَـ > خِـ × ـِ فَـ/ قِـ × ـِ لَـ/ بِـ × ـِ
عَـ > خِـ ـِ فَـ/ قِـ ـِ لَـ/ بِـ ـِ عَـ

وهذا التحليل ليس فيه إعلال بنقل حركة العين إلى الفاء ولا إعلال بقلب الواو ياءً كما فى تحليل القدماء.

ـ وفيما يلى استعراض ما ورد من أمثلة من القراءات القرآنية فيها إشمام فى حركة فاء الأجوف، منسوبة إلى القبائل الثلاثة السابقة:

١ ـ (**قِيلَ**) فى موضعين:

الأول: فى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ البقرة/١١.

---

(١) انظر فى ذلك : المنصف ١/٢٤٩ وشرح المفصل ١٠/٧٤.

«قرأ بإشمام الكسرة الضم وبياء بعدها (قِيلَ) هشام والكسائى ورُوَيْس والحسن والشنبوذى ونافع وأبو جعفر وابن محيصن وابن عامر. وهى لغة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بنى أسد»(١).

والثانى: فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ يونس/٥٢.

«قرأ بإشمام الكسرة الضم هشام والكسائى ورُوَيْس والحسن والشنبوذى (قِيل) وهى لغة قيس وعقيل»(٢).

٢- (حِيلَ) فى قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ سبأ/٥٤.

«قرأ ابن عامر والكسائى وهشام ويعقوب برواية رويس، وكذا ابن ذكوان والحسن والشنبوذى (حُِيل) بالإشمام، أى تشم الكسر الضم، فتكون حركة الحاء بين الحركتين، وهى لغة قيس وعقيل»(٣).

٣ ـ (سِيئَتْ) فى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ﴾ الملك/٢٧.

«قرأ بإشمام كسر السين الضم أبو جعفر والحسن وأبو رجاء وشيبة وابن وثاب وابن ذكوان وهشام وطلحة وابن محيصن ورُوَيْس والحسن والشنبوذى وابن عامر ونافع والكسائى. وهى لغة قيس وعقيل ومن جاورهم»(٤).

---

(١) معجم القراءآت ١/٤٢ ـ ٤٥.

(٢) السابق ٣/٥٦٨. كما وردت كلمة (قيل) كذلك للقراء: الكسائى وهشام ورويس دون نسبة للقبائل الثلاثة السابقة. انظر معم القراءات ١/١٠٨ ـ ٩/٥٣١ ـ ١٠/١٨.

(٣) السابق ٧/٤٠٠.

(٤) السابق ١٠/١٧.

٨ ـ إدغام العين في اللام في حالتي الجزم والأمر

نسب فى القراءات إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إدغام العين فى اللام فى الفعل المضعف، وذلك فى حالتى الجزم والأمر. أما أهل الحجاز فإنهم يلتزمون فى الحالين فك الإدغام.

فُهم يقولون فى المجزوم من هذه الأفعال: لم يَغُضَّ، ولم يفِرَّ، ولا تَغُضَّ. والأصل: لم يَغْضُضْ، ولم يفْرِرْ، ولا تَغْضُضْ. فأدغم المثل الأول فى الثانى بعد نقل حركته إلى الساكن الذى قبله، وتحريك المثل الثانى لالتقاء الساكنين، لأنه لا يجوز إدغام ساكن فى ساكن، وكانت الحركة الفتحة لخفتها(١).

وأما فى الأمر منها، فإنهم بعد الإدغام يجعلون المثل الثانى تابعاً فى حركته لحركة العين فى المضارع:

١ ـ فيقولون فيما كان على فعل يفعَلُ من نحو: عَضَّ يعَضُّ: (عَضَّ). بفتح الضاد الثانية على الإتباع لحركة العين فى المضارع، إذ الأصل: يعْضَضُ. ويجوز: (عَضِّ) بالكسر، على أصل الحركة عند التقاء الساكتين.

٢ ـ ويقولون فيما كان على فعَل يفعِلُ من نحو: فرَّ يفِرُّ: (فِرِّ) بالكسرة، إتباعاً لحركة العين فى المضارع، إذ الأصل: يَفْرِرُ. ويجوز: (فِرَّ) بالفتح، والفتح للتخفيف.

٣ ـ ويقولون فيما كان على فعَل يفعُلُ من نحو: عَدَّ يَعُدُّ: (عُدُّ) بالضم إتباعاً لحركة العين فى المضارع، إذ الأصل: يَعْدُدُ.

---

(١) شرح الملوكى ٤٥٤.

ويجوز: (عُدِّ) بالكسر، على أصل الحركة عند التقاء الساكنين، ويجوز كذلك: (عُدَّ) بالفتح، للتخفيف(١).

وقد أدغموا الأول فى الثانى هنا ـ مع أنَّ الثانى ساكن ـ تشبيهاً بالمعرب «من حيث إنه قد تتعاقب عليه الحركات لالتقاء الساكنين كما تتعاقب حركات الإعراب على المعرب، ألا ترى أنك تقول: ارْدُدِ ابنكَ، وارْدُدِ القومَ، ولا تَرُدَّنَّ. قال تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ الحجر/٨٨ وطه/١٣١ كأنهم نزلوا الحركة العارضة منزلة اللازمة فى (يَشُدُّ) و(يَمُدُّ) فأدغم كإدغامه. وفى هذا أيضاً إسكان متحرك وتحريك ساكن على ما تقدم، إلا أنهم إذا أدغموا ذلك حركوا المدغم فيه لالتقاء الساكنين»(٢).

أما أهل الحجاز فلا يرون الإدغام ويأيون بما سبق على الأصل. فيقولون فى المجزوم: لم يَغْضُضْ، ولم يَفْرِرْ، ولا تَغْضُضْ، ولا تَفْرِرْ.

ويقولون فى الأمر: اغْضُضْ، وافْرِرْ. فيأتون بهمزة وصل فيه(٣). لسكون الحرف الأول.

ويرجع السبب فى عدم الإدغام عندهم أن الحرف الأخير ساكن، والإدغام لا يكون إلا فى متحرك، لأجل ذلك أتوا به على الأصل(٤).

ـ ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس أن السر فى التزام الحجازيين فك الإدغام والإتيان على الأصل أن الجزم عادة يترتب عليه نقل النبر من

---

(١) انظر فيما سبق: التتمة فى التصريف ٢٠٤ وشرح الملوكى ٤٥٥ وشرح التصريف ٤٥١ـ٤٥٢.

(٢) شرح الملوكى ٤٥٤ وانظر كذلك شرح المفصل ١٢٧/٩.

(٣) شرح الملوكى ٤٥٤ وشرح التصريف ٤٥٢ ـ ٤٥٣.

(٤) شرح الملوكى ٤٥٤.

موضعه إلى المقطع الذى قبله؛ لأن الجزم يختصر أواخر الكلمات، ففى قولنا: (يكتبُ) نلحظ أن النبر يقع على المقطع (يَكـ) وعلى هذا كان من الواجب فى حالة جزم الفعل (يرُدّ) أن ينتقل النبر من المقطع (رُدْ) إلى المقطع (يَـ) لتصبح الكلمة (لم يَرُدْ). ولكن التباس هذا الوضع بوضع الفعل المعتل للعين والحرص على إظهار تضعيف الفعل جعل الحجازيين يفكون الإدغام ليجمعوا بين أمرين: نقل النبر إلى الوراء وإظهار تضعيف الفعل. وهكذا جاء (لم يَرْدُدْ) ولهذا عادوا إلى الإدغام حين بقى النبر فى موضعه، مثل: (لم يَرُدّوا).

ثم يقول عن بنى تميم:

«أما بنو تميم فلم ينقلوا النبر فى لهجتهم بسبب الجزم وبهذا بقى الإدغام، فكانوا يقولون فى حالة الوقف: (لم يَرُدّ) أما فى الوصل فكانوا يحركون الدال الثانية بحركة لالتقاء الساكنين، سواء أكانت تلك الحركة فتحة أو ضمة أو كسرة على اختلاف بين النحاة. وربما كان هذا من المواضع القليلة التى يُتخلص فيها من التقاء الساكنين بتحريك الثانى منهما».

ثم يقول بعد ذلك:

«نخلص من كل هذا إلى أن فك الإدغام عند الحجازيين فى مثل (لم يَرْدُدْ) ليس له سر سوى نقل النبر من موضعه، فلما جيء بالأمر من هذا الفعل كان من المعقول أن يأتى على هذا الوضع (ارْدُدْ) فى حين أن الأمر عند بنى تميم هو: (رُدَّ)»(١).

---

(١) فى اللهجات العربية ١٥٠ ـ ١٥١.

وفيما يلى استعرض ما جاء من أمثلة فى القراءات القرآنية دليلاً على التزام الإدغام عند تميم، مع ملاحظة أن هذه الأمثلة فى حالة الجزم:

١ــ (**لا تُضَارَّ**) فى قوله تعالى: ﴿لا تُضَارَّ والِدَةٌ بِوَلَدِها﴾ البقرة/٢٣٣.

«قرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وابن جمّآز من طريق الهاشمي وعيسى من طريق ابن مهران (لا تُضارَّ والدةٌ) بفتح الراء، جعلوه نهياً، فسكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للإدغام، فالتقى ساكنان، فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التى قبل الراء لتجانس الألف والفتحة، وهذه القراءة المعروفة عن أهل الشام. ورجح الطبرى هذه القراءة.. والإدغام لغة تميم...

وقرأ ابن مسعود وأبان والضَّحاك وابن نبهان كلهم عن عاصم والحسن وعمر بن الخطاب (لا تُضَارَرْ) بفك الإدغام، وفتح الراء الأولى وسكون الثانية. وهى لغة الحجاز»(١).

ـ لا تُضَارَرْ > لا تُضَارْرْ > لا تُضَارَّ (عند تميم).

ولم يحدث للأصل (لا تُضارَرْ) أى شيء على لغة الحجازيين.

كما وردت كلمة (لا تُضَارَّ) كذلك فى قوله تعالى: ﴿ولا يُضارَّ كَاتِبٌ ولا شهِيدٌ﴾ البقرة/٢٨٢(٢).

٢ ـ (**يُشَاقِقْ**) فى قوله تعالى: ﴿ ومن يُشاقِقِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فإنَّ اللَّهَ شديدُ العِقاب﴾ الأنفال/١٣.

---

(١) معجم القراءات ١/٣٢٢ و٣٢٤ ـ ٣٢٥.

(٢) السابق ١/٤٢٢.

«أجمع القراء على الفك (يُشاقِقْ) إتباعاً لخط المصحف مثل لغة الحجاز. والإدغام لغة تميم»(١).

ـ يُشاققْ > يُشاقْق > يُشَاقٌّ.

٣ ـ (**لا تَقْصُصْ**) في قوله تعالى: ﴿يا بُنيَّ لا تَقْصُصْ رُءياك على إخْوتك﴾ يوسف/٥.

«قرأ زيد بن على (لا تَقُصَّ) مدغماً، وهى لغة تميم، وقراءة الجماعة (لا تَقْصُصْ) بالفك. وهى لغة الحجاز»(٢).

ـ لا تَقْصُصْ > لا تَقُصْصْ. بإسكان الصاد الأولى ونقل حركتها إلى القاف الساكنة > لا تَقُصَّ. بالإدغام وتحريك الصاد الثانية بالفتحة لخفتها.

٤ ـ (**ولْيُمْلِلْ**) في قوله تعالى: ﴿فلْيكْتُبْ ولْيُمْلِلِ الَّذي عليْه الْحقُّ﴾ البقرة/ ٢٨٢.

«قُرئ شاذاً (ولْيُملَّ) بالإدغام، وهى لغة تميم، والفك لغة الحجاز»(٣).

ـ ولْيُمْلِلْ > ولْيُمِلْلْ > ولْيُمِلّ.

٥ ـ (**فلا يغْرُرْك**) في قوله تعالى ﴿فلا يغْرُرْك تقلُّبهم في البلاد﴾ غافر/٤.

«قراءة الجمهور بالفك (فلا يَغْرُرْكَ) وهى لغة أهل الحجاز. وقرأ زيد ابن على وعبيد بن عمير (فلا يَغُرَّك) بالإدغام مفتوح الراء. وهى لغة تميم»(٤).

ـ فلا يُغْرُرْك > فلا يَغُرْرْك > فلا يَغُرَّك.

---

(١) السابق ٣/٢٧٢.
(٢) السابق ٤/١٨٠.
(٣) السابق ١/٤١٤.
(٤) السابق ٨/٢٠٠.

٩ ـ حذف فاء المثال الذى على وزن افتعل

نسب في القراءات القرآنية إلى تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، حذف فاء الفعل المعتل الأول الذى على وزن (افتعل) ويلاحظ أن حرف العلة هنا واو أو ياء وبعده تاء افتعل، فقلبت الواو أو الياء تاء، وهذه التاء ساكنة، فأدغمت فى تاء افتعل، فنقول مثلا: (اتَّقى) من الفعل المجرد (وقى) والأصل: (أوْتَقَى > اتْتَقَى > اتقَّى. ويقول كذلك (اتَّسَرَ) من الفعل المجرد (يسر) والأصل: ايْتَسَرَ > اتْتَسَرَ > اتَّسَرَ.

وقد ورد حذف التاء الأولى التى هى فى موضع الفاء فى ثلاث كلمات، هى: يَتَّسِعُ، ويتَّقى، ويتَّخذ[1]. فقيل فيها: يَتَسِعُ، ويَتَقِى، ويَتَخِذُ. وسبب هذا الحذف كثرة الاستعمال، مع ذلك فهو شاذ[2].

وقد نُسب إلى تميم فى قراءة حذف التاء الأولى، وذلك فى قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ البقرة/ ٢٤.

جاء فى معجم القراءات: «هناك من قراء (فَتَقَوا) وهى لغة تميم»[3].

الأصل فى فعل الأمر هو: (فاوْتَقُوا)، ثم قلبت الواو تاء وأدغمت فى التاء الثانية (فاتَّقُوا) ثم حذفت التاء الأولى التى هى فاء الفعل، ثم استغنى عن ألف الوصل لأنه ليس لها داعٍ، لأنه قد جيء بها لسكون التاء التى حذفت، أما وقد حذفت فكان لابد من حذفها معها، فصار الفعل (فَتَقُوا).

---

(١) يتَّخذ م الماضى: اتَّخَذَ من مهموز الفاء المجرد (أَخَذَ) وأصله: ائْتَخَذَ، فقلبت الهمزة تاء حملاً على قلب الواو والياء تاء فى صيغة (افتعل)، ثم أدغمت التاء الأولى فى الثانية.

(٢) شرح الشافية ٣/٢٩٣.

(٣) معجم القراءات ١/٦٥.

١٠ ـ حذف إحدى الياءين من الفعل (استحيا يستحيى)

نسب فى القراءات القرآنية إلى تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، حذف إحدى الياءين من الفعل: استحيا يَسْتَحْيِى، فأصبح عندهم: اسْتَحَى يَسْتَحِى. وفما يلى بيان ذلك:

فى الفعل (استحيا) لغتان: الأولى: لغة أهل الحجاز: استحيا يستحيى ـ بياءين ـ فهو مستحى ومستحياً منه، على وزن: استرعى يسترعى.

واللغة الثانية: لغة تميم: استحى يستحى بتحريك الحاء، وحذف إحدى الياءين. وهناك مذهبان فى تفسير لغة تميم:

المذهب الأول للخليل: يقول الرضى: «فمذهب الخليل أنه مبنى على حيى معلاً إعلال هاب وباع، فكأنه قيل: حاى، فكما تقول فى باع: استبعت تقول فى حاى: استحيت، وإنما بنى على حاى المرفوض؛ لأن حق حيى إعلال عينه لما امتنع إعلال لامه، فاستحى على هذا فى الأصل استحاى كاستباع، حذفت حركة الياء؛ إذ لم يوجد فى كلامهم لام الماضى ياء متحركة ساكناً ما قبلها، التقى ساكنان؛ فحذفت أولاهما، ثم قلبت الياء الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها كما فى ياجل وطائى. وكذلك تقول فى المضارع: إن حقه يستحيى كتستبيع، حذفت حركة الياء؛ إذ لا نظير له فى الأفعال، ثم حذفت الياء الأولى للساكنين، والأمر منه: استح، وحق مصدره على هذا: استحاءة كاستباعة، ولا يستعمل، واسم الفاعل: مستحٍ، والأصل مستحيى، فأعل إعلال المضارع، والمفعول: مستحى منه، وأصله: مستحاى، حذفت حركة الياء كما فى: يستحاى، وأعل إعلال استحاى، وقد مر. وفيما ذهب إليه الخليل ضعف لا يخفى للارتكابات المكروهة»(١).

---

(١) شرح الشافية ٣/١١٩.

والمذهب الثانى: مذهب غير الخليل، واختاره المازنى. ويلاحظ فى هذا التفسير أن «الياء الأولى فى جميع هذه التصرفات حذفت كما فى أَحَسْتُ، وظِلْتُ، ومِسْتُ؛ لأن حق المثلين الإدغام، فلما امتنع حذفت الأولى، لكونه أشبه شيء بالإدغام. وقال المازنى: لو حذفت للساكنين لم تحذف فى المثنى نحو: اسْتَحَيَا، ولقالوا: اسْتَحَايا كاسْتَباعَا».(١).

واتفق مع المذهب الثانى فى حذف الياء الأولى تخفيفاً، وذلك من باب كراهية توالي الأمثال، خاصة أن الإدغام لا يجوز هنا؛ لأنه لو حدث لأدى إلى التقاء الحاء وأول الياءين المدغمتين.

وبناء على هذا يصير الفعل الماضى بعد حذف الياء الأولى: (اسْتَحْىَ) ياء متحركة مسبوقة بساكن. وهنا أحد اتجاهين: الأول: تنقل حركة الياء إلى الحاء الساكنة (اسْتَحَىْ) فينتج الصوت المركب (ay) الذى يتحول بعد ذلك إلى فتحة طويلة (a).

(ا) س تـَ ح ىَ < (ا) س تـَ حَ ىْ < (ا) س تـَ حـَـَـ

والاتجاه الثانى هو أن الياء تتماثل مع حركتها فتتحول إلى فتحة قصيرة مثلها، فتلتقى حركتان متماثلتان، وينتج عنهما فتحة طويلة (a)

(ا) س تـَ ح ىَ < (ا) س تـَ حـَـَـ

والأمر كذلك فى المضارع، حيث يصير بعد حذف الياء الأولى: (يَسْتَحْىُ) بياء متحركة بالضمة، وهى علامة الرفع، وهى لا تتفق مع الياء، فتتماثل معها، فتقلب كسرة، فيصبح الفعل: (يَسْتَحْىِ) وهنا أحد اتجاهين كما فى الماضى السابق:

---

(١) السابق.

الأول: تنقل حركة الياء إلى الساكن السابق (يَسْتَحِيْ) فينشأ الصوت المركب (iy) الذى يتحول بعد ذلك إلى كسرة طويلة (ا)

س ـَ س ت ـَ ح ى ـِ ى ـَ س ت ـَ ح ـِ ى س ـَ س ت ـَ ح ـِ ـِ

والثانى: تتماثل الياء مع حركتها، فتتحول إلى كسرة قصيرة مثلها، ثم تتحول الكسرتان إلى كسرة طويلة (ا).

ـ وقد ورد هذا الفعل منسوباً إلى لغة تميم فى موضع واحد فى القراءات القرآنية، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إنَّ اللَّهَ لا يسْتَحْيِي أن يضْرِب مَثَلاً مَّا بعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ البقرة/٢٦.

«قرأ ابن كثير فى رواية شبل وابن محيصن بخلاف عنه ويعقوب ومجاهد (يَسْتَحِي) بياء واحدة. وهى لغة تميم، يجرونها مجرى (يَسْتَبِى) والماضى (اسْتَبَى). وقرأ الجمهور (يَسْتَحِيى) بياءين والماضى (استحيا) وهى لغة أهل الحجاز»(١).

(١) معجم القراءات ١/٦٧.

١١ ـ الإبدال

تشيع فى لهجات وسط الجزيرة العربية ظاهر الإبدال، وتتنوع هذه الظاهرة فيما يأتى:

١ ـ إبدال السين صاداً.

٢ ـ إبدال السين زاياً.

٣ ـ إبدال الثاء فاء.

٤ ـ إبدال كاف المؤنث شيناً.

٥ ـ إبدال العين حاء.

وفيما يلى بيان ذلك:

١ ـ إبدال السين صاداً

نُسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة كلب، من قبل وسط الجزيرة العربية، إبدال السين صاداً، أى أنه ميل إلى تفخيم الأصوات المرققة.

وهذا الإبدال مشروط بوقوع السين قبل الغين أو الخاء أو القاف أو الطاء، سواء كان ذلك بالحوار كما فى نحو قوله تعالى ﴿مسَّ سقرَ﴾ القمر/٤٨ وصقر، و﴿سخَّرَ﴾ الرعد/٢ وصخَّرَ، وسُقْتُ وصُقْتُ. أو بالفصل بينهما، كما فى نحو: سويق وصويق، وقوله تعالى ﴿كأنَّما يُساقُون﴾ الأنفال/٦ ويُصاقون، و﴿صراط﴾ الفاتحة/٧ وصراط، وسلخ وصلخ(١).

ويقول ابن يعيش عن سبب هذا الإبدال:

---

(١) سر الصناعة ١/٢١١ ـ ٢١٢ وانظر كذلك: شرح الشافية ٣/٢٣١ والتطور النحوى ٣٣.

«وإنما ساغ قلب السين صاداً إذا وقعت قبل هذه الحروف، من قبل أن هذه الحروف مجهورة مستعلية، والسين مهموس مستقل، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلى؛ لأن ذلك مما يثقل، فأبدلوا من السين صاداً؛ لأن الصاد توافق السين فى الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف فى الاستعلاء، فيتجانس الصوت ولا يختلف، وهذا العمل شبيه بالإمالة فى تقريب الصوت بعضه من بعض من غير إيجاب، فإن تأخرت السين عن هذه الحروف لم يسغ فيها من الإبدال ما ساغ فيها متقدمة لأنها إذا كانت متأخرة كان المتكلم منحدراً بالصوت من عالٍ ولا يثقل ذلك ثقل التصعيد من منخفض، فلذلك لا تقول فى قِسْتُ: قِصْتُ، ولا فى يخسر المتاع : يخصر، فاعرفه»(١).

يفهم مما سبق أن الباعث على هذا الإبدال أو القلب هو الانسجام أو التجانس بين الأصوات، وهذا يدخل ضمن ما أسماه ابن جنى بالإدغام الأصغر، الذى يعنى به: تقريب الحرف من الحرف من غير إدغام(٢).

وما ذكره ابن يعيش سبباً لهذا الإبدال يدخل ضمن قانون المماثلة الصوتية فى علم اللغة الحديث (مماثلة رجعية regressive) حيث وقعت السين، وهى صوت رخو مهموس مرقق قبل الغين والخاء والقاف والطاء، وهذه الأصوات الأربعة تخالف السين فى كونها مجهورة ومستعلية (مفخمة أو مطبقة) ولكى يحدث الانسجام بينها وبين السين، أثرت عليها،

---

(١) شرح المفصل ١٠/٥١ ـ ٥٢ وانظر كذلك: شرح الشافية ٣/٢٣٠ ـ ٢٣١ والتتمة فى التصريف ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) انظر الخصائص ٢/١٤٣ ـ ١٤٧.

فقلبتها إلى نظيرها المفخم وهو الصاد، وبذلك تتفق مع هذه الأصوات في التخفيم، وتخالفها في الجهر والهمس، فالصاد مهموسة وهذه الأصوات مجهورة(١).

ويلاحظ أن تخفيم الأصوات المرققة من سمات القبائل البدوية بسبب خشونة البادية، وذلك على عكس القبائل الحضرية كالحجازية، إذ يميلون إلى الترقيق انسجاماً مع طبيعتهم(٢).

وقد ورد قلب السين صاداً قبل الغين في القراءات القرآنية في كلمتين من أصل واحد، هما: (أسبغ وسابغات) وردت الأولى في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ لقمان/ ٢٠.

---

(١) عد سيبويه القاف والطاء من الحروف المجهورة ضمن حروف أخرى، هي: الهمزة، والألف والعين والغين والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والدال والزاي والظاء والذال والباء والميم والواو. الكتاب ٤/ ٤٣٤.
ويقول عن الطاء في موضوع آخر تأكيداً على جهرها: «لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً» الكتاب ٤/ ٤٣٢ معنى هذا أنها مجهورة كالدال ولا فرق بينهما إلا في التفخيم.
ويرى ا لمحدثون من علماء الأصوات أن نطق القاف المجهورة يشبه نطق المصريين للجيم القاهرية، أي تنطق من أقصى الفم من الطبق، أما النطق الحالي لها فمهموسة، وتنطق من اللهاة.
ويرون أن الطاء المجهورة كانت تنطق كالضاد التي ينطق بها الفصحاء الآن، وهذا الوصف مستفاد من قول ابن الجزري: «إن المصريين ينطقون بالضاد المعجمة طاء مهملة» وتنطق حالياً مهموسة. ويعتبرون أن التغير في نطقها من الجهر إلى الهمس من التغيرات التاريخية.
(انظر فيما سبق: الأصوات اللغوية ٦١ ـ ٦٢ و٨٤ ـ ٨٦ ومناهج البحث في اللغة ٩٤ ـ ٩٦ ومدخل في الصوتيات ٩٨).
والمحدثون يتفقون مع القدماء في أن الصوتين مفخمان، والاختلاف فقط في الجهر والهمس أما الصوتان الآخران وهما الغين والخاء فمجهوران كما عند القدماء.
(٢) لهجة تميم ٩٣.

«ذكر أبو حيان أن بنى كلب يُبدلون السين إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف صاداً، ولم يذكر هذا فى (سخر) قراءة، بل ذكره فى (أسبغ) فقال: «قرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة (أصبغ) بالصاد، وهى لغة لبنى كلب... وباقى القراء بالسين على الأصل» وسياق الكلام يقتضى أن يقرأ أيضاً (صَخَّرَ) بالصاد بدل السين، ولم يصرح بهذا أبو حيان ولا الزمخشرى ولا ابن جنى. قال ابن جنى: «وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز قلبها صاداً، وذلك قوله تعالى: ﴿وسخر﴾ وصخر، و«أسبغ عليكم نعمة» و«أصبغ»[1].

ووردت الثانية فى قوله تعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ سبأ/ ١١.

«قرئ (صابغات) بالصاد بدلاً من السين. وكان أبو حيان قد ذكر فى قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ فى سورة لقمان/ ٢٠ أن القراءة بالصاد لغة لبنى كلب، يبدلون من السين إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف صاداً»[2].

٢ ـ إبدال السين زاياً

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة كلب، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إبدال السين زاياً، إذا وقعت قبل القاف أو الطاء. وهما من الأصوات المجهورة عند القدماء[3]. ويمكن بيان ذلك على النحو التالى:

(١) معجم القراءات ١٩٨/٧.

(٢) السابق ٣٤١/٧.

(٣) سبق أن ذكرنا فى الموضوع السابق (قلب السين صاداً) أن القاف والطاء من الأصوات المجهورة عند القدماء، وعندما حالياً من المهموسات.

١ـ السين + القاف

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ القمر/٤٨.

جاء فى معجم القراءات عن كلمة (سقر):

«قبيلة كلب تقرأ (مس سَقَر) لأنهم يقلبون السين مع القاف خاصة زاياً، فيقولون فى سَقَر: زَقَر»(١).

ويلاحظ فى كلمة (سقر) السابقة أن السين وهى صوت مهموس وقعت قبل صوت مجهور هو القاف، فأثرت القاف عليها (مماثلة رجعية regressive) فقلبتها إلى نظيرها المجهور وهو الزاى، وبذلك يحدث الانسجام بين الصوتين من ناحية الجهر.

٢ـ السين + الطاء

قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة/٦.

جاء فى معجم القراءات عن كلمة (الصراط):

«قرأ (الزراط) بالزاى: حمزة وأبو عمرو والكسائى فى رواية ابن ذكوان عنه وعن عاصم فى رواية مجالد بن سعيد عنه بالزاى الخالصة وهى رواية الأصمعى عن أبى عمرو، وهى رواية عن حمزة. وهى لغة بنى عذرة وبنى كلب وبنى القين»(٢).

---

(١) معجم القراءات ٩/٢٣٩.
(٢) السابق ١/١٧ ـ ١٨.

ويلاحظ على كلمة الصراط هنا أن أصلها (السراط)(١) فالسين وقعت قبل صوت مجهور مفخم هو الطاء، فأثرت الطاء عليها (مماثلة رجعية)، فقلبتها إلى نظيرها المجهور وهو الزاى، وبذلك تكون الزاى متفقة مع الطاء فى صفة الجهر، ومختلفة معها فى التفخيم والترقيق، فالزاى مرققة والطاء مفخمة.

٣ ـ إبدال الثاء فاء

نسب فى القراءات القرآنية إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إبدال الثاء فاء، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ الأنبياء/٩٦.

«قرأ ابن مسعود وابن عباس والكلبى والضحاك ومجاهد وأبو الهصباء (حَدَثٍ) بالثاء المثلثة، وهو القبر، وبالثاء لغة الحجاز. وقرئ (جَدَفٍ) والجدف القبر،، والفاء لغة تميم»(٢).

ويرى ابن جنى أن الفاء بدل من الثاء فى جدث وجدف وثم وفم يقول:

«وأما البدل فأخبرنى أبو على قراءة عليه بإسناده إلى يعقوب أن العرب تقول فى العطف: قام زيدٌ فُمَّ عمروٌ، وكذلك قولهم: جدف وجدث. والوجه أن تكون الفاء بدلاً من الثاء؛ لأنهم قد أجمعوا فى الجمع على أجداث، ولم يقولوا: أجداف»(٣).

---

(١) قرأ قنبل ورويس وابن كثير ويعقوب وابن محيصن وابن مجاهد عن قنبل من طريق ابن حمدون، وأبو حمدون والكسائى والقواس وعبيد بن عقيل عن شبل وعن أبى عمرو (السراط) بالسين. معجم القراءات ١/١٧.

(٢) معجم القراءات ٦/٥٩.

(٣) سر الصناعة ١/٢٤٨ والمحتسب ١/٨٨.

وقد ورد إبدال الفاء من الثاء كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ البقرة/٦١.

وقد قرأ ابن مسعود وابن عباس وأبى (وثومها) بالثاء. وقراءة الجماعة بالفاء (وفومها)(١).

والثاء هى الأصل فى كلمة (فومها) والفاء بدل منها، والدليل على ذلك أن هناك قانوناً صوتياً من مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى لا يشذ أبداً، يتمثل فى أن الثاء فى العربية تقابل الشين فى العبرية والأكادية والتاء فى الآرامية والسين فى الحبشية، مثال ذلك كلمة (ثور) فى العربية، فهى فى الأكادية suru، وفى العبرية sor، وفى الآرامية tawra، وفى الحبشية sor(٢).

ونخلص من هذه المقارنات إلى أن الثاء أصل والفاء تطور عنها أو إبدال منها، وهذا الإبدال ساغه اتفاقهما فى جميع الصفات الصوتية، فكلاهما صوت رخو مهموس مرقق، كما أن مخرج كل منهما قريب من الآخر، فمخرج الفاء بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ومخرج الثاء بين أطراف الثنايا السفلى والعليا مع وضع طرف اللسان بينهما(٣).

---

(١) معجم القراءات ١/١١١.

(٢) مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن ٥٤ ـ ٥٥ وانظر كذلك فصول فى فقه العربية ٤٧.

(٣) انظر فى ذلك: الأصوات اللغوية ٤٦ ـ ٤٧ ومناهج البحث فى اللغة ٦٩ وعلم اللغة العام ـ الأصوات ١١٨ ـ ١١٩.

٤ ـ إبدال كاف المؤنث شيناً

نسب في القراءات القرآنية إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إبدال كاف المؤنث شيناً، وهي الظاهرة المعروفة في فقه اللغة بالكشكشة.

غير أن نسبتها إلى تميم على سبيل التعميم؛ لأن سيبويه نص على أن ذلك لكثير من تميم وناسٍ من أسد، كما سنرى من قول سيبويه التالي، وهؤلاء من قبائل وسط الجزيرة. كما تنسب كذلك إلى بكر من القبائل الشرقية، وإلى ربيعة[1] ومضر[2].

وتعني هذه الظاهرة إبدال كاف المؤنث شيناً في الوقف، أو زيادة شين بعد الكاف، وقد أشار إلى ذلك سيبويه، يقول:

«فأما ناس كثير من تميم وناس من أسد فإنهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف؛ لأنها ساكنة في الوقف، أفأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث، وأرادوا التحقيق والتوكيد في الفصل؛ لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف كان أقوى من أن يفصلوا بحركة، فأرادوا أن يفصلوا بين المذكر والمؤنث بهذا الحرف، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون حين قالوا: ذهبوا وذهبن، وأنتم وأنتن، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق؛ لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك: إنَّشِ ذاهبة، ومالَشِ ذاهبةٌ، تريد: إنك ومالك...

---

(١) سر الصناعة ٢٢٩/١ واللسان (كشش) ٣٨٨٢/٥.

(٢) فصول في فقه العربية ١٤١ ـ ١٤٢.

وقوم يُلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة فى الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان، وذلك قولهم: أعطيتكِشْ، وأكرمتِكشْ، فإذا وصلوا تركوها»(1).

ويفهم من قول سيبويه السابق ما يأتى:

١ـ إبدال كاف المؤنث شيناً فى الوقف هدفه البيان وإظهار أنها للمؤنث، لأنها وكاف المذكر تسكنان في الوقف وفى هذه الحالة تختلط إحداهما بالأخرى، فكانت الشين لتلحق بكاف المؤنث، وبها يتم التفريق بين المذكر والمؤنث، والتفريق بينها بحرف أقوى من الحركة؛ لأن كاف المذكر مفتوحة وكاف المؤنث مكسورة.

٢ ـ جعلوا مكان الكاف الشين؛ لأنها من أقرب ما يشبهها من الحروف، إذ هما مهموستان، كما أن مخرج كل منهما قريب من الآخر، إذ مخرج الكاف من أقصى الفم قرب اللهاة فى منطقة تسمى الطبق، أما الشين فمخرجها أسنانى، تنطق عن طريق وضع طرف اللسان ضد الأسنان السفلى ومقدمه ضد الغار، ويختلفان فقط فى الشدة والرخاوة، إذ الكاف شديدة، والشين رخوة.

٣ ـ هناك فريق ممن يتكلم بهذه الظاهرة لا يحذف الكاف التى للمؤنث، ويزيد بعدها الشين ساكنة. وكلا الحالين فى الوقف.

ومنهم من يجرى الوصل مجرى الوقف، فيبدل فيه أيضاً من ذلك قوله المجنون:

---

(1) الكتاب ١١٩/٤ ـ ٢٠٠ وانظر كذلك: سر الصناعة ٢٠٦/١ ـ ٢٠٧ والخصائص ١٠/٢ ـ ١١ واللسان (كشش) ٣٨٨٢/٥.

فعيناشِ عنياها وجيدُشِ جيدها سوى أن عظم الساق منْشِ دقيقُ

وذكر أن ابن جنى أنه قرأ على أبى بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس أحمد بن يحيى لبعض من يتكلم بهذه الظاهرة:

علّى فيما أبتغى أبغيش بيضاء تُرضينى ولا تُرْضيشِ

وَتَطَّبِّى وُدَّ بنى أبيش إذا دنوت جعلَتْ تُنئيشِ

وإنْ نأيتِ جعلت تُدْيَشِ وإنْ تكلمتِ حَثَتْ فِيشِ

حتى تنقى كنقيق الدِّيشِ

ويُلاحظ فى كلمة (الديش) أن شبه الكاف فيها لكسرتها بكاف المؤنث، فأبدلها شيناً.

ومن قولهم أيضاً: إذا أعياشِ جاراتُشِ فأقبلى على بيْتِشِ(١).

ويرى الدكتور/ إبراهيم أنيس أن ظاهرة الكشكشة لتطرأ لكل كاف مكسورة أياً كانت للمؤنث أو لغيره، وهذا واضح من خلال الشعر السابق، وليس كما ذكر الرواة وتحايلوا بالتأويل والتخريج على أن كلمة (الديك) الكاف فيها مكسورة تشبه كاف المؤنث.

وحاول الدكتور أنيس تفسير ظاهرة الكشكشة تفسيراً علمياً دقيقاً، فذكر أن هذه الظاهرة تعنى إبدال الكاف المكسورة صوتاً مركباً أو مزدوجاً هو (تْش) Affricative وبنى رأيه على هذا بالنظر إلى قانون الأصوات الحنكية

---

(١) سر الصناعة ٢٠٦/١ ـ ٢٠٧.

(٢) الجيم الخالية من التعطيش مثل الجيم القاهرية، وهى الأصل فى نطق الجيم فى اللغات السامية كما فى كلمة gamal جمل فى العبرية و gamla فى السريانية، وgamal فى الحبشية. فصول فى فقه العربية ١٤٧.

الذى توصل إليه علماء اللغة الأوربيون فى أواخر القرن التاسع عشر أثناء مقارنتهم اللغة السنسكريتية ـ لغة الهند القديمة ـ باللغتين اليونانية واللاتينية، فقد لاحظوا أن أصوات أقصى الحنك كالكاف والجيم الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية حين يليها صوت لين أمامى (كالكسرة) ولهذا وجدت كلمات فى اللغات الهندوأوربية كانت تشتمل على كاف قد تطورت فيما بعد إلى صوت من وسط الحنك هو (تْشْ) كما فى الكلمة الانجليزية Chilaren وهذا الصوت كما يظهر من الوهلة الأولى يُخيل للمستمع أنه مكون من صوتين، غير أن التجارب الصوتية الحديثة قد برهنت على أنه صوت واحد مزدوج يتكون من عنصرين: أولهما ينتمى إلى الأصوات الشديدة، وهو ما يشبه التاء، وثانيهما إلى الأصوات الرخوة، وهو ما يشبه الشين.

ثم راح يدلل على ذلك بأن هذا الصوت المزدوج المبدل من الكاف بشكل عام المكسورة والمفتوحة والمضمومة(١) لا يزال يُسمع فى بعض جهات العراق وفلسطين وسوريا، ولاسيما بين البدو(٢).

ووافقه على ذلك أيضاً الدكتور/ رمضان عبدالتواب، وأضاف أن ابن دريد قد أحس بهذا النطق وإن لم تتهيأ له الدقة فى وصفه حين قال: «وإذا اضطر الذى هذه لغته، قال: جيدشِ وغلامشِ، بين الجيم والشين إذا لم يتهيأ له أن يفرده».

---

(١) الأصل فى تحول الكاف إلى صوت مزدوج (تّشْ) كان مع الكاف المكسورة، ثم عُمِّمَ بعد ذلك على المفتوحة والمضمومة، طرداً للباب على وتيرة واحدة.

(٢) فى اللهجات العربية ١٢٢ ـ ١٢٥.

ويقول البلوى كذلك: «ومن العرب من يلفظ بهذه الكاف، بين الجيم والشين، وذلك من اللغات المرغوب عنها، لما لم يتهيأ له أن يفرد الجيم ولا الشين»(١).

ثم يفسر الدكتور/ رمضان ما تبقى من ظاهرة الكشكشة وهى الشين، ورأى أن تفسيرها بسيط جداً، ذلك أن الأصوات المزدوجة تتطور على ألسنة المتكلمين بانحلالها إلى أحد عنصريها، تماماً كما حدث للجيم الفصيحة، ذلك الصوت المزدوج المكون من الدال والشين المجهورة، حيث نرى بعض العوام من صعيد مصر ينطقونها دالاً كما فى كلمة (دشيش) فى جشيش، و(دَشَع) فى جشع، وينطقها الشوام شيناً مجهورة وهذا هو العنصر الثانى.

أما بالنسبة لما تبقى من ظاهرة الكشكشة وهى (الشين) فيرى الدكتور/ رمضان أن هذه الشين موجودة فى نطق أهل اليمن، وهى المعروفة بـ (الشنشنة) وهى عبارة عن جعل الكاف شيناً.

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن ظاهرة الكشكشة عبارة عن إبدال الكاف المكسورة مطلقاً صوتاً مزدوجاً، هو (تْشْ) الذى تطور فيما بعد إلى صوت مفرد واحد، هو (الشين).

تْشْ > شْ(٢).

ـ وقد وردت هذه الظاهرة فى موضع واحد فى القراءات القرآنية فى قوله تعالى: ﴿قَدْ جعل ربُك تحتك سريًا﴾ مريم/ ٢٤.

---

(١) فصول فى فقه العربية ١٤٦.

(٢) فصول فى فقه العربية ١٤٨ ـ ١٤٩.

حيث: «قرأ بعض القراء (قد جعل ربش تحتش سريا) ويذكر هذا علماء اللغة فى معرض حديثهم عن كشكشة تميم»[1].

٥ ـ إبدال العين حاء

نسب فى القراءات القرآنية إلى بعض أعراب بنى أسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إبدال العين حاء، وذلك إذا جاورت صوتاً مهموساً.

وقد تجلى ذلك فى كلمة (بُعثر) فى قوله تعالى: ﴿أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ العاديات/٩.

فقد «قرأ ابن مسعود (بُحْثِرَ) بالحاء مبنياً للمفعول. قال الفراء: وسمعت بعض أعراب بنى أسد، وقرأ فقال: (بُحْثِرَ) وهما لغتان:(بُحْثِرَ وبُعْثِرَ)»[2].

ويرجع السبب فى هذا القلب إلى أن العين جاورت الثاء، والعين صوت مجهوروالثاء صوت مهموس، فأثرت الثاء على العين فقلبتها إلى نظيرها المهموس وهو الحاء (مماثلة رجعية regressive) وبذلك يحدث الانسجام بين الصوتين: الحاء والثاء[3].

ويلاحظ أن العين والحاء من مخرج واحد هو الحلق، وكل منهما صوت رخو مرقق، ويختلفان فقط فى الجهر والهمس، فالعين صوت مجهور، والحاء صوت مهموس[4].

ملاحظة:

نُقل كذلك عن تيمم قلب العين حاء إذا جاورت الهاء، ومثال ذلك قولهم: مَحَّمْ فى معهم، وأحَّد فى أعهد[5].

---

(١) معجم القراءات ٥/٣٥٤.
(٢) السابق ١٠/٥٤٤.
(٣) انظر فى هذا التفسير: فى اللهجات العربية ١٠٩ واللهجات العربية الغربية القديمة ١٥٤.
(٤) مناهج البحث فى اللغة ١٠٢ ـ ١٠٣.
(٥) اللهجات العربية الغربية القديمة ١٥٤ ـ ١٥٥.

وسبب هذا الإبدال كما هو واضح يكمن فى أن العين قد جاورت الهاء وهى صوت مهموس والعين صوت مجهور، فأثرت الهاء عليها، فقلبتها إلى نظيرها المهموس وهو الحاء (مماثلة رجعية) ثم أثرت الحاء على الهاء المجاورة فقلبتها حاء مثلها (مماثلة تقدمية Progressive) لأن الحاء كالهاء فى جميع الصفات، فكلاهما رخو مهموس مرقق، ومخرجاها متجاوران، فالهاء من الحنجرة والحاء من الحلق، ثم بعد ذلك أغمت الحاء الأولى فى الثانية.

مَعَهُمْ > مَعْهُمْ بتسكين العين > مَحْهُمْ > مَحْحُمْ مَحُّمْ.

أَعْهَدُ > أَحْهَدُ > أَحْحَدُ > أَحَّدُ.

ـ ويلاحظ أن إبدال العين حاء هنا على خلاف إبدال العين حاء عند هُذَيْل، من قبائل غربى الجزيرة العربية، وهى الظاهرة المعروفة بـ (فحفحة هذيل) وذلك فى كلمة (حتى) فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يوسف/ ٣٥، حيث قرأ ابن مسعود (عتى حين) وينسب ذلك إلى ثقيف أيضاً[١].

ويروى أن عمرو بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كما يقول ابن جنى: «سمع رجلاً يقرأ (عتى حين) فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله عز وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل. والسلام»[٢].

وذكر رابين Rabin أن المفسرين واللغويين يرون أن هذا شائع فى لهجة هذيل، وأضاف أن بعض المتأخرين قال: إن هذيلاً تنطق الحاء عيناً

---

(١) معجم القراءات ٤/٢٥٦.
(٢) المحتسب ١/٣٤٣.

باطراد، ولكنهم لا يقدمون أمثلة غير هذه القراءة، ثم ذكر أن اليازجى فى مؤتمر المستشرقين السابق قدم جملة كاملة من لهجة هذيل وهى (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) ولم يذكر المصدر الذى أخذ عنه مما يبعث على الشك فى ذلك(١).

وقد ربط الدكتور/ رمضان عبدالتواب بين (عتى) الهذيلية وبين الكلمة نفسها فى العبرية والآرامية. فهى فيهما بالعين كما عند هذيل، فهى فى العبرية עַד ‘ad وفى الآرامية كذلك עַד ‘ad أى أنه جهر بالحاء فيهما فأصبحت عيناً كما جهرت فى لغة هذيل، وزاد الأمر فيهما أن تماثلت التاء مع العين، فجهرت هى الأخرى فصارت دالاً(٢).

(١) اللهجات العربية الغربية القديمة ١٥٣.
(٢) فصول فى فقه العربية ١٣٩.

١٢ ـ إيثار القاف على الكاف

نسب في القراءات القرآنية إلى قبائل تميم وأسد وقيس، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إيثار القاف على الكاف.

وقد تجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ التكوير/١١.

«قرأ ابن مسعود وعامر بن شراحيل الشعبي وإبراهيم بن يزيد النخعي (قُشِطَتْ) بالقاف، وهي لغة تميم وأسد وقيس. قالوا: وليست القاف بدلاً من الكاف، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين، وقال ابن حجر: والمعنى واحد، والعرب تقول: الكافور والقافور، والقِسْط والكسْط، وإذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقباً في اللغة. وقال الزمخشري: اعتقاب الكاف والقاف كثير»[١].

فهذه القبائل فضلت القاف على الكاف، وليس ذلك إبدالاً بدليل أن المعنى واحد في الكلمتين لم يتغير: كُشِطَتْ وقُشِطَتْ.

وربما يكون الباعث على إيثار القاف على الكاف، أن ذلك مما يتفق مع الطبيعة البدوية وما فيها من خشونة وصرامة، إذ إن الكاف صوت شديد مهموس مرقق، وهذا لا يتفق مع طبيعتهم، أما القاف فصوت شديد مجهور[٢] له بعض القيمة التفخيمية، وذلك لأنه يتم عند النطق به» قرب اللسان من الجدار الخلفي للحلق في نقطة فوق تلك التي تتصل بها ظاهرة التحليق، ومن هنا لم يكن صوت القاف من الأصوات المفخمة تفخيماً كاملاً، وإنما كان له بعض القيمة التفخيمية الذي جاء من وجود العنصر الطبقي والحلقي في نطقه»[٣].

---

(١) معجم القراءات ١٠/٣٢٦.

(٢) سبق أن ذكرنا أن القاف عند القدماء من الأصوات المجهورة وأنها كانت تنطق كالجيم القاهرية والجيم السامية.

(٣) مناهج البحث في اللغة ٩٦ ـ ٩٧.

١٣ ـ تحريك ميم الضمير (هم) بالضمة إذا وليها ساكن

نسب في القراءات القرآنية إلى قبيلة أسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، تحريك ميم الضمير (هم) بالضمة القصيرة إذا وليها ساكن، وذلك من باب كراهية التقاء الساكنين.

وقد سبق أن ذكر في الجزء الخاص بإتباع حركة ضمير الغيبة لكسرة أو ياء سابقة أن أصل حركة الهاء في الضمير (هُمْ) الضمة القصيرة، وأن هذه الضمة تقلب كسرة إذا سبقت بكسرة أو ياء، بسبب تماثل هذه الضمة مع الياء أو الكسرة (مماثلة تقدمية Progressive) وذكرنا أيضاً أن أصل حركة الميم الضمة الطويلة، وأنها تحذف من باب التخفيف، فتصير الميم ساكنة.

ب ـِ هـ ـُ م ـُـُ < ب ـِ هـ ـِ م ـُـُ < ب ـِ هـ ـِ م

ء ـِ ل ـَ ى هـ ـُ م ـُـُ < ء ـِ ل ـَ ى هـ ـِ م ـُـُ < ء ـِ ل ـَ ى هـ ـِ م.

ـ أما هنا فإن الذى يلى الميم الساكنة حرف ساكن، ومعلوم أن التقاء الساكنين ممتنع، وللتخلص منهما يجب تحريك أولهما، وبما أن هذه الميم أصلها في التحريك الضمة الطويلة، فإنها هنا تقصر وتصبح ضمة قصيرة، فتكون هذه الحركة عند قبيلة أسد هي حركة التخلص من التقاء الساكنين، وعند غيرهم تكون الحركة الكسرة. وهذا واضح من خلال القراءات القرآنية المنسوبة إلى قبيلة أسد، وهي:

١ ـــ (قلوبهمُ العجل) قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة/٩٣.

«قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر وابن محيصن (قلوبِهِمُ الْعِجْلَ) بكسر الهاء وضم الميم. وهى لغة بنى أسد وأهل الحرمين»(١).

٢ ـ (عَلَيْهِمُ القتلُ) قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ آل عمران/ ١٥٤.

«قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر وابن محيصن ورَوْح (عَلَيْهِمُ القتل) بكسر الهاء وضم الميم، وذلك لمناسبة الكسر للياء قبله، وتحريك الميم بالحركة الأصلية. وهى لغة بنى أسد وأهل الحرمين»(٢).

ويلاحظ أن أصل الضمير (هم) فى الحركة هو (هُمو) وحدث فيه تغييران: الأول تحول ضمة الهاء إلى كسرة من باب المماثلة للكسرة أو الياء السابقة (مماثلة تقدمية) والتغيير الثانى: تقصير حركة الميم، فتصبح فى النهاية (ـهِمُ).

بـ ـِ هـ ـُ م ـُ ـُ > بـ ـِ هـ ـِ م ـُ ـُ > بـ ـِ هـ ـِ م ـُ

ع ـَ ل ـَ ى هـ ـُ م ـُ ـُ > ع ـَ ل ـَ ى هـ ـِ م ـُ ـُ > ع ـَ ل ـَ ى هـ ـِ م ـُ

كما وردت تراكيب أخرى ولها نفس التخريج الساق، وهى على النحو التالى:

١ ـ (عَلَيْهِمُ القتالُ) قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ النساء/٧٧(٣).

---

(١) معجم القراءات ١/١٥٣.

(٢) معجم القراءات ١/٦٠٥.

(٣) السابق ٢/١٠٩.

٢ ـ (عَلَيْهِمُ الْبابَ) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ المائدة/٢٣(١).

٣ ـ (إِلَيْهِمُ الملائكةَ) قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ الأنعام/١١١(٢).

٤ ـ (عليهمُ الشُّقَّةُ) قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾ التوبة/٤٢(٣).

٥ ـ (من تحتِهمُ الأنهارُ) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ يونس/٩(٤).

٦ ـ (لربِّهِمُ الْحُسْنَىٰ) قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ﴾ الرعد/١٨(٥).

٧ ـ (عَلَيْهِمُ الَّذِى) قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ لِّتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ الرعد/٣٠(٦).

---

(١) السابق ٢/٢٥٣.
(٢) السابق ٢/٥٢٥.
(٣) السابق ٣/٣٩٢.
(٤) السابق ٣/٥٠٠.
(٥) السابق ٤/٤٠٧.
(٦) السابق ٤/٤١٩.

٨ ـ (يأتِيهمُ الْعذابُ) قال تعالى: ﴿ وأَنذِرِ النَّاسَ يومْ يأْتيهمُ الْعذابُ فيقولُ الَّذين ظلَموا ربَّنا أَخِّرْنا إلىٰ أجلٍ قريبٍ نُجبْ دعْوتك ونتَّبِع الرُّسل﴾ إبراهيم/٤٤(١).

٩ ـ (ويُلْهِهمُ الأملُ) قال تعالى: ﴿ ذرْهُمْ يأكُلوا ويتمتَّعُوا ويُلْهِهمُ الأملُ﴾ الحجر/٣(٢).

١٠ ـ (لا يهديهمُ الله) قال تعالى: ﴿ إنَّ الَّذينَ لا يُؤْمنون بآياتِ الله لا يهْديهِمُ اللَّهُ ولهُمْ عذابٌ أليمٌ﴾ النحل/ ١٠٤(٣).

١١ ـ (إلى ربِّهمُ الْوسيلةَ) قال تعالى: ﴿ أُولَئكَ الَّذينَ يدْعُون يبْتغُون إلىٰ ربِّهِمُ الْوسيلةَ أيُّهُمْ أقْربُ﴾ الإسراء/٥٧(٤).

١٢ ـ (من تحتِهمُ الأنهارُ) قال تعالى: ﴿ أُولَئك لهُمْ جنَّاتُ عدْنٍ تجْري من تحْتِهمُ الأنْهارُ﴾ الكهف/ ٣١(٥).

١٣ ـ (عليْهمُ الْعُمُرُ) قال تعالى: ﴿ ولَكنَّا أنشأْنا قُرُونًا فتطاول عليْهمُ الْعُمُرُ﴾ القصص/٤٥(٦).

١٤ ـ (بهِمُ الأرْض) قال تعالى: ﴿ إن نَّشأْ نخْسفْ بهِمُ الأرْض أوْ نُسْقطْ عليْهمْ كسفًا منَ السَّماء﴾ سبأ/ ٩(٧).

---

(١) السابق ٤/٥١١.
(٢) السابق ٤/٥٣٥.
(٣) السابق ٤/٦٩١.
(٤) السابق ٥/٨١.
(٥) السابق ٥/٥٩٨.
(٦) السابق ٧/٥١.
(٧) السابق ٧/٣٣٨.

١٤ـ إثبات ألف (أنا) وصلاً ووقفاً قبل همزة القطع والضمير (هو)

نسب في القراءات القرآنية إلى قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إثبات ألف الضمير (أنا) وصلاً ووقفاً في موضعين، أولهما: قبل همزة القطع المفتوحة والمضمومة والمكسورة، وثانيهما: قبل الضمير (هو) وفيما يلي بيان ذلك من القراءات القرآنية:

أولاً: إثباتها قبل همزة القطع.

١ـ قبل الهمزة المفتوحة: ـ (أَنَا أَوَّلُ)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأنعام/١٦٢ ـ ١٦٣.

«قرأ نافع وأبو جعفر بمد (أنا) قبل الهمزة من (أول) وصلاً على إشباع الألف. وذهب ابن عطية إلى أن ترك الإشباع أحسن لأنها ألف وقف، فإذا اتصل الكلام استغنى عنها إذا وليتها همزة. وقرأ قالون بالمد والقصر؛ لأنها عنده مد منفصل. وقراءة الباقين بلا مدّ (وأَنَ أَوَّلُ). وفي حالة الوقف كل القراء يُثبتون الألف (أنا). وفي الاتحاف: وفيه لغتان: تميم إثباتها وصلاً ووقفاً وعليها تُحمل قراءة المدنيين. والثانية: إثباتها وقفاً فقط»(١).

٢ـ قبل الهمزة المضمومة

ـ (أنا أُحيِي) قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ البقرة/٢٥٨.

---

(١) معجم القراءات ٢/٦٠٣ ـ ٦٠٤.

«اختلف العلماء فى إثبات الألف وحذفها من (أنا) فى الوصل إذا أتى بعدها همزة قطع، مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، فقرأ نافع وأبو جعفر بإثباتها عند المفتوحة والمضمومة (أنا أُحيى) فى الوصل والوقف، وروى هذا عن نافع أبو بكر بن أبى أُوَيْس وقالون وورش. وتخرج هذه القراءة على لغة تميم، فإثبات الألف مذهبهم. وقرأ حمزة والكسائى وعاصم وابن عامر وأبو عمرو وابن كثير (أَنَ أُحيى) بحذف الألف فى الوصل. وأجمع القراء على إثباتها فى الوقف (أنا) وإثبات الألف وصلاً ووقفاً لغة تميم، ولغة غيرهم حذفها فى الوصل، ولا تثبت عند غير بنى تميم وصلاً إلا فى ضرورة الشعر»(١).

ـ (أنا أُنبئُكُمْ) قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ يوسف/٤٥.

«قرأ نافع وأبو جعفر فى الوقف والوصل (أنا) بمد الألف قبل الهمزة المضمومة، فيصير عنده مداً منفصلاً، وهى لغة تميم... قال فى الإتحاف: وفيه لغتان لغة تميم: إثباتها وصلاً ووقفاً، وعليهما تُحمل قراءة المدنيين، والثانية: إثباتها وقفاً فقط»(٢).

٣ـ قبل الهمزة المكسورة

ـ (أنا إلا نذير) قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف/١٨٨.

«اختلفوا فى إثبات الألف من (أنا) وحذفها إذا أتى بعدها همزة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، فقرأ المدنيان بإثباتها عند المضمومة

---

(١) السابق ١/٢٦٥ ـ ٣٦٦.
(٢) السابق ٤/٢٧٤.

والمفتوحة (أنا أحيى ـ أنا آتيك) واختلف عن قالون عند المكسورة فى نحو (إنْ أنا إلا) فروى الشذائى عن ابن بويان عن أبى حسان عن أبى نشيط عنه إثبات الألف (إنْ أنا إلا) وكذلك روى ابن شنبوذ وابن مهران، وهى رواية أبى، وأبى الحسن بن ذؤابة القزاز وأبى عون الحلوانى. وروى الفرضى من طريق المغاربة وابن الحباب عن ابن بويان حذفها (إنْ أنَ إلا)...

قال ابن الجزرى: والوجهان صحيحان عن قالون نصاً وأداء، نأخذ بهما من طريق أبى نشيط، ونأخذ بالحذف من طريق الحلوانى، وقرأ الباقون بحذف الألف وصلاً وفى الأحوال الثلاثة، ولا خلاف فى إثباتها وقفاً. واختصر صاحب الإتحاف نص النشر، ثم قال: وفيه لغتان: لغة تميم إثباتها وصلاً ووقفاً، وعليه تحمل قراءة نافع وأبى جعفر، والثانية إثباتها وقفاً فقط»[1].

ـ ويلاحظ من خلال ما سبق أن تميماً كلفت نفسها مشقة إثبات ألف أنا فى الوصل، وهذا أمر مستغرب منهم؛ لأن أهل البادية يميلون إلى السرعة فى الكلام، وكان من المفروض أن تقصر حركة (أنا) وهى ألف المد لتصبح فتحة قصيرة، ويمكن أن نعتبر سلوكهم هذا وما فيه من مشقة مما يتفق مع طبيعة أهل البادية فى سلوك الصعب من الحركات.

أما غيرهم فمال إلى التقصير، ذلك أن الوصل وما يتطلبه من سرعة فى النطق يؤدى إلى ذلك، أى تتحول (نا) من (أنا) من مقطع قصير مفتوح محرك بحركة طويلة (ص ح ح) إلى محرك بحركة قصيرة (ص

---

(١) السابق ٣/٢٣١.

ح) وبذلك يتماثل هذا المقطع مع مقطع (أ) من (أنا) كما يتضح الانسجام كـذلك حين يكون هذا المقطع من (ص ح) مع مـقطع الـهـمـزة التـالـيـة المفتوحـة أو المضمومة أو المكسورة، إذ قد يكون من نوع (ص ح) أو من نوع (ص ح ص) أى مقطع مغلق.

ثانياً: إثباتها قبل الضمير (هو)

ورد هذا فى قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾ الكهف/٣٨.

«لكنَّا أصله: (لكنْ أَنَا) نقلت حـركة الهمزة إلى نون (لكن) وحذفت الهمزة، والتقى مثلان، فأدغم أحدهما فى الآخر.

وقرأ ابن عامر وابن كثير فى رواية ابن فليج ونافع فى رواية المسيبى وأبو عـمـرو فى رواية وعـاصم فى رواية زيد بن على ورُوَيْس والحسن والزهرى وأبو بحرية ويعقوب فى رواية وكردم وورش وأبو جعفر من طريق الحلوانى ورُوَيْس (لكنا هو الله ربى) بإثبات الألف وقفاً ووصلاً، أما فى الوقف فظاهر، وأما فى الوصل فبنوا تميم يثبتونها فيه وغيرهم فى الاضطرار، فجاء على لغة بنى تميم»[1].

وتفسير إثبات ألف (أنا) وعدم حذفها عند تميم وصلاً ووقفاً، وحذفها وصلاً فقط عند غيرهم، هو نفس التفسير السابق.

---

(١) السابق ٥/٢١٢ ـ ٢١٣.

١٥ـ همز واو المد المسبوقة بضمة

نسب في القراءات القرآنية إلى بعض أسد، من قبائل وسط الجزيرة العربية، همز واو المد المسبوقة بضمة، وذلك في بعض الأسماء الأعجمية من مثل: يونس ويوسف. وفيما يلي بيان ذلك:

١ـ (يُوسُف) قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ الأنعام/٨٤.

«عن طلحة أنه قرأ (يُؤسِف) بالهمز وكسر السين. وهي لغة بعض بني أسد»[١].

٢ ـ (يُونُس) في موضعين، الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ النساء/١٦٣.

«بعض أسد يهمزة ويضم (يؤنس) وهي قراءة عمرو بن دينار، وهي قراءة طلحة بن مصرف»[٢].

والثاني: في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الصافات/١٣٩ والتخريج هو نفس التخريج السابق.[٣]

يرى ابن جني أن همز الواو أو قلبها همزة في مثل ما سبق محمول على همز الواو المضمومة في مثل (أُقتت) و(أُجوه) والأصل (وُقِّتَتْ) و(وُجوه) فالواو في موسى ويوسف ساكنة وقبلها ضمة، فصارت الضمة كأنها فيها بسبب الجوار. يقول:

---

(١) معجم القراءات ٢/٢٧٤.

(٢) السابق ٢/٢٠١.

(٣) السابق ٨/٥٩.

«أنشدنا أبو عليّ:

أَحَبُّ المُؤْقِــدَين إلىَّ مُــؤْسى

بهمز الواو فى المُؤْقدَيْن ومُؤْسى. وروى قنبل عن ابن كثير (بالسُّوق) ص/٣٣ مهموز الواو، ووجه ذلك أن الواو وإن كانت ساكنة، فإنها قد جاورت ضمة الميم، فصارت الضمة كأنها فيها، فمن حيث همزت الواو فى نحو (أُقتت) المرسلات/١١ و(أُجوه) و(أُعد) لانضمامها، كذلك جاء همز الواو فى (الموقدين) و(موسى) على ما قدمنا من أن الساكن إذا جاور المتحرك صارت حركته كأنها فيه، ويزيد ذلك عندك وضوحاً أن من العرب من يقول فى الوقف: عذا عَمُرْ وبَكُرْ، ومررت بعَمِرْ وبكِرْ، فينقل حركة الراء إلى ما قبلها، وإنما جاز ذلك لأنه إذا حُرك ما قبل الراء فكأن الراء متحركة وقال حسان:

فارسِىْ خَيْلٍ إذا ما أمسكَتْ ... رَبَّةُ الخِدْرِ بأطرفِ السِّتِرْ

يريد: السِّتْرِ. وقال الأعشى:

إذا قَتْهُمُ الحربُ أنفاسَّها ... وقد تُكْرَهُ الحربُ بعد السَّلِمْ

فهذا كله يشهد بأن الحركة إذا جاورت الساكن صارت كأنها قد حلته»(١).

وأرى أن واو المد فى يوسف ويونس لم تُهمز أو تُقلب همزة؛ لأن الهمزة الموجودة هى أصل فى الكلمتين، ذلك أن يوسف مشتق من الفعل: أسفه بمعنى: أحزنه، ويونس من الفعل: آنسه، إذا أزال وحشته. والسين فى

(١) سر الصناعة ٧٩/١ ـ ٨٠ وانظر كذلك الخصائص ١٤٩/٣.

يوسف والنون في يونس أصلهما الكسر، وتحولهما إلى الضم من باب المماثلة لحركة الياء فيهما. فكأن هاتين الصيغتين اللتين نطق بهما بعض بني أسد يمثلان المرحلة الأولى، أما المرحلة الثانية فهي تحول (مُؤْ) من مُؤْسى، و(يُؤْ) من يؤسف إلى (مُو) و(يو) فصارت الكلمتان: مُوسى ويوسف، والتحول إلى واو المد كان بسبب تخفيف الهمزة الساكنة بحذفها وإطالة الحركة السابقة عليها.

والأمر كذلك بالنسبة لـ (مُؤسى) في كلام ابن جني السابق من الفعل: آسى بينهما مؤاساة ومواساة، أي: سوى بينهما، أو من أسِيَ عليه وله أَساً، أي: حَزِنَ.

أما (المؤْقِدَينِ) في البيت فأصله: (المُوْقِدَيْن) بسكون الواو ونشوء الصوت المركب (uw / ـُو) وقد همز الجزء الثاني من هذا الصوت وهو الواو الساكنة، وسبب ذلك حتى لا يتحول الصوت المركب إلى ضمة طويلة (ū / ـُـُـ).

١٦ ـ قلب القاف والميم إلى موضع العين

نُسب فى القراءات القرآنية إلى تميم وبعض ربيعة، قلب القاف إلى موضع العين (قلب مكانى) ونسب إلى تميم فقط قلب الميم إلى موضع العين، وذلك عند اجتماعهما فى كلمة واحدة. وفيما يلى بيان ذلك:

أولاً: قلب القاف إلى موضع العين:

١ـ **(الصواعق)** فى موضعين: الأول: فى قوله تعالى: ﴿ يجْعلُون أَصَابعهُمْ فِي آذانِهم مِّن الصَّواعِقِ حذر الْموْتِ ﴾ البقرة/١٩.

«قرأ الحسن (الصواقع) وهى لغة تميم وبعض ربيعة»(١).

والثانى: فى قوله تعالى: ﴿ ويُرْسلُ الصَّواعق فيُصيبُ بها من يشاءُ ﴾ الرعد/١٣(٢). نفس التخريج السابق.

٢ ـ **(الصاعقة)** فى قوله تعالى: ﴿ فعتوا عنْ أَمْرِ ربِّهِمْ فأَخذتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ ينظُرُونَ ﴾ الذاريات/٤٤.

«قرأ الحسن (الصاقعة) بتقديم القاف على العين، وهى لغة تميم وربيعة»(٣).

الثانى: قلب الميم إلى موضع العين:

ـ **(عميق)** فى قوله تعالى: ﴿ وأَذِّن فِي النَّاس بالْحجِّ يأْتُوك رِجالاً وعلَى كُلِّ ضامِرٍ يأْتِين مِن كُلِّ فَجٍّ عَميقٍ ﴾ الحج/٢٧.

---

(١) معجم القراءات ١/٥٥.

(٢) السابق ٤/٣٩٨.

(٣) السابق ٩/١٣٨.

«قرأ ابن مسعود (معيق) وهى لغة تميم. وقراءة الجمهور (عميق) وهى لغة الحجاز. والقراءتان معناهما واحد، يقال: بئرٌ بعيدة العَمْقِ والمَعْقِ»(١).

- وأرى أن سبب القلب المكانى بين القاف والعين يعود إلى إيثار تميم وبعض ربيعة تقديم الأصوات الأمامية على الخلفية، فالقاف من الأصوات الأمامية، إذ مخرجها من أقصى الحنك الأعلى، من اللهاة، أما العين فمن الأصوات الخلفية، ومخرجها من الحلق، إضافة إلى أن القاف صوت شديد مجهور (عند القدماء) له بعض القيم التفخيمية كما سبق أن ذكرنا من قبل، أما العين فرخوة مجهورة. إذن فالقاف فيها مجهود عضلى فى نطقها أكثر من العين، وهذا يتفق مع الشدة والصرامة التى تتميز بها القبائل البدوية.

- والأمر كذلك بالنسبة للميم مع العين، فالميم من الأصوات الأمامية، مخرجها الشفاة، أى السفلى والعليا، ويشترك فى نطقها مع الفم الأنف أيضاً، ولذلك يطلق عليه مصطلح (صوت أنفمى) لأنه عند النطق بها تغلق الشفتان بإحكام بحيث لا يسمحان للهواء بالمرور من الفم وتُسمح له بالمرور من الأنف، وهى مجهورة أيضاً، أما العين فكما سبق أن ذكرت من الأصوات الخلفية، ومخرجها من الحلق، ومجهورة. معنى هذا أن النطق بالميم أيضاً يحتاج مجهوداً عضلياً أكثر من العين.

---

(١) السابق ٦/١٠٦.

الخاتمة

نبدأ الخاتمة بعرض جدول يلخص الخصائص الصوتية التي شملتها الدراسة وتوزيعها علي القبائل موضوع الدراسة:

	القبائل	كسر حروف المضارعة	حذف حركة الحرف الثاني من الكلمات الثلاثية	الإتباع: كسر هاء فعيل إتباعا للعين	الإتباع: إتباع حركة [illegible] الميم [illegible] أو كسرة	الإتباع: إتباع حركة واو [illegible]	الإتباع: إتباع حركة هاء التنبيه للحركة الإعرابية	الإتباع: إتباع حركة حرف الإعراب لما قبل حرف [illegible]	الإتباع: [illegible]	الإمالة	المحافظة على الهمزة	المخالفة بين الكسرة والضمة	[illegible] حركة هاء [illegible]	إدغام العين في اللام في الجزم والأمر	حذف فاء المثال الذي على وزن فعل	حذف إحدى الياءين من استحى	إبدال السين صادا	إبدال السين زايا	إبدال الثاء فاء	إبدال كاف المؤنث شينا	إبدال العين حاء	إيثار القاف على الكاف	تحريك ميم [illegible] بالضمة عند التقائها بساكن	إثبات ألف (أنا) وصلا قبل الهمزة والضمير (هو)	همز واو المد المسبوقة بضمة	قلب القاف والميم إلى موضع	عدد ورود الظواهر	النسبة المئوية (ملاحظات)
قبائل وسط الجزيرة العربية	تميم	+	+	−	+	−	−	+	−	+	+	+	−	+	+	+	−	−	+	+	−	+	−	+	−	+	١٦	٣٣٪ تقريبا
	قيس	+	+	−	+	−	−	−	+	+	−	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	٨	١٧٪ تقريبا
	بعض قيس	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	١	٢٪ تقريبا
	أسد	+	+	−	+	−	+	−	−	+	−	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+	−	−	−	٥	١١٪ تقريبا
	بعض أسد	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	٢	٤٪ تقريبا
	بعض أعراب بني أسد	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	١	٢٪ تقريبا
	ربيعة	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	٢	٤٪ تقريبا
	بعض ربيعة	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	١	٢٪ تقريبا
	عقيل ومن جاورهم	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	١	٢٪ تقريبا
	كلب	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	+	+	−	−	−	−	−	−	−	−	٢	٤٪ تقريبا
	بعض بني كلب	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	١	٢٪ تقريبا
قبائل شرق الجزيرة العربية	بكر	−	+	−	−	−	+	−	−	−	−	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	٣	٦٪ تقريبا
	بهراء	+	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	−	١	٢٪ تقريبا
																											٤٨	

+ تعني وجود الخاصية الصوتية
- تعني عدم وجودها.

ملاحظات على الجدول:

يظهر من الجدول أن عدد الخصائص الصوتية التى شملتها الدراسة خمس وعشرون ظاهرة، وعدد القبائل الموزعة عليها هذه الخصائص ثمانى، ستة منها من قبائل وسط الجزيرة العربية واثنتان من شرقيها. ويمكن الخروج من هذا الجدول بالملاحظات الآتية:

١ـ وردت خاصية كسر حروف المضارعة عند ست قبائل، هى: تميم، وقيس، وأسد، وربيعة، وبعض كلب، وبهراء.

٢ـ وردت خاصية حذف حركة الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية عند خمس قبائل، هى: تميم، وقيس، وأسد، وربيعة، وبكر.

٣ـ وردت خاصية إشمام حركة فاء الماضى الأجوف المبنى للمجهول عند ثلاث قبائل، هى: قيس، وأسد، وعقيل.

٤ـ وردت المعاقبة بين الكسرة والضمة عند أربع قبائل، هى: تميم، وقيس، وأسد، وبكر.

٥ ـ ورد إتباع حركة هاء التنبيه لحركة (أىُّ وأيَّةُ) فى (لأيُّها وأيَّتُها).

٦ ـ ورد إتباع حركة حرف الإعراب لماليس حرف إعراب والعكس عند قبيلتين، هما: تميم، وبعض قيس.

٧ ـ ورد قلب القاف والميم إلى موضع العين (قلب مكانى) عند قبيلتين، هما: تميم، وبعض ربيعة.

٨ ـ تشترك تميم وقيس وأسد فى ثلاث خصائص صوتية، هى:

ـ إتباع حركة ضمائر الغيبة لياء أو كسرة سابقة.

ـ الإمالة.

ـ إيثار القاف على الكاف.

٩ ـ استأثرت قبيلة تميم وحدها بثمانية خصائص صوتية، هي:

ـ كسر فاء فعيل إتباعاً للعين.

ـ إدغام العين في اللام في الجزم والأمر.

ـ حذف فاء المثال الذي على وزن افتعل.

ـ حذف إحدى الياءين من الفعل (استحيا يستحيي).

ـ إبدال الثاء فاء.

ـ إبدال كاف المؤنث شيناً (الكشكشة).

ـ المحافظة على الهمزة.

ـ إثبات ألف (أنا) وصلاً ووقفاً قبل همزة القطع والضمير (هو).

١٠ ـ انفردت قبيلة كلب بخاصيتين صويتين، هما:

ـ إبدال السين صاداً.

ـ إبدال السين زاياً.

١١ ـ انفرد بعض أسد بخاصتين صوتيتين، هما:

ـ همز واو المد المسبوقة بضمة.

ـ إتباع حركة واو العطف وفائه لحركة همزة (إن).

١٢ـ انفردت قبيلة قيس بخاصية إشمام الصاد زاياً.

١٣ ـ انفرد بعض أعراب بني أسد بخاصية واحدة، هي: إبدال العين حاء.

١٤ ـ انفردت قبيلة أسد بخاصية تحريك ميم ضمير الغائبين (هم) بالضمة عند التقائه بساكن.

١٥ ـ تُرتب القبائل المذكورة وفق عدد استخدامها الخصائص الصوتية موضوع الدراسة على النحو التالى:

١ ـ تميم (١٦ خاصية).

٢ ـ أسد، وبعض أسد، وبعض أعراب بنى أسد (١٢ خاصية).

٣ ـ قيس، وبعض قيس (٩ خصائص.

٤ ـ ربيعة، وبعض ربيعة (٣ خصائص).

٥ ـ كلب وبعض كلب (٣ خصائص).

٦ ـ بكر (٣ خصائص).

٧ ـ عقيل ومن جاورهم خاصية واحدة.

٨ ـ بهراء خاصية واحدة.

ومن خلال الدراسة يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج التالية:

١ ـ خاصية كسر حروف المضارعة الشائعة فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها تعود إلى التأثر باللغات السامية التى تشيع فيها هذه الظاهرة، وقد بدأ التأثر بقضاعة ـ التى منها بهراء التى تنسب إليها هذه الظاهرة التى تعرف بتلتلة بهراء ـ وذلك لمجاورتها المناطق الكنعانية ومن قضاعة انتشر هذا التأثر إلى باقى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها، كما أن هذه الظاهرة كانت شائعة فى اللغة العربية فى فترة قديمة جداً لأنها

من أخوات اللغات السامية، ودليل ذلك ما تبقى من كسر الهمزة فى إخال.

٢ ـ خاصية تسكين الحرف الثانى من الكلمات الثلاثية بحذف حركته وما حمل عليه فى لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها، ليس بسبب كراهية الضمة أو الكسرة بعد الفتحة، أو كراهية توالى الضمتين، وإنما يعود ذلك إلى ظاهرة النبر، حيث إن النبر فى هذه الكلمات التى جميع مقاطعها من النوع الأول القصير المفتوح (ص ح) يقع على المقطع الأول حين نعد المقاطع من آخر الكلمة؛ فكأن وقوع النبر على المقطع الأول أدى إلى حذف حركة الحرف الثانى، كما يمكن ردّ هذا الحذف كذلك إلى إيثارهم المقاطع المغلقة على المفتوحة.

٣ ـ الأصل فى حركة ضمير الغائبين (هُمْ) الضمة الطويلة (هُمُو) وليست ضمة قصيرة بعدها واو، كما ذهب القدماء، وهذه الميم تسكن وتعود هذه الحركة عند إضافة هذا الضمير إلى ضمير متصل، مثل: أخذتموه وأكلتموه.

٤ ـ الصاد المشمة زاياً فى لهجة قيس تشبه نطق العوام من المصريين صوت الظاء، أى تكون ظاء غير لثوية، وتجمع فى صفتها بين الجهر الذى من خصائص الزاى، والتفخيم الذى من خصائص الصاد.

٥ ـ تمثل الإمالة عند أهل نجد من تميم وقيس وأسد المرحلة التى تسبق مرحلة الفتح الخالص فى العربية الفصحى، وعليها لغة أهل

الحجاز، والإمالة هذه تمثل طوراً من أطوار الصوت المركب حتى وصوله إلى الصورة النهائية وهى الفتح الخالص.

aw > ē > ā

ay > ē > ā

ومما يدل على ذلك شيوعها فى الفعل الأجوف فى اللغة الحبشية، إحدى اللغات السامية التى منها اللغة العربية، فى مثل ቆመ qōma قام و ሤጠ šēṭa باع.

٦ ـ لم يحافظ على الهمزة من القبائل موضوع الدراسة إلا قبيلة تميم، من قبائل وسط الجزيرة العربية، فيقولون فى الأمر من سأل: اسألْ، ولم يقولوا: سَلْ، وقد جاء القرآن على لغتهم، قال تعالى: ﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر﴾ الأعراف/١٦٣ إلى جانب التسهيل فى قوله تعالى: ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ القلم/٤٠.

ويقولون فى يرى الفصحى: يرْأى، وهذه هى الصيغة الأصلية، ويحافضون على الهمزتين من كلمتين، أو يُقحمون ألفاً بينهما(١). وقد جاء القرآن الكريم على لغتهم فى نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة/٦.

٧ ـ ميل قبائل تميم وقيس وأسد وبكر وغيرها إلى الضم فى مقابل الكسر عند أهل الحجاز يمكن رده إلى إيثار هذه القبائل الأصوات التى تحتاج إلى جهد عضلى أكبر، وهذا مما يتناسب مع طبيعتهم

---

(١) هذا هو تعبير القراء ومن شايعهم من النحاة، وإنما هذه الألف حركة طويلة ناشئة عن إطالة حركة الهمزة الأولى كما فى قراءة (آإذا وآإنا) فى قوله تعالى: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أإذا متنا وكنا تراباً أإنا لفى خلقٍ جديد﴾ الرعد/٥.

التى تتسم بالخشونة، إذ الضمة تتكون بتحرك أقصى اللسان، أما الكسرة فتتكون بتحرك أدناه وهذا أيسر، ولذلك تعد الضمة من الأصوات الخلفية، أما الكسرة فمن الأصوات الأمامية.

٨ ـ الأصل فى المبنى للمجهول من قال وباع: قُوِلَ وبُيِعَ(١)، ثم تحول إلى: قِوِلَ وبِيِعَ، بعد أن تماثلت حركة الفاء مع حركة العين (مماثلة رجعية) ثم حذفت الواو والياء لوقوعهما بين حركتين متماثلتين، وبعد الحذف تحولت الحركتان إلى حركة طويلة (آ) قِيلَ وبِيعَ (bīʿa _ qīla).

ولم تنقل حركة الفاء إلى العين، ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما ذهب القدماء.

٩ ـ تُبدل السين صاداً عند بنى كلب، من قبائل وسط الجزيرة العربية، إذ وقعت قبل (الغين أو الخاء أو القاف أو الطاء) وسبب ذلك لتنسجم وتتجانس مع هذه الأصوات فى صفة الاستعلاء أو التفخيم دون صفة الجهر. كما تبدل السين عندهم زاياً قبل القاف أو الطاء لتنسجم معهما فى صفة الجهر.

١٠ ـ الأصل فى ظاهر الكشكشة، وهى إبدال كاف المؤنث شيناً، أن تكون صوتاً مركباً هو (تْشْ) يبدأ بصوت شديد وينتهى بصوت رخو، والدليل على هذا أن هذه الكاف تنطق هكذا فى معظم لهجات الخليج العربى، وأما ما نراه فى تراثنا منسوباً إلى تميم وغيرها من نحو: أبيش وأبغيشِ، بحذف التاء، والإبقاء على

---

(١) الدليل على هذا الأصل إشمام ا لكسرة ضمة عند قيس وعقيل ومن جاورهم وأسد دون النطق بالضمة، فكأن هذا الإشمام إشعار بأصل حركة الحرف الأول.

الشين، فسببه يعود إما إلى دقة اللغويين فى تسجيل هذا الصوت، وإما إلى تطوره بحذف الجزء الأول منه، وهذا شبيه بنطق الشوام للجيم الفصيحة بالتعطيش أو بالشين المجهورة، وهو الجزء الثانى من صوت الجيم.

وأصل هذا الإبدال أن يكون فى الكاف المكسورة بسبب قانون الأصوات الحنكية، الذى ينص على أن أصوات أقصى الحنك حينما تحرك بحركة أمامية كالكسرة فإنها تميل إلى تحولها إلى نظائرها من الأصوات الأمامية، ثم عمم ذلك على كل كاف مضمومة أو مفتوحة، طرداً للباب على وتيرة واحدة.

١١ ـ إذا التقى ضمير الغائبين (هم) بساكن تالٍ له، فإن قبيلة أسد تحرك الميم الساكنة فى هذا الضمير بحركتها الأصلية وهى الضمة القصيرة الناشئة عن الضمة الطويلة الحركة الأصلية، وغيرهم يحركها بالكسر، وذلك تخلصاً من التقاء الساكنين، وعلى لغتهم جاء القرآن الكريم، فى نحو قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة/٩٣. وقوله جل شأنه: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ الرعد/١٨.

١٢ ـ يميل التميميون إلى عدم تقصير حركة الضمير (أنا) وهى الفتحة الطويلة إذا وليها همزة القطع أو الضمير (هو) كما فى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ الأعراف/١٨٨ ولا يخفى ما فى ذلك من مشقة؛ لأن الوصل وما يتطلبه من سرعة فى الكلام، وما يتسم به أهل البادية من سرعة فى النطق، كل هذا كان من المفروض أن يؤدى إلى التقصير، غير أنهم تكلفوا هذه المشقة؛ لأن ذلك مما يتفق مع طبيعتهم التى تتسم بالخشونة، أما غيرهم فمال إلى التقصير.

مراجع البحث

فيما يلى سرد المراجع التى اعتمدت عليها فى هذا البحث:

١ ـ الأصوات العربية وتدريسها لغير الناطقين بها من الراشدين، لسعد عبدالله الغرينى ـ مكتبة الطالب الجامعية ـ الرياض/ السعودية ١٩٨٠.

٢ ـ الأصوات اللغوية، للدكتور/ إبراهيم أنيس ـ مكتبة الأنجلو المصرية/ القاهرة ١٩٩٠.

ـ أطلس تاريخ الإسلام، للدكتور/ حسين مؤنس ـ الزهراء للإعلام العربى ـ بدون تاريخ.

٣ ـ بحوث ومقالات فى اللغة، للدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض ١٩٨٢.

٤ ـ التتمة فى التصريف، لابن القبيصىّ (أبى عبدالله محمد بن أبى الوفاء الموصلى) تحقيق الدكتور/ محمد بن سالم العميرى ـ مطبوعات نادى مكة الثقافى الأدبى/ السعودية ١٩٩٣.

٥ ـ التطور النحوى للغة العربية ـ محاضرات ألقاها المستشرق الألمانى/ برجشتراسر، ألقاها فى الجامعة المصرية عام ١٩٢٩ ـ خرجها الدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٩٧.

٦ ـ الخصائص، لأبى الفتح عثمان بن جنى ـ تحقيق/ محمد على النجار ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب/ القاهرة ١٩٨٦.

٧ ـ دراسات فى فقه اللغة، الدكتور/ صبحى الصالح ـ دار العلم للملايين ـ بيروت / لبنان ١٩٦٧.

٨ ـ دروس التصريف، لمحمد محيى الدين عبدالحميد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت/ لبنان ١٩٩٠.

٩ ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبى حيان الأندلسى ـ تحقيق الدكتور/ رجب عثمان محمد ـ مكتبة الخانجى ـ القاهرة ١٩٩٨.

١٠ ـ سر صناعة الإعراب، لأبى الفتح عثمان بن جنى ـ تحقيق الدكتور/ حسن هنداوى ـ دار القلم ـ دمشق/ سوريا ١٩٩٣.

١١ ـ شرح التصريف، للثمانينى (عمر بن ثابت) تحقيق الدكتور/ إبراهيم بن سليمان البعيمي ـ مكتبة الرشد ـ الرياض/ السعودية ١٩٩٩.

١٢ ـ شرح شافية ابن الحاجب، لرضى الدين الاستراباذى (محمد بن الحسن) تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبدالحميد ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت/ لبنان ١٩٨٢.

١٣ ـ شرح مختصر التصريف العِزى، لسعد الدين التفتازانى (مسعود ابن عمر) تحقيق الدكتور/ عبدالعال سالم مكرم ـ دار السلاسل ـ الكويت ١٩٨٣.

١٤ ـ شرح المفصل، لابن يعيش ـ مكتبة المتنبى ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

١٥ ـ شرح الملوكى فى التصريف، لابن يعيش ـ تحقيق الدكتور/ فخر الدين قباوة ـ المكتبة العربية ـ حلب / سوريا ١٩٧٣.

١٦ ـ علم اللغة العام ـ الأصوات العربية ـ للدكتور/ كمال بشر ـ مكتبة الشباب ـ القاهرة ١٩٩٠.

١٧ ـ فصول فى فقه العربية، للدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٨٧ .

١٨ ـ فقه اللغات السامية، للمستشرق الألمانى/ كارل بروكلمان ـ ترجمة الدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ جامعة الرياض/ السعودية ١٩٧٧ .

١٩ ـ فى قواعد الساميات (العبرية والسريانية والحبشية) مع النصوص والمقارنات، للدكتور/ رمضان عبدالتواب ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ١٩٨٣ .

٢٠ ـ فى اللهجات العربية، للدكتور/ إبراهيم أنيس ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٩٠ .

٢١ ـ الكتاب، لسيبويه (أبى بشر عمرو بن قنبر) تحقيق وشرح/ عبدالسلام محمد هارون ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض ١٩٨٣ .

٢٢ ـ لسان العرب، لابن منظور ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

٢٣ ـ اللهجات العربية الغربية القديمة، تأليف/ تشيم رابين Chaaim Rabin ـ ترجمة الدكتور/ عبدالرحمن أيوب ـ مطبوعات جامعة الكويت ـ نشر دار السلاسل ـ الكويت ١٩٨٦ .

٢٤ ـ اللهجات العربية نشأة وتطوراً، للدكتور/ عبدالغفار حامد هلال ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٩٩٣ .

٢٥ ـ لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة، لغالب فاضل الطلبى ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد/ العراق ١٩٧٨ .

٢٦ ـ المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبى الفتح عثمان بن جنى ـ تحقيق/ على النجدى ناصف والدكتور عبدالحليم النجار والدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبى ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٩٩٩ .

٢٧ ـ مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، تأليف/ سباتينو موسكاتي وادفارد أولندروف وأنطون شبتلر وفلرام فون رودن ـ ترجمة الدكتور/ مهدى المخزومى والدكتور/ عبدالجبار المطلبى ـ عالم الكتب ـ بيروت/ لبنان ١٩٩٣ .

٢٨ ـ مدخل فى الصوتيات، للدكتور/ عبدالفتاح إبراهيم ـ دار الجنوب للنشر ـ تونس ـ بدون تاريخ .

٢٩ ـ معانى القرآن، للفراء (أبى زكريا محمد بن زياد) تحقيق/ أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار ـ بدون مكان وتاريخ .

٣٠ ـ معجم القراءات، للدكتور/ عبداللطيف الخطيب ـ دار سعد الدين ـ دمشق/ سوريا ٢٠٠٢ .

٣١ ـ مناهج البحث فى اللغة، للدكتور/ تمام حسان ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٩٠ .

٣٢ ـ المنصف، شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنى لكتاب التصريف للإمام أبى عثمان المازنى ـ تحقيق/ إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين ـ وزارة المعارف العمومية ـ القاهرة ١٩٥٤ .

٣٣ ـ موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، تأليف/ محمد سليمان الطيب ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٩٣ .

همزتا الوصل والقطع
في اللغة العربية
دراسة مقارنة

د. نهلة حسين

كلية الألسن ـ جامعة عين شمس

مقدمة

كثر الحديث مؤخراً عن كيفية تيسير كتابة اللغة العربية؛ نتيجة لكثرة الأخطاء التى يقع فيها أبناء اللغة العربية، عندما يلجئون إلى الكتابة بها، والتى ربما تكون أكثر بكثير من الأخطاء التى يقعون فيها إذا لجئوا إلى الكتابة بلغة أجنبية. وهذا لا يعود إلى أن الخط العربى يعانى من مشاكل لا تعانى منها الخطوط الأجنبية الأخرى. فكل لغة تعانى من مشاكل فى طريقة كتابتها. ولا يخفى على أحد مشاكل الكتابة فى اللغة الإنجليزية والفرنسية والألمانية مثلاً. فهل يعود هذا إلى حرص أبناء اللغة العربية على إتقان اللغات الأجنبية على حساب اللغة العربية؟ أو أنه يعود إلى الخطأ فى كيفية تدريس اللغة العربية وقواعدها. وحشو الكتب المدرسية بالمعلومات المكررة على مدار سنوات التعليم الابتدائى والإعدادى والثانوى؟ ولا يستطيع الطالب استيعاب كل هذا الكم الهائل من المعلومات إلا بقدر ما يساعده على اجتياز الامتحان، ثم ينسى كل هذا؛ لأنه لا يمارسه فى كتابته، وفى تعامله، ولا يجده يمارس فى وسائل الإعلام بصفة عامة.

وربما تضافرت كل هذه العوامل، وأدت إلى ما نحن فيه الآن من ضياع اللغة العربية الفصحى على ألسن أبنائها وفى كتاباتهم.

وهناك كتب كثيرة طرحت اقتراحات وآراء لتيسير اللغة العربية وكتابتها. ومن الموضوعات التى كثر الكلام عنها موضوع كيفية كتابة الهمزة فى اللغة العربية، والمشاكل التى يقع فيها أبناء اللغة العربية فى الكتابة، بسبب تنوع أشكال الهمزة سواء فى أول الكلمة، أو فى وسطها، أو فى آخرها حتى أننا نجد د. أحمد مختار عمر يقترح أن نضع رمزاً للهمزة يخالف رمز الألف(١) ـ وهو الرمز الأصلى للهمزة فى اللغة العربية(٢) ـ حتى نتخلص من مشكلة التخفف من الهمزات فى أول الكلمة، ونقضى على التداخل بين همزتى الوصل والقطع. ثم يعود فيقترح «أن نكتب الهمزة بشكل واحد فى جميع حالاتها، ولتكن على ألف، وقد كان السبب فى تنويع كتابتها قديماً الدلالة على صوت العلة الذى يمكن ردها إليه، فبئر يمكن رد همزتها إلى الياء، وبأس إلى الألف.. وهكذا، أما الآن فمع التزام الهمزة فى اللغة الفصيحة، لا معنى لتحديد أشكال كتابتها»(٣).

ولا نعلم بأى الاقتراحين علينا أن نأخذ؛ لأنه لا يمكن أن ننفذهما معاً، ونحن لسنا ضد اقتراحات تيسير الكتابة العربية، فقد سبقنا إلى هذا أبناء اللغة الألمانية، بتعديلات فى نظام الكتابة للتيسير، ولكننا لم نرهم قد تخلصوا من رمز الإمالة الـ Umlaut،على الرغم من أنه رمز يظهر على

---

(١) د. أحمد مختار عمر: العربية الصحيحة... (القاهرة: عالم الكتب، طـ١ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١)ص ٥٤، ٥٥.

(٢) د. رمضان عبدالتواب: مشكلة الهمزة العربية (القاهرة: مكتبة الخانجى، طـ١ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م) ص ١١ ـ ٢٣.

(٣) د. أحمد مختار عمر: العربية الصحيحة...،ص ٥٥.

شكل نقطتين أعلى بعض الحركات التى تقبل هذه الإمالة (ـٓـ)، وهذه العلامة تغير من طريقة نطق هذه الحركات تماماً، بل إن هذه العلامة تفرق أحياناً بين صيغتى المفرد والجمع مثل: der Mantel «المعطف» وdie Mäntel «المعاطف». وتظهر مع صيغ تصريف بعض الأفعال أيضاً. وهذه العلامة يمكن نسيانها عند الكتابة، مثلها مثل النقطتين اللتين تفرقان بين الهاء المربوطة والتاء المربوطة فى اللغة العربية، ولذلك اقترح د. أحمد مختار عمر أن نضع رمزاً للهاء الأخيرة يختلف عن رمز التاء المربوطة حتى لا يقع الخلط بين الرمزين(١). لم تشتمل التعديلات الجديدة لكتابة اللغة الألمانية التخلص من علامة الـ Umlaut كما ذكرنا، بل على العكس من ذلك نراهم قد توسعوا فى استخدامها، على حساب الكلمات التى لم تكن قد استخدمت هذه العلامة فمثلاً نجد أن الكتابة الجديدة لكلمة Bendel «سيطر على» هى Bändel و behende أصبحت behände نشيط، و Gemse صارت Gämse «ظبى، ظباء»، و Schneuzen صارت Schnäuzen «تمخَّط» و Stengel صارت Stängel «ساق (النبات)» و verbleuen صارت Verbläuen «ضرب»(٢).

والأمر لا يستدعى تعديلاً فى كتابة الهمزة، بقدر ما يستعدى تبسيط قواعد كتابتها للمتعلم، وعدم الإفراط فى تفريع القواعد، وتفصيلها، وكذلك

---

(١) د. أحمد مختار عمر: العربية الصحيحة ... ص٥٤.

(2) Heller, Klaus:
Informationen und Meinungen zur deutschen Sprache. Herausgegeben vom Institut für deutsche Sprache. Rechtschreibform. Eine Zusammenfassung von Dr. Klaus Heller. IDS Sprachreport Extraausgabe, Januar 1996.
(Siehe! EInzelfälle mit Umlautscheibung)

الحرص على مراعاة هذه القواعد المبسطة أثناء الكتابة، وإحاطة طالب العلم فى جميع مراحل التعليم بالنتائج التى توصلت إليها الأبحاث فى هذا المجال، والقرارات التى أقرها مجمع اللغة العربية، وذلك من خلال الكتب التى تدرس فى مراحل التعليم المختلفة.

وبالنسبة لأشكال الهمزة فى وسط الكلمة وآخرها، فقد توصل مجمع اللغة العربية فى مجموعة قراراته العلمية لسنة ١٩٨٤ إلى قواعد غاية فى البساطة والشمول، تربط بين طريقة كتابة الهمزة والأصوات التى تسبقها أو تليها من صوامت، وحركات قصيرة أو طويلة ـ أى أصوات المد ـ وأصوات علة ـ الواو والياء أشباه الحركات ـ وإن كانت القرارات لم تفرق بين حالتى النطق المختلفتين لرمزى الواو والياء (و، ى)، فنجد على سبيل المثال هذه المقولة «وإن كان ما قبلها[١] ساكناً تكتب مثل: بطء، شيء، وجزاء، وضوء، وبطىء، ومضىء»[٢]. وكلمة ساكن لا تنطبق على الألف فى كلمة جزاء، ولا على الياء فى كلمة بطىء ومضىء؛ لأنهما صوتا مد، أى حركتان طويلتان، مع علمنا بأن المجمع قد آثر استخدام المصطلحات التى استخدمها علماء اللغة القدامى، لكن أليس من الأفضل أن نسمى الأصوات بمسمياتها التى تتناسب مع طريقة نطقها، وأن نوفر الاضطراب والحيرة على متعلمى اللغة العربية، ولن يكلفنا الأمر إلا تفرقة بسيطة بين هذه الأصوات، كما فعل مؤلفا كتاب «تيسير كتابة الهمزة»[٣]، وهو كتاب

---

(١) يقصد الهمزة.

(٢) مجمع اللغة العربية فى عيده الخمسينى، مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاماً ١٩٣٤م ـ ١٩٨٤م، أخرجها وراجعها: محمد شوقى أمين، إبراهيم الترزى. ص ٣١٠.

(٣) د. عبدالعزيز نبوى، د. أحمد طاهر حسنين: تيسير كتابة الهمزة (القاهرة: ط١، ١٩٨٩) ص ١٦.

يتميز بالبساطة والوضوح ومعه تدريبات على قواعد كتابة الهمزة فى أول ووسط وآخر الكلمة. وإن كان لهما رأى خاص فى كتابة الهمزة المفردة أو على نبرة فى وسط الكلمة مع ألف الاثنين فى بعض الكلمات بعلامة مد فوق الألف، فنكتب مثلاً: جزآن بدلاً من جزءان وبطآن بدلاً من بطئان.

وإذا كان القدماء قد اختلفوا فى بعض مصطلحاتهم النحوية فالظرف عند البصريين، يعنى المحل أو الصفة عند الكوفيين، وحرف الجر عند البصريين يعنى حرف الخفض عند الكوفيين، والاسم المجرور عند البصريين يعنى الاسم المخفوض عند الكوفيين(١)، فلماذا نتحرج من مخالفتهم فى بعض مصطلحاتهم الصوتية، وأعتقد أن القدماء لو أتيح لهم ما أتيح لنا من تقدم فى علم الأصوات، لغيروا بعض المصطلحات التى أطلقوها على الأصوات، مثل مصطلح ساكن على أصوات المد (الألف والواو والياء).

أما قواعد كتابة الهمزة فى أول الكلمة فى قرارات مجمع اللغة العربية فكان نصيبها ضئيلاً نوعاً ما. فقد اكتفى المجمع بذكر أن الهمزة تكتب فى أول الكلمة بألف، وأنه لا يعد منها ما دخل عليها من حروف الجر، والعطف، وأداة التعريف، والسين، وهمزة الاستفهام، ولام القسم(٢) وبذلك تخرج اللام الناصبة ولام الابتداء اللتان عهدنا أن وجودهما يؤثر فى شكل الهمزة فى أول الكلمة. ولم تتطرق هذه القرارات إلى التفرقة فى الكتابة بين همزتى الوصل والقطع.

ولذلك رأيت أن أقوم بهذه المهمة، وأرجو أن يوفقنى الله فى دراسة هذا الموضوع، وإعطائه حقه من الاهتمام.

---

(١) الأنبارى: الإنصاف فى مسائل الخلاف (القاهرة: دار الفكر) جـ١ المسألة ٦، ١٤، ٥٥، ٥٧، جـ٢ المسألة ٦٥.

(٢) مجمع اللغة العربية فى عيده الخمسينى... ص ٣١٠.

ويهدف هذا البحث إلى:

١ـ معرفة سبب نشوء ظاهرة همزة الوصل فى اللغة العربية الفصحى، ومحاولة معرفة إذا ما كان لها جذور فى اللغات السامية الأخرى، أو هى ظاهرة خاصة باللغة العربية فقط.

٢ـ تتبع أشكال هذه الظاهرة فى اللغة العربية الفصحى ولهجاتها العامية الحديثة، وكذلك فى اللغات السامية الأخرى.

٣ـ تأصيل الأسماء التى تبدأ بهمزة وصل فى اللغة العربية الفصحى، بمعرفة إذا ما كانت أسماء مشتركة بين اللغات السامية كلها، وبالتالى فهى أسماء وردت فى اللغة السامية الأم.

٤ـ مقارنة أوزان الأفعال وصيغها التى تبدأ بهمزتى الوصل أو القطع فى اللغة العربية وأخواتها من اللغات السامية. ومحاولة الوصول للشكل الأصلى لهذه الظاهرة فى اللغة السامية الأم.

٥ ـ تتبع همزتى الوصل والقطع فى الحروف فى اللغة العربية ومقارنتها بشبيهاتها فى اللغات السامية الأخرى، ومعرفة ما تتعرض له من تغيرات صوتية من إبدال، أو حذف لهمزة القطع.

وهذا البحث يعتمد على المنهج الوصفى فى عرض الظاهرة فى كل من اللغة العربية واللغات السامية الأخرى. وكذلك يعتمد على المنهج التاريخى فى تتبع الظاهرة والتغير الذى حدث لها فى كل لغة سامية على حدة، وسبب هذا التغير، بادئاً باللغة العربية؛ لأنها أولاً: موضوع اهتمامنا، كما أنها احتفظت أكثر من أخواتها من اللغات السامية بكثير من الصور

الصادقة لعناصر اللغة ا لأولى(١) . ثم تليها اللغة الأكدية التى قد تعد أقدم اللغات السامية بالنظر إلى تاريخ النقوش المختلفة، ثم اللغة العبرية فالآرامية والسريانية، وأخيراً اللغة الحبشية(٢).

ويعتمد البحث على المنهج المقارن فى محاولة للتوصل إلى الشكل الأصلى لهذه الظاهرة فى اللغة السامية الأم، وذلك بمقارنة الأشكال المختلفة لهذه الظاهرة فى اللغات السامية.

استخدمنا رموز الكتابة الصوتية التى ارتضاها بعض المستشرقين فى كتابة الأمثلة إلى جانب كتابة الأمثلة بحروف اللغة السامية التى تنتمى إليها ـ إن أمكن هذا ـ مراعاة للدقة.

---

(١) تيودونولدكه: اللغات السامية(القاهرة: دار النهضة ا لعربية، ١٩٦٣، ترجمة رمضان عبدالتواب) ص ١٤، ١٥.

(٢) سبتينو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة. (بيروت: دار الرقى، ١٩٨٦، ترجمة: السيد يعقوب بكر) ص ٦٧، ١٤٠، ١٧٦، ١٨٢.

همزة الوصل وعلاقتها ببناء المقاطع

نستطيع أن نقول ـ بناءً على إلمامنا ببعض اللغات السامية ـ إن ظاهرة همزة الوصل ليست خاصة باللغة العربية فقط، بل نجدها فى اللغات السامية الأخرى؛ لأن العامل الذى أدى إلى ظهورها عامل مشترك فى كل اللغات السامية، وهو يعود إلى نظام بناء المقاطع فى اللغات السامية بعامة؛ إذ إن المقطع فى اللغات السامية لا يبدأ بصامتين متواليين. وقد يتوالى صامتان فى وسط الكلمة ـ صامت أخير ـ لمقطع مغلق، وصامت مستهل للمقطع التالى ـ على نحو: يكتب yak - tub وتوالى ساكنين فى آخر الكلمة قد ينتج من إسقاط الحركات الأخيرة فى الكلمة سواء حركات الإعراب أو البناء.

ويسود اتجاه واسع الانتشار فى اللغات السامية، لحذف الشواذ من هذه القواعد، إما بنشوء مقطع فرعى فى أول الكلمة، أو إضافة حركات، أو من خلال اتصال الألفاظ فى وسط الجملة.

ويلاحظ عدم انتشار زيادة المقطع الثانوى المشكل من الهمزة والحركة المساعدة فى الأسماء بصورة واضحة فى اللغات السامية الشمالية الغربية؛ لأن نتائج البناء المقطعى تعتمد إلى حد بعيد، على حكم المرء فيما يتصل بطبيعة السكون (الشوا فى اللغة العبرية) إذ يلفظ السكون فيها فى حالات معينة حركة فتحة ممالة مخطوفة ə .(١)

---

(١) سبتينو موسكاتى، ادوارد أولندورف، أنطون شبيتالر، فولغرام فون زودن: المدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م. ترجمة وتقديم د. مهدى المخزومى، د. عبدالجبار المطلبى) الفقرة ١٠ ـ ١، ١٠ ـ ٢، ص ١١٢، ١١٣.

ذكرنا أنه إذا وجد مقطع يبدأ بتوالى صامتين فى صيغة ما، نشأت حركة جديدة، قبل الصامت الأول، بإضافة مقطع فرعى، أو بعده. هذه الحركة المساعدة هى فى العربية: الكسرة ʾibnun < *bnun < *bin «ابن» ونادراً ما تكون الضمة على نحو «أقتُل» ʾuqtul ؛ لانسجام الحركات.

وفى الأكدية تدخل حركة مساعدة بين الصامت الأول والثانى فى الجذر فى صيغة الأمر من الفعل الثلاثى المجرد، وهذه الحركة تناسب حركة الجذر(١).

والحركة المساعدة فى العبرية والآرامية (e) فتحة ممالة نحو الكسرة غير أنها فى صيغ الأفعال العبرية تتحول إلى (hi) قياساً على صيغة وزن السببية. مثال ذلك فى العبرية זְרוֹעַ < אֶזְרוֹעַ ʾezrōaʿ < zĕrōaʿ «ذراع» ولكنها تكون أيضاً zerōaʿ، وهى فى هذه الحالة ـ أكثر الصيغ المألوفة، وفى السريانية صيغة «قُتِل» tqattal تصير ܐܶܬ݂ܩܰܛܰܠ ʾetqattal وهو فى العبرية הִתְקַטֵּל hitqattel(٢).

وهى فى الحبشية ǝ فمثلاً mna «مِنْ» تصير እምነ ʾǝmna و gzi بمعنى «سيد» تصير እግዚእ ʾǝgzīʾ، وفى صيغ الفعل تدخل حركة (a) بدلاً منها، قياساً على صيغة السببية؛ مثل አስተርአየ ʾastaʾraya «أرى»(٣).

---

(1) Kaspar k. Reimschneider: Lehrbuch des Akkadischen, leipzig: 1973, & 2.13, S.94.

(٢) سنتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل عند الحديث عن همزة الوصل فى الأفعال.

(٣) موسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية، الفقرة ٩ ـ ١٥، ص ١٠٦، كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية (الرياض: مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) الفقرة ١٣٢، ص ٧٣.

وهكذا نرى أن الحركة المساعدة فى اللغات السامية فى هذه الحالة تتراوح بين حركتى الكسرة الخالصة والممالة، وقد تصير أحياناً فى الأفعال فى بعض اللغات السامية حركة فتحة. وهذا يدعم رأى البصريين فى الخلاف الذى نشأ بينهم وبين الكوفيين حول الأصل فى حركة همزة الوصل، إذ ذهب البصريون إلى أن الأصل فى همزة الوصل أن تكون مكسورة، وإنما تُضمُّ فى «اُدخُل» ونحوه لئلا يُخْرَج من كسر إلى ضم؛ لأن ذلك مستثقل، على حين ذهب الكوفيون إلى أن الأصل فى حركة همزة الوصل أن تتبع حركة عين الفعل، فتكسر فى «اِضْرِبْ» اتباعاً لكسرة العين، وتضم فى «اُدخُل» اتباعاً لضمة العين. وقد رد البصريون على هذا الرأى بأن حركة همزة الوصل فى «اذْهَبْ» بالكسر لا الفتح، وكان ينبغى أن يقال فى ذهب يذهب «اَذْهَبْ» بفتح الهمزة على قول الكوفيين[1].

ونتتبع الآن هذه الظاهرة فى كل لغة سامية من اللغات المعنية على حدة بأشكالها المختلفة، والتغيرات التى طرأت عليها، بعد أن أجملنا الحديث عن سبب ظهورها ونوعية الحركة المساعدة المصاحبة لها.

همزة الوصل فى اللغة العربية

تنشأ حركة كسرة (i) أو ضمة (u) مساعدة مع همزة الوصل ـ كما ذكرنا سابقاً ـ قبل الكلمات التى فقدت فى المقطع الأول، تحت تأثير النبر، حركة ضمة (u)، أو كسرة (i) عندما تقع فى بداية جملة أو فى وسط جملة بعد نهاية صامتية، قارن: (هذا ابنى) hāḏabni، (قل ابنى) qulibnī، وصيغة الأمر فى اللغة العربية نزلْ nzil تصير بعد إضافة المقطع المكون

---

(١) الأنبارى: الإنصاف فى مسائل الخلاف، جـ٢، مسألة ١٠٧، ص ٧٣٧ ـ ٧٤١.

من همزة الوصل والحركة المساعدة انزلْ ʾinzil، قتُلْ qtul تصير اُقتُلْ ʾuqtul، وعمَلْ mal تصير اِعمَلْ ʾiʿmal (١).

وينفصل الصامتان فى كلمات أجنبية فى بداية الكلمة، إما بواسطة قبول حركة جديدة بين الصامتين كما فى strata > ṣirāṭ صراط أو بواسطة إضافة مقطع وصل فرعى مثل ʾAflāṭūn(٢) أفــلاطون من = Platon .Phlaton

وتمتد ظاهرة إضافة مقطع قبل صامتين متواليين فى أول الكلمة، أو إضافة حركة فاصلة بينهما فى اللهجات العربية الحديثة، فعلى سبيل المثال، يُقال فى إحدى لهجات محافظة الشرقية بمصر: inzilna «نزلنا» مقابل nizil وnizlu، ويقال imšīt «مشيت» مقابل miši، وmišyu، بشرط أن يكون المقطع التالى مقطعاً مديداً ينتهى بصامت (ص + ح + ح + ص) أو مقطعاً مديداً ينتهى بصامتين (ص + ح + ص + ص). وكذلك الحال فى صيغ المضارع يقال iygūl «يقول»، itgūl «تقول»(٣).

ويذكر جروتسفيلد Heinz Grotzfeld أنه فى لهجات المنطقة السورية الفلسطينية اختفت الحركتان القصيرتان القديمتان الكسرة i، والضمة u فى المقاطع غير المنبورة، وبالتالى يتوالى صامتان فى بداية الكلمة، قد يفصل بينهما حركة مخطوفة، ففى لهجة دمشق يقال: rəkab

(١) K. Brockelmann: Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen (Georg Olms verlagsbuchhandlung, Hildesheim 1961) B.I. & 82 b, S. 209, & 43 a,y S.82

وموسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن & ٩ ـ ١٧ص ١٠٧.

(٢) قارن 188a Philippi ZDMG 49, 187 - 209. نقلاً عن K. Brockelmann, Grundriss B.I & 82 , S. 209.

(٣) Wolfdietrich Fischer und Otto jastrdow: Handbuch der arabischen Dialekte, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1980, & 5. 1. 2.3, S.66.

«رُكب» k ə le «كُلى» من rúkâb و kilā. فى مقابل لهجة حوران rkab من rukab و ečle > člā > Kilā̂. وتمد الحركة الأساسية لصيغة الأمر الكسرة i، والضمة u فى المفرد المذكر للوزن المجرد من الأفعال الصحيحة فتصير حركات طويلة، على أن يقع النبر على المقطع الأساسى، ففى لهجة دمشق يقال: nzēl «انزل !» ل byenzel، Ktōb «اكتب!» لـbyektob (١).

همزة الوصل فى الأكدية:

تضاف حركة بين الصامتين فى الأكدية، هذه الحركة تماثل الحركة الرئيسية، فمثلا: uzn (أذن)، فى حالة الإضافة تصير uzun، وتصطنع الفتحة فى ا لآشورية، أحياناً، بعد الكسرة والضمة مثل (uzan)، ومثل ذلك فى أوائل الألفاظ، مثل Kšud بمعنى (يصل، يتناول) تصير Kušud، و ṣbat (خذ !) تصير sabat، ولكن هناك أفعالاً تستعمل الكسرة بدلاً من الفتحة مثل lmad (تعلَّمْ) فإنها تصير limad، وعند إضعاف النبر فى الأكدية المتأخرة يفضل ظهور حركات ثانوية فى أوساط الألفاظ(٢): «كالبابلية šipirētu (letters) مع šiprētu(٣)».

همزة الوصل فى العبرية:

ذكرنا من قبل أن نتائج البناء المقطعى تعتمد فى اللغات السامية الشمالية الغربية، إلى حد بعيد، على حكم المرء فيما يتصل بطبيعة السكون الذى ينطق فى أحوال معينة فتحة ممالة مخطوفة وهذه الظاهرة عدها الباحثون ظاهرة ثانوية لسمة مقحمة.

---

(١) المرجع السابق، & 10, 1.2.3.1. S.176, 177
وكذلك- Brockelmann: Grundriss, B. 1 & 41 d. S. 61, & 82, S. 209 - 211.

(٢) موسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، الفقرة ٩ ـ ١٧، ص ١٠٧.

(٣) المرجع السابق، الفقرة ٩ ـ ١٧، ص ١٠٧.

وتكوّن المقاطع الفرعية، قبل الصامت البسيط فى أول الكلمة نادر فى العبرية، كما فى ʾăbaʿbūʿōp̄ אֲבַעְבֻּעֹת (دمامل، أورام) الخروج ٩، ٩-١٠) و אֲבַטִּחִים ʾabaṭṭihīm (العدد ١١، ٥) قارن العربية «بطيخ» baṭṭiḫ، אֲדַרְכֹּנִים ʾadarkonīm «عملة ذهبية» (عزرا ٨، ٢٧) و (أخبار الأيام الأول ٢٩، ٧) ويتكون مقطع فرعى قبل الصوت الصفيرى مع حركة مخطوفة، والذى يؤثر فى الحركة المخطوفة عندئذ تأثيراً شديداً. فى אֶזְרוֹעַ ʾezrōaʿ > zrôaʿ > zᵉrōaʿ זְרוֹעַ «ذراع»، אֶצְעָדָה ʾeṣʿādā > ṣᵉʿādā «أسورة» (العدد ٣١، ٥٠) و(صموئيل الثانى ١، ١٠) بجانب הַצְּעָדוֹת haṣʿādōt (أشعياء ٣، ٢٠)(١).

وهناك رأى فى صيغ مثل krub, brit, šlošah, šnayim يجب أن يعتمد على تحليل طبيعة الشوا، بل إنه يبدو محتملاً جداً أننا فى كل هذه الحالات نملك شوا موبيل shəwa mobile، ومع ذلك فهى ليست كذلك فى العبرية الحديثة، حيث إن مجموعات الصوامت فى بداية الكلمة مألوفة جداً(٢).

همزة الوصل فى الآرامية:

انمحى توالى الصامتين فى أول الكلمة من الكلمات الأجنبية والأصيلة فى الآرامية، والتى فيها تكوّنا بواسطة الصيغ القياسية، أو بواسطة الاختفاء الثانوى للحركة المخطوفة، وذلك بواسطة مقطع ثانوى: ܐܫܬܐ > ܫܬܐ *štā > ʾeštā «ستة» المندعية smālā > ʾesmālā

(١) Bergsträsser: Hebräische Grammatik, Georg Olms, Verlagsbuchhandlung. Hildesheim 1962, T. 1. & 23,§. 136.

(٢) Ullendorf, Edward: The Semitic languages of Ethiopia, A comparative Phonology, London, 1954, P. 200.

«اليسرى»، ʾebrā < bᵉrā «ابن»، السامرية المندعية والفلسطينية اليهودية ʾedmā < dᵉmā «دم»، الفلسطينية اليهودية ʾešqāqā < šᵉqāqā «زقاق، حارة»(١) وتكون عاملة أيضاً فى الاستعارات الأجنبية كالآرامية الشرقية الحديثة ʾustol «منضدة» من الروسية stol(٢)، وتكون مثل هذه المقاطع الفرعية، بصفة خاصة مع صوت الراء عادة: السريانية rᵉchūbā < ʾarkūbā «ركبة»، الآرامية ה אַרְכֻּבָּה ܪܟܘܒܐ (٣).

وقد تكوّن توالى الصامتين فى العبرية والآرامية أولاً فى المرحلة الأخيرة من تكوُّن اللغة من خلال الصيغة القياسية فى العبرية שְׁתֵּי štē «اثنتان» تبعاً لمدرسة الإعجام الطبرية، وفى السريانية ܫܬܐ štā «ستة»(٤) بحذف حركة الـ ə، وكذلك kse «كسا» لـ ܟܣܐ kese(٥).

همزة الوصل فى الحبشية:

تستعمل الألسن الأثيوبية الحركات المضافة فى الأول وفى الإقحام استعمالاً كثيراً جداً(٦)، ففى الجعزية يبدأ كل مقطع بصامت واحد فقط. وتبدو حركة ə المحايدة واضحة سمعياً فى النطق التقليدى للعجزية،

---

(١) K, Brockelmann: Grundriss, B. 1. & 82, S. 216.

(٢) موسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية. الفقرة ٩ ـ ١٥، ص ١٠٦.

(٣) W. Gesenius: Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über das Alte Testament, Springer - Verlag, 17 Auflage. Berlin / Göttingen / Heidlberg, 1962, S. 117, 896.

وكذلك Brockelmann ; Grundriss, B. 1. & 82 B, S. 217.

(٤) سنتحدث عن ذلك بالتفصيل عند الحديث عن الأسماء التى تبدأ بهمزة وصل فى اللغات السامية.

(٥) Ullendorf: The Semitic languages of Ethiopia, P. 200.

(٦) موسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، الفقرة ١٠ ـ ٢، ص ١١٣.

وبالتالى يتفادى وجود مجموعة الصوامت فى أول الكلمة على سبيل المثال lebas (صيغة الأمر) . ـ فى العربية تم إضافة مقطع ثانوى إلى أول الكلمة ʾilbas(اِلبَسْ) فى حالات كثيرة ـ وفى عدد من الكلمات الجعزية لا يبدو أن إدخال حركة الـ ə كافٍ، فأضيف صوت صامت فى أول الكلمة: مثل እምነ ʾəmna لـ mən (مِنْ)، و እግዚእ ʾagzi لـ gəzīʾ «السيد».

ويمكن بسهولة تمييز كلمات أجنبية بتوالى الصامتين فى أول الكلمة، والذى يعاد توزيعه بواسطة السابقة əʾ أو ăʾ، على سبيل المثال ʾəstífanos "stephanus".

وكل هذا يصدق على التجرينية أيضاً، وفى حالات حيث يشكل صوت اللام المتوسط العنصر الثانى من مجموعة الصوامت، تُدرَك بوضوح حركة الـ ə بين الصامتين على سبيل المثال Kələttä «اثنان، كلتا».

وتتجنب الأمهرية أيضاً تجمع الصوامت فى أول الكلمة، على سبيل المثال bərät «قوى» negus «ملك» وفى الصيغة الفعلية لدينا صيغة الأمر ləKʾäm «اجتمع»، ولكن يوجد فى الأمهرية أربع حالات تتجمع فيها الصوامت، حيث يمكن أن توجد مجموعات الصوامت فى أول الكلمة دون إقحام حركة الـ ə : هذه المجموعات هى - gr، - gl، - br، - bl(١).

الأسماء المبدوءة بهمزة وصل فى اللغة العربية:

يوجد فى اللغة العربية أسماء تبدأ بهمزة وصل، عدها القدماء عشرة أسماء(٢)، هى: ابن، ابنة، ابنم، اسم، است، اثنان، اثنتان، امرؤ، امرأة، أيمن الله.

---

(١) Ullendorf: the Semitic languages of *Ethiopia, P. 198 - 200

(٢) الإستراباذى: شرح شافية ابن الحاجب (بيروت: دار الفكر العربى، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محيى الدين عبدالحميد) القسم الأول، جـ٢، ص ٢٥٠.

وإذا نظرنا إلى الأسماء السبعة الأولى، نجد أن هناك عنصراً مشتركاً يربطها، هو أن هذه الأسماء ثنائية الأصل، اوإن حاول علماء اللغة العرب القدامى أن يردوها إلى أصل ثلاثي؛ لأنهم اعتقدوا أن كل الأسماء فى العربية ثلاثية الأصل(١)، ولكن دراستنا للغات السامية أكدت لنا أن أقدم الأسماء صيغة، هى الأسماء الثنائية، والعربية حافظت على بنائها الأصلى فى كثير منها، غير أنها اشتقت من بعضها صيغاً جديدة بزيادة أحد صوتى العلة، أو بزيادة همزة أو هاء(٢).

والأسماء السبعة الأولى زيدت فيها همزة الوصل، بسبب ضياع حركة الصيغة الأساسية، تحت تأثير نبر الجملة كما فى نحو bin hadabnt(٣). فترتب على هذا توالى صامتين فى بداية الكلمة، ومن هنا احتاج الناطق لإضافة مقطع للكلمة مكون من همزة وحركة مساعدة. وفيما يلى نعرض لهذه الأسماء، وما يقابلها فى اللغات السامية الأخرى.

ابن، وابنة: يكتب لفظ (ابن) فى اللغة العربية إذا جاء بين اسمى علم (بِن) على سبيل المثال عمر بن الخطاب، ويقابلها فى الآشورية binbini حفيد، وفى الأوجاريتية bun(٤)، وفى الموأبية בן، والفينيقية בן، والجمع [illegible]، العبرية בֵּן bēn، فى الآرامية الجمع בנין، لكن المفرد בַּר bar. العربية الجنوبية בן. الجمع فى المعينية [illegible] (٥).
وهكذا نرى أن (ابن) أصله bin، وبنت هى الأصل، و(ابنة) استحدثت فى

---
(١) الأنبارى: الإنصاف فى مسائل الخلاف، جـ١، مسألة ١، ص ٦ ـ ١٦.
(٢) برجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية (القاهرة: مكتبة الخانجى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م) ص ٩٦.
(٣) Bröckelmann: Grundriss, B. 1, & 43 a, y, S. 82
(٤) Stanislav Segert: A Basic Grammar of the Ugaritic Language,London: 1984). P. 181.
(٥) W. Gesenius: Hebräisches und armäisches Handwörterbuch über das Alte Testament, springer - Verlag, 17 Auflage, Berlin/ Göttingen/ Heidlberg. 1962, s. 103.

العربية على قياس (ابن)، وجمع ابن (بَنون) بالفتحة بدل الكسرة، وهذا الإبدال قديم سامى الأصل، فنجده فى العبرية أيضاً، فالجمع bānīm[١].

أما كلمة ابنم، فصوت الميم فى نهايتها ربما يكون (التمييم)، وهو أداة التنكير المقابلة للتنوين فى اللغة العبرية. والتميم موجود فى بعض اللغات السامية مثل الأكدية، والآرامية. غير أنها تعد جزءاً من الكلمة فى الآرامية؛ ولذلك جاءت بعدها ألف التعريف، وهذه الأداة موجودة فى العربية الجنوبية أيضاً، وهى متجمدة فى بعض الظروف فى الحبشية والعبرية[٢]. والدليل على ذلك أن صوت النون فى ابنم تتبع حركته حركة الإعراب، فصارت كحرف الإعراب، كما يرى القدماء[٣]، أى أن الإعراب يجرى على النون والميم معاً، والحقيقة أن النون حرف الإعراب بالفعل، وأن الميم ـ كما ذكرنا من قبل ـ من بقايا التمييم الموجودة فى اللغة العربية، كما فى كلمة «فم» أيضاً، وصوت الميم ليس بدلاً من لام الكلمة (الواو) كما يرى الإستراباذى[٤].

اسم: هكذا هى فى اللغة العربية، تقابلها فى الآشورية šumu وفى الأوجاريتية šum[٥] שם فى الفينيقية و שֵׁם šēm فى العبرية، و שם

---

(١) برجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية، ص٩٦.

(٢) رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى (القاهرة: مكتبة الخانجى، ط١، ١٩٨٢م = ١٤٠٣هـ) ص ٢٤٦ ـ ٢٥٠.

(٣) الإستراباذى: شرح الشافية، القسم الأول، جـ٢، ص ٢٥٢.

(٤) يقول الإستراباذى (فى شرح الشافية جـ٢، ص ٢٥٢) «ميم ابنم بدل من اللام، أى الواو، لكن لما كانت النون والراء فى ابنم وامرئ تتبع حركتهما حركة الإعراب بعدهما صارتا كحرف الإعراب».

(٥) Gesenius: Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch .., S. 839 و שֵׁם.
Sanislav Segert: A Basic Grammer of the Ugaritic language, P. 202.

و א שׁם ـ فى الآرامية القديمة، وآرامية العهد القديم שׁם *šum وفى الآرامية اليهودية שׁוֹם šōm، שׁוּם šūm، שְׁמָא šāmā، والسريانية ܫܡܐ šmā، الأثيوبية ሰም sem[1]. ونلاحظ أن الآرامية القديمة فى إحدى صيغها قد أضافت الهمزة فى أول الكلمة، مثل العربية، كما أن الحركة الأصلية فى الآشورية والأوجاريتية والآرامية الضمة، لكنها فى العبرية الكسرة، وقد ضاعت هذه الحركة فى وسط الكلام، على سبيل المثال bisimi صارت bismi بِسْم[2]، وما حدث فى لفظ (ابن) حدث فى (اسم)، فقد بقيت الصيغة بلا حركة سواء فى وسط الكلام أو الابتداء فأضافوا لها مقطعاً مكوناً من الهمزة وحركة مساعدة، وهذا المقطع يُنطق فى الابتداء فقط، ويُحذف فى وسط الكلام - أى إذا وقع بعد حركة - عندما لا يحتاج إليه الناطق، ويحذف كتابة فى لفظ (اسم) فى صيغة (بسم)، على حين بقى هذا المقطع كتابة فى الوسط خلافاً للنطق فى غير هذه الحالة.

اسْت: فى العربية بمعنى (عجُز)، وفى الآشورية من المحتمل أن يكون المقابل لها išdu «ساق، رجل، أساس» ويقابلها فى الفينيقية אשׁתה العبرية שׁתה، والاستخدام الجيد للمذكر שׁתי ל שׁת . السريانية ܫܬ šet، ܐܶܫܬܳܐ ʾestā[3] ونلاحظ أن الفينيقية والسريانية تشارك العربية فى زيادة الهمزة فى أول الكلمة. وأن الحركة الأساسية التى ضاعت هى الكسرة.

---

(1) שֵׁם Gesenius: Hebröisches und aramäisches Handwörterbuch S. 839.
Stanislav Segert: A Basic Grammer of the Ugaritic Language, P. 202.

(2) هذه الكتابة متأثرة بالكتابة العثمانية.

(3) שׁתה Gesenius: Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch s. 866.

اثنان واثنتان: هكذا هما فى العربية، ويقابلهما فى الآشورية šinā، والمؤنث šittā، الفينيقية שנם و אשנם، العبرية שְׁנַיִם šenayim، وفى الوقف שְׁנָיִם šnāym، والمؤنث שְׁתַּיִם šittayim (وفى إعجام المدرسة الطبرية قياساً على المذكر štayim)، حالة الإضافة שְׁתֵּי štē، الآرامية والأثيوبية תְּרֵין trayn وهى فى صيغ المذكر فى المهرية بالراء أيضاً، الآرامية المصرية תרין ትሬን ترين Trēn والمؤنث ትርት Tarten وهى فى الحبشية ክልኤ kel'ē (= كلا فى العربية)(١).

ونلاحظ فى العربية أن أصل اثنان < ثنان* واثنتان < ثنتان* بزيادة نون التثنية فى آخر الكلمة، يقابلها الميم فى الفينيقية والعبرية وزيادة الهمزة وحركتها فى أول الكلمة، والتاء فى صيغة المؤنث، وقد وجدنا أن الفينيقية قد استخدمت هذه الصيغة أيضاً. كما نلاحظ أن هناك صيغة فى العبرية توالى فيها صامتان فى أول الكلمة، وهى صيغة stayim حسب إعجام المدرسة الطبرية، ويقابلها صيغة štā «ستة» فى السريانية، وهذه الصيغ مستثناة من قاعدة عدم توالى صامتين فى أول الكلمة، أو المقطع، السائدة ـ كما ذكرنا من قبل ـ فى اللغات السامية بصفة عامة.

كما أن النون فى الصيغة العربية والآشورية والفينيقية والعبرية قد تحولت إلى راء فى الآرامية والأثيوبية، كما حدث فى لفظ (ابن) من قبل، والنون والراء من الأصوات المتوسطة كما نعلم، وإمكانية إبدالهما بعضهما من بعض واردة، وقد زيد المقطع المكون من الهمزة والحركة المساعدة فى أول الكلمة؛ نتيجة ضياع الحركة الذى نراه متمثلاً فى الصيغة العبرية

---

(١) المرجع السابق שנה, S. 850,
بروكلمان: فقه اللغات السامية الفقرة ٤٦، ص ٤٣، والفقرة ١٨٠، ص ١٠٥.

stayim. ونحن نسمع هذه الصيغة بلا همزة فى بعض اللهجات العربية الحديثة الآن، على سبيل المثال فى لهجة دمشق صيغة المذكر tnēn (تنين)، ولهجة ماردين صيغة المذكر ṯnayn (ثنَين)، وتدخل حركة مخطوفة فاصلة بين الصوتين المتواليين فى أول الكلمة فى صيغة المؤنث، لهجة دمشق tətēn لهجة ماردين ṯəntayn. وتعود همزة الوصل للظهور فى صيغة مشتركة للمذكر والمؤنث فى لهجة القاهرة itnēn (اتنين)(١). كما ظهر المقطع المشتمل على الهمزة فى الفينيقية أيضاً، أما العبرية والآرامية فقد اعتمدتا على طبيعة نطق السكون (الشوا) فيهما، والذى ينطق فى حالات معينة حركة مخطوفة.

امرُؤ وامرأة: هاتان الكلمتان أصلهما فى اللغة العربية مَرْء، مَرْأة، والملاحظ أن حركة فاء الفعل قد انتقلت فى الصيغة الأصلية من فاء الاسم إلى عين الاسم، وأصبحت فاء الاسم ساكنة، يبدو هذا واضحاً فى صيغة مَرْأة marʾah وامرَأة imraʾah . وأما صيغة المذكر فقد حدث بعد انتقال حركة فاء الاسم إلى عينه، أن ما تلت الحركة حركة الإعراب، فنقول امرُؤ بدلاً من (امرَؤ وامرَئ) والدليل على أن الحركة الأصلية فى (أمرُؤ، وامرِئ) هى الفتحة، صيغة (مَرْء) الأصلية التى يقابلها فى الآرامية מָרֵא mārē، ومع اللاحقة מָרְאִי mārʾī، والمؤنث مع اللاحقة מראתי، العربية الجنوبية מרא (٢). أما العبرية فالصيغة المقابلة فيها מוֹרָה، מוֹרָא mōrā, mōrā لها دلالة مختلفة بمعنى (رعب)(٣).

(١) Wolfdietrich Fischer, Ottojastrow, Handbuch der arabischen Dialekte, & 7. 3. 1. 2. S. 97.

(٢) Gesunius (...) מָרֵא S. 914.

(٣) Gesenius: (...) מוֹרָא S. 408.

وقد أدى انتقال حركة فاء الاسم إلى عينه، أن صارت فاء الاسم ساكنة، فاحتاج الناطق بالعربية إلى المقطع المكون من الهمزة والحركة المساعدة؛ ليمكّنه من النطق بكلمة تبدأ بصامت ساكن. والملاحظ أن الآرامية والعربية الجنوبية لا تشاركان العربية فى الصيغة الثانية، وإن الصيغة الأصلية (مَرْء) هى الصيغة المشتركة بين العربية والآرامية والعربية الجنوبية.

أيْمُـنُ الله: هذا الاسم يختلف عما سبقه من الأسماء فى أن أصله (يَمين) يبدأ بشبه صامت لا صامت وإن جاءت فى بعض المشتقات العبرية هذه الكلمة مبدوءة بحركة بسيطة هى الكسرة، بعد أن حذف أحد عنصرى الحركة المزدوجة وهو الفتحة فصارت יְמִינִי iminī و יְמָנִי imānī، وهى فى الآشورية imnu، والأوجاريتية yamīn (الناحية اليمنى)[1] والآرامية ܝܰܡܺܝܢܳܐ ، יָמִין yamīn (اليد اليمنى) ܝܡܝܢܐ، النبطية ימן ، ويشتق منها فعل بمعنى (يوفق)، Tayman، الأثيوبية የማን yamān[2]. وقد ورد لفظ אימן فى السبئية اسم لأمير 𐩱𐩺𐩣𐩬 Ayman[3] وما حدث هو حذف شبه الصامت الثانى، وإضافة مقطع مكون من الهمزة والحركة المساعدة، وهى حركة فتحة، بعكس الحركة المساعدة فى الأسماء السابقة التى كانت كسرة.

وأيمن الله نطقت فى اللغة العربية بطرق كثيرة تنيف عن عشر طرق هى: أيْمُنُ الله، وإيمُن الله، وأيْم الله، وإيمُ الله، وأمُ الله، ومُ الله، وم الله، وم

---

(١) Stanislav Segert: A Basic Grammar...) P. 188.

(٢) Gesenius: (...) יָמִין s. 303.

(٣) اجناطيوس جويدى: المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، (القاهرة: ١٩٣٠م/ ١٣٤٩هـ) ص ٢٩.

الله، ولَيْمُنُ الله، ومُنُ الله، ومُنْ ربى، ومِنْ ربى، و(مُنْ) لا تدخل إلا على (ربٍّ) وحده، ولا تدخل على غيره. وربما أدى هذا إلى اختلاف الآراء بين البصريين والكوفيين حول هذا الاسم، أهو مفرد أم جمع؟ وهل أصل هذه الهمزة قطع أو وصل؟(١). والمرجح أن هذا الاسم مفرد، وأن الهمزة فيه همزة وصل بدليل كثرة حذفها، وأنها زيدت نتيجة أن الكلمة بعد حذف حركة الفتحة، وهى العنصر الثانى من الحركة المزدوجة، والذى ينشىء شبه الصامت، أصبحت تبدأ بحركة، وهذا يتعارض مع نظام المقاطع. أما الميم فقد نطقت فى أغلب حالاتها بحركة الضمة؛ لكثرة حذف صوت النون، وهو حرف الإعراب، وكما نلاحظ فإن كل أصوات الكلمة يمكن أن تسقط فى بعض اللهجات، وتبقى الكلمة على حرف واحد هو الميم، فكأن حرف الميم قد أصبح الحرف الذى تقع عليه حركات الإعراب(٢).

والملاحظ فى الأسماء السابقة أنها قد مرت بمرحلة فقد فيها الصامت، أو شبه الصامت الأول من الكلمة حركته، فأصبحت الكلمة تبدأ بصامت ساكن، أو بحركة بسيطة، وهذان أمران يتعارضان مع نظام بناء المقاطع، وبالتالى لجأ الناطق باللغة العربية إلى إضافة مقطع فرعى إلى أول الكلمة، مكون من الهمزة وحركة مساعدة، هى فى أغلب الأسماء كسرة، وقد تكون فتحة.

---

(١) الأنبارى: الإنصاف فى مسائل الخلاف، جـ١، مسألة ٥٩، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٩.
(٢) الأنبارى: الإنصاف فى مسائل الخلاف، جـ١، مسألة ٥٩، ص ٤٠٩.

همزتا الوصل والقطع فى أوزان الفعل:

رأينا كيف اعتمدت ظاهرة تجنب توالى صامتين فى أول المقطع والكلمة ـ فى حالة ابتداء الكلام ـ فى الأسماء على زيادة مقطع فرعى فى أول الكلمة له شكل واحد لا يتغير، وهو مكون من الهمزة والحركة المساعدة، أو يعتمد على زيادة حركة بعد أول صامت، أو على طبيعة السكون (الشوا) فى اللغات السامية الشمالية الغربية، ونطقه فى حالات معينة حركة مخطوفة.

أما فى وسط الجملة فاعتمدت على اتصال الكلمات، وخاصة إذا ورد توالى الصامتين بعد نهاية حركية، كما ذكرنا من قبل، هذا ما حدث فى الأسماء، أما الأفعال فنشأت فيها مقاطع فرعية جديدة ـ بالإضافة لما سبق ـ مكونة من أصوات صامتة غير الهمزة مثل: الهاء فى العبرية وآرامية العهد القديم، أو السين والشين، كما فى الأكدية والأوجاريتية والمعينية وفى وزن (استفعل) فى العربية والحبشية، بالإضافة بالطبع لوجود المقطع الفرعى المكون من الهمزة والحركة المساعدة، فهل انتشار المقطع (ʾa) فقط فى الأسماء فى اللغات السامية دليل على ما قاله بروكلمان من أن كل حركة فى بداية الكلمة كانت شديدة أصلاً فى اللغات السامية، أى مع الصوت الانفجارى الشديد من لسان المزمار، وأن الصوت النَفَسى أو النفخى الهاء حل محل الصوت الشديد[١] تبعاً لقانون السهولة والتيسير؟ ربما تقودنا المعلومات التالية عن الفعل وأوزانه وصيغه فى اللغة العربية واللغات السامية الأخرى إلى دليل قاطع، أو مجرد استنتاج قابل للصحة أو الخطأ. عموماً فإن توالى الصامتين فى أول الفعل ينشأ عادة فى صيغة

(١) Brockelmann: Grundriss, B.1-&36.S. 44, 45

الماضى فى بعض الأوزان فى اللغات السامية؛ نتيجة بناء صيغة ماض جديدة من صيغة المضارع، بحذف سابقة المضارعة، كما يحدث مع صيغة الأمر، وكذلك يصاغ المصدر فى بعض اللغات السامية بالطريقة نفسها.

وفيما يلى حديث مفصل عن كل وزن على حدة.

الوزن المجرد:

تلجأ صيغة الأمر من الوزن المجرد فى اللغة العربية إلى إضافة مقطع فرعى فى أول الصيغة مكون من همزة الوصل مع حركة مساعدة، تكون كسرة إذا كانت حركة عين الفعل كسرة أو فتحة، أو ضمة إذا كانت حركة عين الفعل ضمة، إذا توالى صامتان فى أول الصيغة الأصلية. كما فى نحو (اِجلِس، اِذهَب، اُكتُب) على حين لم تحتج الأكدية والحبشية لهذا؛ لوجود حركة بعد فاء الفعل، كما فى kušud (صل، تناول)، qubur (اقبر) فى الأكدية و ቅተል qĕtel (اقـتـلْ) و ልበስ lébas (البس) فى الحبشية، واعتمدت العبرية والآرامية وكذلك السريانية على طبيعة السكون (الشوا) ـ كما ذكرنا من قبل ـ التى تنطق فى هذه الحالة حركة مخطوفة على نحو קְטֹל qĕṭol (اقتل) فى العبرية، و ܩܛܘܠ qĕṭōl (اقتل) فى السريانية.

الوزن المصدَّر بالهمزة، أو الهاء أو الشين أو السين:

هذا الوزن موجود فى كل اللغات السامية، ويبنى بزيادة مقطع فى أول الصيغة، وتسقط معه حركة فاء الفعل. هذا المقطع مكون من همزة قطع وحركة مساعدة (ʼa) فى العربية والسريانية والحبشية. ومكون من هاء وحركة مساعدة (הִ ، הַ) (hi،ha) فى العبرية. و הַ فى الآرامية،

ومكون من شين وحركة مساعدة (ša) فى الأكدية والأوجاريتية، ومكون من سين وحركة مساعدة (sa) فى المعينية.

ويرى د. رمضان عبدالتواب أنه «إذا كانت أنواع هذه المقاطع المختلفة لا يمكن إرجاعها إلى أصل واحد، فإن ذلك يؤدى إلى الاعتقاد بأنها نشأت جميعاً فى السامية الأولى، الواحدة بجوار الأخرى[١]. ودليله على ذلك أنه لا تزال توجد فى بعض هذه اللغات كذلك، فبجوار المقطع الشائع فى اللغة العربية (أَ)، فقد دخل المقطع (ha).

وقد أشار إلى ذلك ابن الحاجب ٦٤٦هـ والإستراباذى ٦٨٦ أو ٦٨٨هـ عند الحديث عن إبدال الهاء من الهمزة، ونسب ابن الحاجب هذا الإبدال إلى لهجة طيئ، فيقول ابن الحاجب «فمن الهمزة مسموع، فى هرقت وهرحت... فى طيئ»[٢] ويقول الإستراباذى «يقال: هنرت الثوب، أى أنرته، وهرحت الدابة أى أرحتها»[٣].

كما أن فيها الوزن المصدر بالمقطع (sa) فى وزن (استفعل) وهو وزن شائع[٤].

ولكن ألا يمكن تحول الهمزة إلى هاء، وهما صوتان حنجريان والفرق بينهما أن الهمزة صوت شديد والهاء صوت احتكاكى، وهناك إمكانية لتحول صوت الهمزة إلى صوت الهاء، إيثاراً للسهولة والتيسير؟ وكذلك أليس من الممكن تحول صوت السين إلى شين، أو العكس باعتبار صوت

---

(١) رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، ص ٢٣٣.

(٢) الإستراباذى: شرح الشافية، القسم الأول، جـ٣، ص٢٢٢.

(٣) المرجع السابق: جـ٣، ص٢٢٢.

(٤) رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، ص ٢٣٣.

السين صوتاً أسنانياً لثوياً، احتكاكياً مهموساً، وصوت الشين صوتاً غارياً، احتكاكياً مهموسا، فهناك تقارب مخرجى، وصفات مشتركة بين الصوتين، وتبادل صوتى السين والشين ظاهرة شائعة بين اللغات السامية(١) ـ كما نعلم ـ وبالتالى يمكن أن نقول إن أصل هذه المقاطع الهمزة والشين، أو الهمزة والسين وقد تحولت فيما بعد إلى الهاء للسهولة والتيسير، وتحولت الشين إلى السين أو العكس؛ لكثرة التبادل بين هذين الصوتين فى اللغات السامية.

علمنا أن هذا الوزن مصدَّر فى اللغة العربية بالمقطع (ʾa)، أما الأكدية والأوجاريتية فلا يوجد فيهما إلا المقطع (ša) šuqbur (أقبر) فى صيغة الماضى، šuqbir فى صيغة الأمر (أَقبِرْ).

وأصل المقطع فى اللغة العبرية هو: הַ (ha) بالفتح، تحول إلى הִ (hi) הִפְעִיל hifʿīl؛ لأن العبرية إذا وقع فيها الفتح فى مقطع مغلق ليس بمنبور، تحوّل إلى الكسر، والدليل على أن أصل حركة الهاء هو الفتح، وجود هذا الفتح فى صيغ المضارع؛ مثل יַקְטִיל yaqṭīl (يُقْتِل)؛ لأنه مختصر من יְהַקְטִיל، كما اختصرت صيغة يُكرم من يُؤَكرم فى اللغةالعربية . وكذلك يظهر الفتح فى صيغة الأمر הַקְטֵל haqṭél، والمصدر المطلق הַקְטֵל haqṭēl، والمصدر المضاف הַקְטִיל haqṭīl.

ويوجد هذا المقطع فى آرامية العهد القديم بالفتح أيضاً (הַ).

أما السريانية فليس فيها إلا المقطع (ʾa) ܐܰܩܛܶܠ ʾaqṭel، فيما

(١) رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، ص ٢١٦ ـ ٢١٩.

عدا الكلمات الدينية المستعارة من العبرية، عن طريق الآرامية اليهودية؛ مثل ܗܝܡܢ haymen (آمن). وهذه الكلمة نجدها مستعارة في العربية (هيمن) بمعنى سيطر.

وفي السريانية بقايا لهذا الوزن، بزيادة المقطع (sa) أو (ša) مثل ܫܥܒܕ ša˓bed (استعبد) و ܫܘܚܪ šawḥar (آخّر) و ܫܪܗܒ sarheb (أسرع)، و ܣܩܒܠ saqbel (استقبل).

أما العربية الجنوبية، ففي اللهجة السبئية منها: يبدأ هذا الوزن بالمقطع (ha) وفي اللهجة المعينية (sa)، وفي اللغة الحبشية يبنى هذا الوزن بالمقطع: (ʾa) في مثل አቅተለ aqtála؛ كما تبنى كذلك بالمقطع (sa) في وزن (استفعل) مثل اللغة العربية، وذلك في مثل: አስተርአየ astarʾaya (أظهر نفسه).

الوزن المزيد بالنون في أوله:

هذا الوزن موجود في كل من الأكدية والعبرية والعربية، ويبنى بزيادة مقطع في أول الصيغة مكون من صوت النون وحركة مساعدة، وتظهر الصورة الأصلية لهذا الوزن في صيغة الأمر في الأكدية naqtil وصيغة الماضي naqtul، وصيغة الماضي في العبرية נִקְטַל niqṭal، ولكنه يتحول في صيغة الأمر إلى הִקָּטֵל hiqqāṭel.

أما العربية فقد ظهر فيها بناء جديد مأخوذ من المضارع وهو (انكسر)، وبالتالي احتاجت اللغة العربية إلى زيادة المقطع الفرعي المكون من همزة الوصل والحركة المساعدة الكسرة، في أول الصيغة؛ لتجنب توالي الصامتين. ويظهر هذا المقطع في صيغة الأمر (اِنكسِرْ) والمصدر (اِنكسار)، ولم تلجأ إليه الأكدية والعبرية لوجود حركة قصيرة بعد النون.

أما الحبشية فتبنى هذا الوزن من الرباعى لا من مجرد الثلاثى، مثل አንፈርዐጸ ʾanfaʿraṣa (وثب). كما نلاحظ أن الحبشية لجأت أيضاً إلى المقطع المكون من الهمزة والحركة المساعدة الفتحة؛ لتجنب توالى الصامتين فى أول الصيغة.

الأوزان المزيدة بالتاء فى الصدر أو الحشو:

يبنى من وزن (فَعَلَ) المجرد، ووزن (فَعَّلَ)، ووزن (فاعل)، ووزن (أفعل).

الوزن المزيد بالتاء من الوزن المجرد:

تسقط حركة الفعل، عند بناء وزن الافتعال منه؛ بسبب انتقال النبر من عليها إلى المقطع: (ta) وعندئذ تنتج صيغة táqtala، وهذه الصيغة لا وجود لها إلا فى الحبشية فى كلمة ተንሥአ tanšēʾa (ارتفع)، ولا وجود لها فيما عدا ذلكفى اللغات السامية الأخرى؛ بسبب ما يسمى (القياس البنائى) على النحو التالى:

فى اللغة العربية: أثرت صيغة المضارع فى صيغة الماضى؛ إذ اشتق من المضارع yatqatilu يَتْقَتِلُ ـ الذى فقدت فيه التاء حركتها؛ بسبب انتقال النبر ـ ماض جديد، هو: (تْقَتَلَ) tqatala؛ ولأنه لا يجوز الابتداء بصامتين متواليين، احتاجت هذه الصيغة إلى المقطع المكون من همزة الوصل والحركة المساعدة فى أول الصيغة، فأصبحت (اِتْقَتَلَ) هذه الصيغة لا تزال مستعملة فى العربية العامية فى مصر والمغرب؛ ففى مصر يقال: (اِتْعَرَفَ) بمعنى عرِف، كما يقولون فى تونس tktib (كْتِب) وفى مراكش tsaraq (سِرِق).

أما العربية الفصحى، فقد وضعت فيها التاء بعد فاء الفعل فقيل: (اِقْتتل) مع اختلاف المعنى فى العربية الفصحى عن المعنى الأصلى

للوزن، ويرجح بروكلمان[1] أن السبب فى هذا القلب المكانى، هو القياس على الأفعال الكثيرة، التى تبدأ بصوت من أصوات الصفير، مما يؤدى إلى القلب المكانى بين تاء الافتعال وفاء الفعل، وقد قاست العربية والآشورية الأفعال التى فاؤها ليست صوتاً صفيرياً، على تلك التى فاؤها كذلك، فيقال فى العربية: (اقتتل) و(اعتزم)، كما يقال فى الآشورية: ibtanī (ابتنى)، ومثل ذلك حدث فى الأوجاريتية yrtḥṣ (يرتحض أى يغتسل) وفى العربية الجنوبية أيضاً؛ ففيها qtdm (بدأ) sṭṭr (كتب).

أما العبرية فلا يوجد هذا الوزن إلا فى הִתְפָּקְדוּ hitpāqdū (عدُّوا)، والآرامية hitqĕṭel، والسريانية ܐܬܦܩܕ ʾetpəqed (فُقِد) ܐܬܩܒܪ etqəber (قُبِر).

أما الحبشية، فقد تأثر فيها هذا الوزن taqtala بوزن الافتعال من المضعف taqattala فى الإبقاء على حركة فاء الفعل. وبالوزن الأصلى اللازم (نحو: labsa) الذى يقاربه فى المعنى، فسقطت حركة العين، وجاءتنا لذلك صيغة ተቀተለ taqatla.

الوزن المزيد بالتاء من الوزن المضعف الثانى:

ويظهر هذا الوزن فى صورته الأصلية فى العربية والحبشية.

ففى العربية (تقتّل)، والحبشية ተቀተለ taqattála.

أما الأكدية فقد عمم فيها نظام الفعل الذى فاؤه أحد أصوات الصفير مثل uptarriš (خلصَ).

أما العبرية والآرامية فقد نشأت فيهما صيغة ماض جديدة مشتقة من

---

(١) بروكلمان: فقه اللغات السامية. الفقرة ١٩٣، ص ١١٠.

المضارع؛ ففى العبرية הִתְקַטֵּל hitqattel (تقتّل). وفى السريانية ܐܶܬܦܰܩܰܕ ʾetpaqqad، وقد قيسِت حركة عين الفعل فى العبرية على حركتها فى مضعف العين من المجرد، وقد ورد بفتح العين أحياناً، كما فى آرامية العهد القديم הִתְקַטַּל hitqattal. والمقطع (הִ) متأثر بالمقطع الموجود فى وزن הִפְעִיל hifʿīl.

ونجد مثل هذا الاشتقاق فى بعض أفعال العربية الفصحى كذلك، مثل: (اطّهّر) و(اذّكّر) و(ازّيّن)، أما اللهجات العربية الحديثة، فلا يكاد يوجد فيها إلا هذا الاشتقاق الجديد، كما فى اللهجة المصرية (اتنفّس)، و(اتندّم)، و(اتكلّم).

وهكذا نرى أن المقطع الذى أضيف فى الصيغ التى تبدأ بصامتين متواليين فى العبرية مكون من هاء وحركة مساعدة، وهو فى اللغات السامية الأخرى مكون من الهمزة وحركة مساعدة.

الوزن المزيد بالتاء من الوزن (فاعل):

وهذا الوزن لا يوجد إلا فى العربية والحبشية؛ لأن وزن (فاعَل) لا وجود له إلا فى السامية الجنوبية، والافتعال بزيادة المقطع (ta) مطرد تماماً الاطراد فى هاتين اللغتين، ففى اللغة العربية (تقاتل)، وفى الحبشية ተቃተለ taqātala. غير أن العربية قد حدث فى بعض أفعالها هنا، منذ أيام الجاهلية، ما حدث لصيغة (تفعّل) من اشتقاق ماض جديد من المضارع بعد سقوط حركة فائه؛ ولذلك وصل إلينا مثل قوله تعالى: ﴿بل ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾(١)، وقوله تعالى ﴿إذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّه

(١) سورة النمل آية ٦٦.

اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾[1] وقد ساد هذا الاشتقاق الجديد وحده فى اللهجات المعاصرة؛ مثل اصّالحوا.

الوزن المزيد بالتاء من الوزن المصدر بالهمزة، أو الشين، أو السين:

هذا الوزن يوجد فى كل اللغات السامية فيما عدا العبرية، غير أنه يبنى من الوزن المصدر بالهمزة (ʾa) فى الآرامية، ومن المصدر بالسين (sa) أو الشين (šа) فى غيرها.

وفى الأكدية والعربية والحبشية حدث قلب مكانى فى المضارع بسبب قانون الأصوات الصفيرية، فصار المضارع (يستقتل) واشتق منه ماض جديد، بعد حذف سابقة المضارعة، واجتلاب المقطع المكون من همزة الوصل والحركة المساعدة، فصار فى العربية (اِستقتَلَ) فى صيغة الماضى، و(اِستقتِل) فى صيغة الأمر، وفى الآشورية šutaqbur (استقبرَ) فى صيغة الماضى و šutaqbir (استقبرْ) فى صيغة الأمر، وفى الحبشية አስተቀተለ (استقتل) ʾastaqtala فى صيغة الماضى وአስተቀትል (استقتلْ) ʾastaqtel والحركة المساعدة الفتحة هى الأصل، وتحولت إلى كسرة فى العربية قياساً على وزن اِنفعل واِفتعل[2].

وفى الآرامية وحدها، يبنى بزيادة المقطع (ʾet) قبل الوزن (أفعل). فمثلاً ܐܦܥܠ ʾafʿel يصير ܐܬܐܦܥܠ ʾetʾafʿal، ثم حدث حذف للهمزة الثانية وتضعيف التاء، فصارت الصيغة النهائية ܐܬܬܦܥܠ ʾettafʿal (أفعل).

---

(١) سورة التوبة آية ٣٨.

(٢) سبتينو موسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، الفقرة ١٦ ـ ٧٩، ص ٢٥٨.

وهكذا نرى أن هذا الوزن احتاجت كل اللغات السامية فيه إلى زيادة المقطع الثانوى فى أول الكلمة المكون من الهمزة والحركة المساعدة، ما عدا الأكدية؛ لأن صوت الشين يليه حركة كاملة هى الـ (u).

وهناك أبنية أخرى تختص بها اللغة العربية تبدأ بهمزة الوصل والحركة المساعدة هى افعلّ وافعالّ.

وتشترك الأكدية والحبشية فى الميل نحو توسيع دائرة الأوزان الأربعة، بأبنية جديدة، لكن وجود الوزن المصدر بالهمزة أو الشين أو السين من (فَعَّل) فى الأكدية قليل، على حين تبنى الحبشية الوزن المصدر بالهمزة لا من الوزن الأصلى فحسب بل من وزنى (فَعَّلَ) و(فاعل) كذلك، አቀተለ ʾaqttála، و አቃተለ ʾaqātala، وتميل اللغتان الأكدية والحبشية إلى تكديس حروف الزيادة المترادفة المعنى، فى وزن الافتعال؛ فالأكدية والحبشية تصيغان وزناً مزيداً بالهمزة والنون والتاء. ففى الآشورية على سبيل المثال iptanalāhū (يعظّمون) وفى الحبشية ተንጦለዐ tantōleʿa (غُطّى) من الفعل አንጦለዐ ʾantōleʿa (غَطّى).

ويضاف إلى هذه الأوزان بناء هذه الأوزان للمجهول. ولكل وزن من الأوزان الأربعة الرئيسية (مجرد الثلاثى وفَعَّل وفاعَلَ وأفعل أو هفعيل أو شفعل أو سفعل) فى الأصل، صيغة خاصة بالمبنى للمجهول.

وتصوغ العربية المبنى للمجهول من أوزان الافتعال والانفعال أيضاً.

وتحتفظ الآشورية بآثار المبنى للمجهول فى خطابات تل العمارنة، أما العبرية فقد ضاعت منها الصيغة الأصلية للمبنى للمجهول من الثلاثى ونابت عنها صيغة (الانفعال) נִפְעַל nifʿal، أما المبنى للمجهول من

הִקְטִיל Hif'il فى العبرية، فإنه على وزن הָקְטַל Hof'al، بزيادة المقطع (הָ)، وقد قيست حركة عين الفعل فى الماضى على حركتها فى المضارع יָקְטַל Yof'al.

وفى السريانية لا يوجد المبنى للمجهول فى صورته الأصلية، وتؤدى أوزان الافتعال (بالتاء) فى السريانية وظيفة المبنى للمجهول من وزن المجرد الثلاثى والمضعف الثانى والمصدر بالهمزة.

وقد فقد المبنى للمجهول فى اللغة الحبشية مطلقاً[1].

ومما سبق نلاحظ أن وجود المقطع الثانوى المزيد فى أول الصيغة المكون من الهمزة والحركة المساعدة أكثر انتشاراً فى اللغات السامية من المقطع المزيد فى أول الصيغة والمكون من الهاء والحركة المساعدة، والذى لا يكاد يظهر إلا فى العبرية والآرامية، وكذلك فإن المقطعين (ša) و(sa) المكونين من السين أو الشين والحركة المساعدة يوجدان فى الأكدية والأوجاريتية(ša)، وفى المعينية (sa)، ويوجد فى العربية والحبشية بالإضافة إلى الأكدية فى الوزن المزيد بالتاء من وزن أفعل (استفعل) مع وجود المقطع المكون من همزة الوصل والحركة المساعدة أيضاً فى العربية والحبشية.

على هذا نرجح رأى بروكلمان أن كل حركة تقع فى بداية الكلمة كانت أصلاً فى اللغات السامية مع الصوت الانفجارى الشديد من لسان

---

(١) تفاصيل ذلك مع جداول لصيغ أوزان الأفعال فى اللغات السامية عند بروكلمان: فقه اللغات السامية ص ١٢٣ ـ ١٣٣، وسبتينو موسكاتى: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، الفقرة ١٦ ـ ٦٥ إلى ١٦ ـ ٩٥، ص ٢٤٣ ـ ٢٦٣؛ رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى، ص ٢٢٩ ـ ٢٤٠.

المزمار أى الهمزة، مع الاعتراف بأصالة المقطع (sa) أو (ša) فى هذا الوزن أيضاً.

وبينما جاء المقطع المكون من همزة القطع أو السين أو الشين أو الهاء والحركة المساعدة لإضافة دلالة جديدة للفعل، فإن المقطع المكون من همزة الوصل ويقابلها فى العبرية الهاء مع الحركة المساعدة جاء لأداء وظيفة صوتية هى تجنب وجود صوتين صامتين متواليين فى أول المقطع أو الصيغة.

همزة الوصل فى الحروف:

كل الحروف التى تبدأ بهمزة فى اللغة العربية، تكون همزتها همزة قطع ـ كما نعلم ـ ما عدا أداة التعريف (ال) التى تكون همزتها همزة وصل. وإن كان برجشتراسر يرى أن أصلها همزة قطع، ولكنه لم يذكر الدليل الذى بنى عليه هذا الرأى»(١).

ونلاحظ أن تقابل الهمزة والهاء الذى ظهر فى أوزان الأفعال المزيدة بين العربية والعبرية، يظهر مرة أخرى فى الحروف، التى تبدأ بالهمزة بنوعيها الوصل والقطع. فعلى سبيل المثال من الحروف التى تبدأ بهمزة قطع (إنْ) الشرطيةُ يقابلها فى العبرية הִנֵּה hinnē. وهمزة الاستفهام فى العربية تقابلها (הֲ) فى العبرية הֲשָׁלוֹם לוֹ:(أهو فى سلام؟ أو أسلام له؟).

أما أداة التعريف التى تبدأ بهمزة الوصل فى العربية (ال)، فيقابلها فى العبرية الأداة (הָ) ha، وتظهر حركة الفتحة الطويلة قبل الكلمات

---

(١) برجشتراسر: التطور النحوى للغة العربية، ص ٤٥.

التى تبدأ بصوت حلقى، وتقصر هذه الحركة قبل باقى الأصوات مع تشديد الصوت الأول، مما دعا بعض الدارسين للعبرية إلى القول بوجود صوت صامت آخر يدغم فى الصامت الأول من الكلمة، إذا لم يكن صوتاً من أصوات الحلق. وقد اختلف العلماء فى تحديد العنصر الثانى من أداة التعريف، فمنهم من رأى أنه لا يوجد عنصر ثانٍ، أو الأداة (הַ) هى الأصل بدليل ظهورها مع الأصوات الحلقية وعدم ظهور صامت آخر، وربما يُفسِّر هذا الرأى ظهور أداة التعريف الآرامية ā (ܐ) بأنها ما تبقى من الأداة (hā ، ܗܐ) بعد سقوط الهاء منها، وإن كانت تضاف إلى آخر الكلمة فى الآرامية.

ومنهم من رأى أن العنصر الثانى هو النون (הַן)؛ لأن النون تتعرض للإدغام كثيراً فى العبرية، ويبدو هذا واضحاً فى الفعل فائى النون، والدليل الثانى هو أن عنصر التعريف فى العربية الجنوبية هو النون (𐩬) ويلحق آخر المعرف، وكذلك فإن النقوش اللحيانية العربية أظهرت أن أداة التعريف هى الهاء فى العادة، غير أنها تظهر قبل الألف والعين فى صورة (هن) بصورة مطردة.

أما الرأى الشائع الذى ارتضاه معظم دارسى العبرية، فهو أن هذه الأداة أصلها (הַל) hal مستنداً إلى أن ثمة علاقة بين أداة التعريف واسم الإشارة؛ لأن هناك تشابه بين أداة التعريف واسم الإشارة فى كثير من اللغات مثل الإنجليزية والألمانية، وأن صوتى الهاء واللام هما عنصران يدخلان فى تركيب كثير من أسماء الإشارة فى اللغات السامية، كما أن اللام تدغم كذلك فى العربية فيما بعدها، إذا كان صوتا من الأصوات التى تسمى بالأصوات الشمسية، وجدير بالذكر أن نشير إلى أن فى بعض

اللهجات العربية الحديثة تستخدم الهاء فى اسم الإشارة وأداة التعريف بدلاً من الهمزة، فيقال(هلّيوم) أى: اليوم، و(هرّجل) أى: الرجل. فهل هذا مجرد إبدال بين الهمزة والهاء،وهو كثير فى اللغة العربية تبعاً لقانون السهولة والتيسير؛ أو هو بقايا عناصر سامية قديمة؟ أو أن الكلام مختصر من اسم الإشارة مع المعرّف نتيجة السرعة فى الكلام، وأصل العبارة (هذا اليوم)، و(هذا الرجل)؛ كل هذه التساؤلات الإجابات عنها بالإيجاب، ليست بعيدة عن الصواب العلمى.

ويبقى سؤال هو لماذا افترض العلماء أن صوت الهاء هو الأصل فى أداة التعريف وليست الهمزة فى اللغة السامية الأم، على الرغم من أن إبدال الهمزة هاء أكثر من إبدال الهاء همزة[1]. خاصة مع التصور الصوتى، وهو أن الناطق يلجأ إلى الصوت الأسهل فى النطق لا العكس. وقانون السهولة والتيسير معروف فى علم الأصوات.

يبقى أن نعرف أن الأكدية والحبشية لا تعرفان أداة للتعريف، وأن الاسم المجرد من أداة التعريف يمكن أن يدل على التعريف الإشارى الدقيق، فمثلاً فى الحبشية كلمة ዮም yōm يمكن أن يكون معناها فى سياق النص اليوم. مما دعا بعض الدارسين إلى استنتاج أن اللغات السامية لم تستخدم فى الأصل رمزاً أو أداة بعينها للتعريف[2].

---

(١) نُسبَ هذا الإبدال ـ إبدال الهمزة هاء ـ إلى لهجةطيئ، انظر الإستراباذى: شرح الشافية، القسم الأول، جـ٣، ص ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٢٢ ـ ٢٢٤، جـ٤ ص ٤٣٨، ٤٧٦، ٤٧٧؛ حاييم رابين: اللهجات العربية الغربية القديمة (الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٦م، ترجمة: عبدالرحمن أيوب) ص ٣٥٦، رمضان عبدالتواب: مشكلة الهمزة العربية ص ٤٦ ـ ٥٠.

(٢) رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى. ص ٢٤١.

أما الآرامية فأداة التعريف فيها هى ألف المد (ܐ) وتلحق بآخر الاسم المعرف، غير أنها فى السريانية فقدت قدرتها على التعريف، وأصبحت هى النهاية المألوفة للاسم، فلا تدل على التعريف إلا فى المفعول المباشر، الذى ألحقت به السريانية المتأخرة لام الجر. وغالباً ما يعبر عن التعريف فى السريانية بضمير متصل يعود إلى الاسم الذى يذكر بعد ذلك، مثل: ܡܢܗ ܕܪܥܝܐ menneh drā ʿyā «مِن الراعى».

وفى العربية الجنوبية، نجد أن أداة التعريف هى النون وتلحق بنهاية الاسم أيضاً[١].

قطع همزة الوصل

نجد هذه الظاهرة مع لفظ الجلالة (الله) إذا سبقته (يا) النداء (ياألله)، أو فاء قبلها همزة الاستفهام فى نحو (أفاألله لقد كان كذا)، ويجوز دخول الفاء من غير استفهام نحو (فا ألله لقد كان كذا)، وهمزة الاستفهام ليست عوضاً من حرف القسم ههنا للفصل بينها وبين الله بفاء العطف[٢].

ولقد كان للقدماء فى قطع همزة لفظ الجلالة (الله) مع دخول (يا) النداء معها أكثر من رأى. فسيبويه (ت ١٨٠هـ) يرى أن سبب جواز دخول حرف النداء (يا) على لفظ الجلالة (الله) يرجع إلى أنه اسم يلزم الألف واللام، لا يفارقانه، وكثر فى كلامهم، فصار كأن الألف واللام فيه بمنزلة الألف واللام التى من نفس الحروف... وكأن الاسم ـ والله أعلم ـ إلهٌ، فلما

(١) رمضان عبدالتواب: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى. ص ٢٤١ ـ ٢٤٦.
(٢) رضى الدين الإستراباذى: شرح كافية ابن الحاجب. (بيروت ـ دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) جـ٢، ص ٣٣٦.

أُدخِلَ فيه الألف واللام، حذفوا الألف، وصارت الألف واللام خلفاً منها[1]. فلم يخضع لقاعدة امتناع دخول (يا) على ما فيه الألف واللام.

ويرجع الأنبارى (ت ٥٧٧هـ) هذه الظاهرة إلى ثلاثة أسباب فيقول فى الجواب عن رأى الكوفيين بجواز نداء ما فيه الألف واللام. إن الجواب عن قولنا فى الدعاء يا ألله من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن الألف واللام عوض عن همزة (إله) فنزلت منزلة حرف من نفس الكلمة. ويستدل على صحة هذا الرأى بأنه يجوز أن يقال فى النداء (يا ألله) بقطع الهمزة، ولو كانت كالهمزة التى تدخل مع لام التعريف لوجب أن تكون موصولة، فلما جاز فيها هاهنا القطع دلَّ على أنها نزلت منزلة حرف من نفس الكلمة[2]، وهذا رأى سيبويه، واستشهد بقول الشاعر:

مباركٌ هو ومن سمَّاه ∴ على اسمِك اللهم يا أللهُ

والوجه الثانى: أن هذه الكلمة كثر استعمالها فى كلامهم، فلا يقاس عليها غيرها.

والوجه الثالث: أن هذا الاسم علم غير مشتق أتى به على هذا المثال من البناء من غير أصل يُرَدُّ إليه، فينزل منزلة سائر الأسماء الأعلام، وكما يجوز دخول حرف النداء على سائر الأسماء الأعلام، فكذلك هاهنا. وإن كان الأنبارى يرجح الوجه الأول[3].

---

(١) سيبويه: الكتاب (القاهرة: الخانجى، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون) جـ٢، ص ١٩٥.

(٢) الأنبارى: الإنصاف فى مسائل الخلاف، جـ١، مسألة ٤٦، ص ٣٤٠.

(٣) المرجع السابق جـ١، مسألة ٤٦، ص ٣٤٠.

والملاحظ أن سيبويه والأنبارى قد ردا هذه الظاهرة إلى الناحية الصرفية، أو إلى كثرة الاستعمال.

أما رضى الدين الإستراباذى فيردها إلى الناحية الصوتية، وهى كراهة اجتماع (يا) النداء واللام، فيما يسمى عند القدماء كراهية توالى ساكنين، فيقول «الأكثر فى يا ألله قطع الهمزة، وذلك للإيذان من أول الأمر أن الألف واللام خرجا عما كانا عليه فى الأصل، وصارا كجزء الكلمة حتى لا يُستكره اجتماع (يا) واللام، فلو كانا بقيا على أصلهما لسقط الهمزة فى الدرج، إذ همزة اللام المعرفة همزة وصل، وحكى أبو على[1] (يا الله) بالوصل على الأصل»[2].

ورأى الإستراباذى يعالج الظاهرة من الناحية الصوتية التى لم يلتفت إليها سيبويه والأنبارى. وهو رأى جدير بالاهتمام؛ لأننا لو نظرنا إلى (يا الله) من الناحية المقطعية، لا من ناحية التقاء الساكنين، كما ذكر الإستراباذى؛ لأن الألف فى (يا) ليست ساكن، بل هى ألف مد، أى حركة فتحة طويلة، أقول لو نظرنا إلى (يا الله) من الناحية المقطعية، سنجد أنه إذا عاملنا الهمزة فى لفظ الجلالة معاملة همزة الوصل، وأسقطناها فى الدرج - كما حكى أبو على الفارسى - yāl/lāh سيتكون لدينا فى البداية مقطع طويل مغلق حركته طويلة، وهو مقطع خاص بالوقف على نهاية الكلمة بالسكون كما هو فى المقطع الثانى والأخير فى هذا التركيب، وهذا المقطع لا يتكون فى حالة الوصل، فيما عدا بعض الاستثناءات. ولذلك لجأ الناطق إلى قطع همزة الوصل فى لفظ الجلالة عند الدعاء (يا ألله) ya/ʾal/ lāh، وبالتالى

---

(١) يقصد أبا على الفارسى ت ٣٧٧هـ.

(٢) الإستراباذى: شرح الكافية، جـ١، ص ١٤٥.

انقسم المقطع الأول الخاص بالوقف عند إسقاط همزة الوصل إلى مقطعين هما مقطع طويل مفتوح، ومقطع طويل مغلق حركته قصيرة فى حالة النطق بهمزة القطع. وهناك حالة ثالثة للنطق هى تقصير حركة الفتحة الطويلة (ألف المد)، فتصير حركة فتحة قصيرة yallāh، وقد أشار القدماء إلى هذا النطق، ولكنهم ظنوا أن ألف المد قذ حذفت[1]؛ لأنهم كانوا يحكمون على القضايا الصوتية من خلال طريقة الكتابة، لا من خلال النطق، وبتقصير الفتحة الطويلة أى ألف المد وتحويلها إلى فتحة قصيرة، يتحول المقطع الطويل المغلق ذو الحركة الطويلة الخاص بالوقف إلى مقطع طويل مغلق حركته قصيرة. وعلى هذا فعلى الرغم من أهمية ما ذكره سيبويه والأنبارى من آراء فى هذه الظاهرة، فإننا لا يمكن أن نتجاهل دور المقاطع فيها.

حذف همزة القطع:

والظاهرة الأخيرة المتعلقة بالهمزة فى الحروف، هى حذف همزة القطع فى بعض الحالات، ونجد هذا على مستوى اللغة الفصحى المشتركة واللهجات القديمة والحديثة فالخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) والكسائى (ت ١٨٩هـ) يشيران إلى أن (لن) مركبة، وأصلها (لا أن)، حذفت همزة (أَنْ) تخفيفاً، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين[2]. على حين رأى سيبويه والجمهور أنها بسيطة[3].

---

(١) الإستراباذى: شرح الشافية، القسم الأول، جـ٢، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٧.

(٢) أخذ بروكلمان بهذا الرأى فى كتابه Grundriss, B. 1, & 36, S. 45

(٣) الحسن بن قاسم المرادى: الجنى الدانى فى حروف المعانى (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم فاضل) ص ٢٧٠، ٢٧١.

وقد ذكر القدماء أمثلة أخرى لحذف همزة القطع فى اللهجات العربية القديمة فى الأسماء كما فى (أوَنْتَ وأبُوَيُّوب) من (أوْ أَنْتَ، وأبو أَيُّوب) بحذف الهمزة، وتشديد ما قبلها، وانتقال حركتها (الفتحة) إليه، وكما فى نحو (اَلَحْمر، ولَحْمر، ومِنَ لَحْمَرِ، وفِلَحْمَر ـ بحذف الياء، واللَّحْمر، واللَّرْض) من (الأحمر، ومِنْ الأحمر، وفى الأحمر، والأرض) وكذلك (عاد لُّولى) من (عاداً الأولى)[1]. بحذف الهمزة وانتقال حركتها إلى الصامت السابق لها، وقد يشدد كما فى اللَّحمر واللَّرض وعادَ لُّولى، كما حدث من قبل مع (أوَنَّتَ، وأبوَ يُّوب).

وورد هذا الحذف فى الفعل أيضاً، كما فى نحو (قَدَ افْلَحَ) من (قد أَفْلَحَ) و(اتبعىَ مْرَه) من (اتبعى أَمره)، و(قاتلوَ بيك) من (قاتلو أبيك) مع انتقال حركتها للصوت السابق لها. و(إلى الهداتنا) من(إلى الهدى ائتنا)، و(الذيتِمِن) من و(الذى أؤتِمِنَ)، و(يقولو ذَنْ لى) من (يقولُ ائْذَنْ لى)[2]. بحذفها دون تعويض، لأنها ساكنة.

وعلى مستوى اللهجات الحديثة نجد على سبيل المثال (يابا yābā من يا أبا yāʾaba . وحذف الهمزة جاء للتخفف منها؛ لأنها صوت صعب النطق كما نعلم، ونجد على العكس من ذلك فى لهجة دمشق أن همزة القطع التى تحذف فى صيغة المضارع من وزن أفعل فى العربية الفصحى تعود للظهور فيها فيقال biʾasbeḥ من ʾaṣbaḥ فى مقابل العربية الفصحى yuṣbiḥu[3].

(١) الإسترابادى: شرح الشافية، القسم الأول، جـ٣، ص ٥١، ٥٢.

(٢) الإسترابادى: شرح الشافية، القسم الأول، جـ٣، ص ٣٠ ـ ٣٧.

(٣) Fischer und jastrow: Handbuch der arabischen Dialekte. & 4.1. 12, S. 53.

نتائج البحث

من خلال المعلومات التى وردت فى هذا البحث يتضح لنا ما يلى:

١ـ أن همزتى الوصل والقطع ظهرتا فى الأسماء، سواء فى العربية أو اللغات السامية الأخرى، وخاصة اللغة العبرية، التى ظهر فيها صوت مقابل للهمزة، وهو الهاء فى الأفعال والحروف. وربما كان هذا دليلاً واضحاً على أن الهمزة هى الأصل فى المقطع الفرعى الذى يضاف فى أول الاسم أو الفعل أو الحرف؛ لتجنب بداية المقطع أو الكلمة بصامتين متواليين، وأن هذه الهمزة تحولت إلى هاء فى العبرية، تبعاً لقانون السهولة والتيسير، على حين أن العلماء الذين أشاروا إلى أن (الهاء) هى الأصل فى اللغة السامية الأم فى أداة التعريف، أو هى أحد الأصول فى الوزن المصدر بالهمزة أو الهاء أو الشين أو السين فى الفعل، لم يذكروا الدليل الذى بنوا عليه رأيهم.

٢ ـ لكل من همزتى الوصل والقطع وظيفتها، فهمزة الوصل وظيفتها صوتية؛ لأنها جاءت لتجنب وجود صامتين متواليين فى بداية المقطع، وهذا أمر مكروه فى اللغات السامية بصفة عامة.

أما همزة القطع فهى إما أن تكون أصلاً من أصول الكلمة، أو أنها جاءت زيادة فى وزن من أوزان العربية. لأداء وظيفة صرفية كما فى صيغ جموع التكسير، أو لأداء وظيفة دلالية، كما فى وزن (أفعل) فى الفعل. وبالتالى لابد من التفرقة بينهما فى الكتابة.

٣ ـ كان ظهور همزة الوصل أكثر انتشاراً فى اللغة العربية، لأن من اللغات السامية ما اعتمد على إضافة حركة فاصلة بين الصامتين فى أول الكلمة. ومنها ما اعتمد على أن السكون لديه له طبيعة خاصة فى النطق، إذ ينطق فى حالات معينة حركة مخطوفة، مثل اللغات السامية الشمالية الغربية، وبذلك يتجنب توالى الصامتين فى أول المقطع، دون اللجوء إلى إضافة المقطع الفرعى المكون من همزة الوصل والحركة المساعدة. وظهور همزة الوصل والحركة المساعدة قبل الصامتين المتواليين فى أول الكلمة، أو الحركة الفاصلة بينهما، ظاهرة امتدت إلى اللهجات العربية الحديثة، وكذلك بقى الصامتان الأولان فى بعض هذه اللهجات دون إضافة همزة الوصل والحركة المساعدة قبلها، أو إضافة حركة فاصلة بينهما.

٤ ـ أغلب الأسماء التى تبدأ بهمزة وصل فى العربية توجد فى اللغات السامية الأخرى، وإن لم تبدأ بهمزة وصل فى أغلبها؛ لاعتمادها على وسائل أخرى، لتجنب توالى الصامتين فى أول المقطع؛ اللذين تكونا نتيجة حذف الحركة الأساسية للاسم تحت تأثير نبر الجملة.

٥ ـ ينبغى أن ننظر إلى قطع همزة الوصل فى الدعاء (يا ألله) من الناحية المقطعية؛ لأنها تفسر لنا هذه الظاهرة فقطع همزة الوصل yā ʾallāh أو تقصير الفتحة الطويلة (ألف المد) ، لا حذفها كما ذكر القدماء، yallāh كان سببه هو الهروب من ورود المقطع الطويل المغلق ذى الحركة الطويلة فى بداية الدعاء؛ لأنه مقطع

خاص بالوقف كما نعلم؛ فى حالة نطقنا هذا الدعاء بإسقاط همزة الوصل فى الدرج yāllāh.

٦ ـ جاء حذف همزة القطع فى اللهجات العربية القديمة أو الحديثة للتخفف من صوت الهمزة لصعوبة نطقه. وقد اتخذ عدة أشكال منها حذف الهمزة المتحركة وانتقال حركتها للصوت السابق لها، وقد يضعف بالإضافة إلى هذا، وقد تحذف الهمزة دون تعويض إذا كانت ساكنة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١ ـ الإستراباذى، رضى الدين محمد بن الحسن:

ـ شرح شافية ابن الحاجب (بيروت ـ دار الفكر العربى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محيى الدين عبدالحميد).

ـ شرح كافية ابن الحاجب. (بيروت ـ دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٢ ـ الأنبارى، كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن بن محمد بن أبى سعيد:

ـ الإنصاف فى مسائل الخلاف. (القاهرة ـ دار الفكر، بدون تاريخ، تحقيق: محيى الدين عبدالحميد).

٣ ـ برجشتراسر:

ـ التطور النحوى للغة العربية. (القاهرة ـ الخانجى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، تصحيح وتعليق: رمضان عبدالتواب).

٤ ـ بروكلمان، كارل:

ـ فقه اللغات السامية. (الرياض ـ مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ترجمة: رمضان عبدالتواب).

٥ ـ جويدى، اغناطيوس:

ـ المختصر فى علم اللغة العربية الجنوبية القديمة. (القاهرة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م).

٦ ـ رابين، حاييم:

ـ اللهجات العربية الغربية القديمة. (الكويت ـ دار السلاسل للطباعة والنشر، ١٩٨٦م، ترجمة: عبدالرحمن أيوب).

٧ ـ سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر:

ـ الكتاب. (القاهرة ـ الخانجى، طـ ٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون).

٨ ـ عبدالتواب، رمضان:

ـ المدخل إلى علم اللغة، ومناهج البحث اللغوى، (القاهرة ـ الخانجى، طـ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).

ـ مشكلة الهمزة العربية. (القاهرة ـ الخانجى، طـ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

٩ ـ عمر، أحمد مختار:

ـ العربية الصحيحة دليل الباحث إلى الصواب اللغوى. (القاهرة ـ عالم الكتب، طـ١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

١٠ ـ مجمع اللغة العربية فى عيده الخمسينى:

ـ مجموعة القرارات العلمية فى خمسين عاماً من ١٩٣٤ ـ ١٩٨٤م، أخرجها وراجعها، محمد شوقى أمين، إبراهيم الترزى).

١١ ـ المرادى، الحسن بن قاسم:

ـ الجنى الدانى فى حروف المعانى (بيروت ـ دار الكتب العلمية، طـ١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل).

١٢ ـ موسكاتى، سبتينو:

ـ الحضارات السامية القديمة. (بيروت ـ دار الرُقى، ١٩٨٦م، ترجمة: السيد يعقوب بكر).

١٣ ـ و«أولندروف، إدوارد:

وشبيتالر، أنطون:

وفون زودن، فولفرام:

ـ المدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن. (بيروت ـ عالم الكتب، طـ١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ترجمة وتقديم: مهدى المخزومى، عبدالجبار المطلبى).

١٤ ـ نبوى، عبدالعزيز، وحسنين، أحمد طاهر:

ـ تيسير كتابة الهمزة (القاهرة ـ طـ١، ١٩٨٩م).

١٥ ـ نولدكه، تيودور:

ـ اللغات السامية. (القاهرة ـ دار النهضة العربية، ١٩٦٣م، ترجمة: رمضان عبدالتواب).

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

Bergsträsser, G. : Hebräische Grammatik, Georg olms Verlagsbuchhandlung, Hildesheim 1962.

Brockelmann, Karl: Grundriss der vergleichenden Grammatik des semitischen Sprschen, Georg Olms Verlagsbuchhandlung, Hildesheim 1961.

Fischer, Wolfdietrich: Handbuch der arabischen Dialekte, Jastrow, Otto bearbeitet und herausgegeben von W. Fischer und O.Jastrow, Otto Harrassowitz - Wiesbaden 1980.

Gesenius, Wilhelm : Hebräisches und aramäisches Handwörterbuch über des Alte Testament, Springer - Verlag, 17. Auflage, Berlin / Göttingen / Heidelberg, 1962.

Heller, Klaus : Informationen und Meinungen zur deutschen Sprache. Herausgegeben von Institut für deutsche Sprache. Rechtschreibform. Eine Zusammenfassung von Dr. Klaus Heller. IDS. Sprachreport Extraausgabe, Januar 1996.

Reimschneider, Kaspar K. : Lehrbuch des Akkadischen, Leipzig, 1969, 2. durchgesehene Auflage 1973.

Segert, Stanislav : A Basic Grammar of the Ugaritic Language, London 1984.

Ullendorf, Edward : The Semitic Languages of Ethiopia, A Comparative Phonology, London 1954.

الفرق بالحركة بين المعانى المختلفة فى اللغة العربية(*)

د. أحمد إبراهيم هندى داود
كلية الآداب - جامعة عين شمس

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ المتتبع لمظاهر النشاط الإنسانى يجد اللغة من بين أبرز تلك النشاطات التى ميَّزت الإنسان عن غيره من المخلوقات التى تشاركه وجوده فى هذا الكون الرحيب.

ونظراً لما تؤديه اللغة من وظائف أساسية فى حياته، وما تلعبه من دور لا يمكن إغفاله، فقد اهتمَّ بها الإنسان وبدراستها. ولقد كان لعلماء العربية فى هذا الجانب حظهم الوافر ونصيبهم البارز. فقد اهتموا باللغة وبدراستها فى جوانبها المختلفة، فدرسوا أصواتها فكانت جهودهم فى علم أصوات العربية، ودرسوها على مستوى الكلمة فكانت جهودهم فى علم الصرف، ودرسوها على مستوى التركيب والجملة فكانت جهودهم فى علم النحو، ثم إنهم لم يغفلوا الجانب الدلالى، فكانت جهودهم فيما يُعْرف بالمعاجم على اختلاف أنواعها وتباين اهتماماتها.

(*) رقم الإيداع بدار الكتب (١٠٥١٧) عام ١٩٩٨م.

وإذا كانت اللغة تنحلُّ فى أبسط صور تحليلها إلى مكونين أساسيين هما: الأصوات الصامتة أو الساكنة (الحروف) والأصوات الصائتة أو المتحركة (الحركات). فقد يَظُنُّ ظانٌّ، أن الحركات ما هى إلا زينة للغة فى خطها وحلية لها فى نطقها، إضافة إلى كونها وسيلة من وسائل اللغة فى تكوين ألفاظها ومفرداتها.

والمتتبع لدور الحركة فى اللغة يجد أنها فوق كونها مكوناً أساسياً من مكونات ألفاظها ومفرداتها ـ يجد أنها كذلك تمثل صورة من صور وسائل اللغة للتفريق بين المعانى المختلفة. ومن هنا كانت فكرة هذا البحث «الفرق بالحركة بين المعانى المختلفة فى اللغة العربية» وقبل أنْ أعرض للفرق بالحركة بين المعانى المختلفة فى العربية أجدنى مضطراً لأن أعرض للحركات وأنواعها فى العربية لحاجة البحث إليها من ناحية ولأن الكلام فيها يخالف فى بعض جوانبه ما نجده فى كتب النحو القديمة من ناحية أخرى. كذلك سيكون توضيح الفرق بالحركة من خلال البنية المقطعية لبعض الأمثلة مما يضطرنى إلى الكلام عن المقاطع الصوتية فى اللغة العربية.

أولاً الحركات:

يذكر علماء الأصوات أنه لكى يحدث الصوتُ الإنسانى(١) فإن الهواء الخارج أثناء عملية الزفير يندفع من الرئتين ماراً بالحلق وتجويف الفم إلى الشفتين، فإما أن يصادف مجراه مسدوداً سداً تاماً عند أية نقطة فى الجهاز النطقى ما بين الحنجرة والشفتين سرعان ما يزول، وإما أن يصادف

---

(١) انظر: المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ٢٨، ٢٩ والأصوات اللغوية ص ٨.

تضييقاً فى المجرى يسمح بمرور الهواء على إحدى صورتين: أن يكون التضييق بحيث يسمح للهواء بالمرور مع حدوث حفيف واحتكاك وصفير.

أو أن يكون التضييق عند نقطة بحيث لا يسمع حفيف أو احتكاك أو صفير. ففى حالة سد مجرى الهواء سداً تاماً سرعان ما يزول أو تضييق المجرى بحيث يسمع للهواد حفيف واحتكاك تنتج الأصوات الصامتة (CONSONANTS) وتعرف بالأصوات الساكنة. وفى حالة تضييق مجرى الهواء عند نقطة ما دون أن يسمع للهواء الخارج حفيف أو احتكاك وأثناء ذلك تهتز الأحبال الصوتية تنتج أصوات مجهورة هى الحركات (Vowels) وتعرف بأصوات العلة كذلك ومن هذين القسمين يتكون الكلام البشرى: من الأصوات الساكنة أو الصوامت والحركات أو أصوات العلة.

ويهمنا هنا أن نعرض للقسم الثانى من هذين القسمين وهو الحركات وأنواعها فى العربية يعرف الأستاذ دانيال جونز الحركة «بأنها صوت مجهور يخرج الهواء عند النطق به على شكل مستمر من البلعوم(*) والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً»(٢).

وبحسب حركة مقدمة اللسان ومؤخرته نحو سقف الحنك تتحدد أنواع الحركات(٣) فإذا كان اللسان مستوياً فى قاع الفم مع انحراف قليلٍ فى

---

(٢) أصوات اللغة د. عبدالرحمن أيوب ص ١٥٦، ١٥٧.

(*) يبدو أن دانيال جونز يريد «بالبلعوم» الحنجرة أو أن المترجم أخطأ فترجم الحنجرة بالبلعوم، فالهواء يخرج من الرئتين عبر القصبة الهوائية إلى الحنجرة وتجويف الفم إلى الشفتين، أما الخارج من البلعوم ـ إن خرج منه شيء ـ فإنه القيء لا الهواء.

(٣) انظر فى أنواع الحركات وكيفية إحداثها: المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ٩٢ ـ ٩٣ وأصوات اللغة د. أيوب ص ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥ والأصوات اللغوية ٣١ ـ ٣٦.

أقصاه نحو أقصى الحنك واندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة واهتزت عندئذ الأوتار الصوتية، نتج صوت الفتحة (a) وتعترف هذه الحركة بالحركة الأمامية الواسعة. فإذا ارتفعت مقدمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافياً لمرور الهواء، دون أن يحدث أثناء مروره أى نوع من الاحتكاك أو الحفيف بحيث لو زاد ارتفاع اللسان عن ذلك يسمع احتكاك وحفيف وجعلت الأوتار الصوتية تهتز مع ذلك، نتج صوت الكسرة الخالصة (i) وتعرف بالحركة الأمامية العليا ولو صعدت مقدمة اللسان نحو سقف الحنك أكثر من ذلك بحيث يحدث الهواء خفيفاً أو احتكاكاً أثناء مروره بهذا الموضع، نتج عن ذلك صوت «الياء» وهو صوت صامت، ومن هنا ندرك علاقة القربى بين صوت الياء والكسرة الخالصة. وبين مخرجى الفتحة والكسرة الخالصة أوضاع كثيرة لمقدمة اللسان تحدث بسببها أنواع متعددة من الحركات من أبرزها فى أذهاننا صوت الكسرة الممالة (e).

وإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث يمر الهواء دون أن يحدث احتكاكاً أو حفيفاً مع اهتزاز الأوتار الصوتية، ينتج صوت الضمة الخالصة (u) وتعرف بالحركة الخلفية الضيقة. وإذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك أكثر من ذلك، بحيث يسمع للهواء احتكاك وحفيف، نتج عن ذلك صوت الواو، وبهذا ندرك الفرق بين صوت «الواو» والضمة الخالصة وأنه فرق فى درجة اتساع ما بين مؤخرة اللسان وسقف الحنك.

وإذا ارتفعت مؤخرة اللسان بحيث تكون أبعد ما يمكن من مؤخرة سقف الحنك واهتزت الأوتار الصوتية مع ذلك، ينتج باندفاع الهواء صوت الفتحة وهو شبيه بحركة الطاء فى كلمة (طاب) المصرية، ويرمز لها

بالرمز (a) وتعرف بالحركة الخلفية الواسعة. وبين مخرجى، الفتحة والضمة الخالصة أوضاع، كثيرة لمؤخرة اللسان تحدث بسببها حركات متعددة أبرزها فى أذهاننا صوت الضمة الممالة: (O) هذا وتلعب الشفتان دوراً لا يمكن إغفاله من حيث انفراجهما مع بعض هذه الحركات أو استداتهما مع بعضها الآخر، وإن اختلفت درجة الانفراج والاستدارة فى صوت عن الآخر.

الحركات من حيث الطول والقصر:

يمكن القول بأن العربية فى نظامها الصوتى تحمل ألواناً مختلفة من الحركات من حيث طولها وقصرها تتمثل فى يلى:

١ ــ الحركات المختلسة.

٢ ــ الحركات القصيرة.

٣ ــ الحركات الطويلة.

٤ ــ الحركات الطويلة الممطولة (أو البالغة فى طولها).

(أ) الحركات المختلسة:

هى فى حقيقتها حركة يستغرق النطق بها زمناً أقل مما يستغرقه النطق بالحركة القصيرة العادية التى نجدها فى مثل قولنا: ضرب فإن كل حركة من الحركات الثلاث «الضمة والكسرة والفتحة فى الفعل السابق تستغرق زمناً فى النطق لا تستغرقه الحركة المختلسة عند نفس المتكلم، وقد عرض ا لنحاة والقراء للحركات المختلسة فى باب الوقف على المتحرك ومذاهب العرب فيه.

ويؤخذ من كلام النحاة أن للعرب عند الوقف على المتحرك مذاهب منها الوقف عليه بالإشمام والسكون والروم والتشديد[٤] ويعنينا من ذلك «الروم»، فإننا نجد فى تعريفه عند النحاة والقراء ما يجعلنا ندرج هذه الحركة من بين أقسام الحركات فى العربية.

فأما النحاة فإن تعريفهم للروم يكتنفه الغموض وعدم الوضوح فى كثير من الأحيان فقد عرفه ابن مالك فى شرح الكافية الشافية بقوله: «هو عبارة عن إخفاء الصوت بالحركة»[٥] وقد نقل ابن عقيل فى المساعد على تسهيل القوائد تعريف ابن مالك المشار إليه وأضاف إلى ذلك قوله: «وقريب منه قول غيره: تضعيف الصوت بالحركة، فتكون حال الحرف متوسطة بين الحركة والسكون، ويدرك الرومَ الأعمى والبصير»[٦] وقد كان القاسم ابن الحسين الخوارزمى أوضح فى تعريفه للروم من هؤلاد فقد كان أقرب فى وصفه إلى حقيقته من الناحية الصوتية فقد قال «وأما الروم فهو: أن تروم التحريك، وحقيقته: أن تأخذ أول صوت فى الحركة»[٧].

وأما القراء فقد كان تعريفهم للروم أوضح من تعريف النحاة وإن كان لا يخلو من غموض كذلك، فقد عرفه مكى بن أبى طالب القيسى بقوله: «الروم: إتيانك فى الوقف بحركة ضعيفة غير كاملة يسمعها الأعمى»[٨] فقد أشار هذا التعريف فى وضوح إلى أنها حركة غير كاملة وإذا أدركنا أن

---

(٤) انظر: الكتاب لسيبويه ٤/١٦٨ فقد عقد باباً بعنوان «باب الوقف على آخر الكلمة المتحركة فى الوصل التى لا تلحقها زيادة فى الوصل وقد بين فيه مذاهب العرب فى الوقف على المتحرك.

(٥) شرح الكافية الشافية لابن مالك ٤/١٩٨٩.

(٦) المساعدة ٤/٣١٣.

(٧) شرح المفصَّل فى صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير ٤/٢١٨.

(٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/١٢٢.

مخرج الحركة لا يتغير بطولها أو قصرها، فوضع أعضاء النطق فيه تأخذ حالة واحدة من حيث وضع مقدمة اللسان أو مؤخرته وإنما الذى يتغير هو المدة التى يستغرقها نطق الحركة، على ما سيبين بعد قليل بإذن الله ـ فإننا بذلك ندرك الفرق الواضح بينه وبين التعريفات السابقة. وقد بيَّن هذا التعريف كذلك أن لها قيمة سمعية إذ يسمعها الأعمى.

وأوضح من ذلك تعريف أبى العباس أحمد بن عمار المهدوى صاحب شرح الهداية فى توجيه القراءات فـ «الروم: إضعاف الصوت بالحركة، وذهاب معظمها والنطق ببعضها، فهو يسمع، ويستوى فى ذلك الأعمى والبصير»[٩] ولعله يقصد بقوله: «إضعاف الصوت بالحركة»: تقليل وقت النطق بالحركة يؤيد ذلك قوله: «وذهاب معظمها والنطق ببعضها».

وما نراه فى تعريفهم للروم من قولهم «يدركه الأعمى» أو «يسمعه الأعمى والبصير» أو «يستوى فيه الأعمى والبصير» إنما هو احتراز من «الإشمام» إذ إنه: «ضم الشفتين وتهيئتهما للنطق من غير استعمال شيء من الصوت، فلا يسمع لكنه يرى ويعرفه البصير دون الأعمى»[١٠] ولهذا قال القاسم الخوارزمى «والفرق بين الروم والإشمام: أن الروم على ما مضى يتبعه صويت، بخلاف الإشمام فإنه يراه البصير ولا يسمع»[١١] وقال مكى ابن أبى طالب القيسى «والإشمام إتيانك بضم شفتيك لا غير، من غير صوت، ولا يفهمه الأعمى بحسه، لأن لرأى العين»[١٢].

(٩) شرح الهداية فى توجيه القراءات ١/ ٧٠، ٧١.
(١٠) شرح الهداية فى توجيه القراءات ١/٧١، ٧٢.
(١١) شرح المفصل فى صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير ٤/٢١٨.
(١٢) الكشف عن وجود القراءات السبع ١/١٢٢.

وكما فرقوا بين الروم والإشمام فى التعريف فقد فرقوا كذلك بينهما فى الخط، فعلامة الروم خط بين يدى الحرف تقول: هذا عُمَرٌ، وهذا أَحْمَدُ. وعلامة الإشمام نقطة فوق الحرف تقول هذا خالدةْ وهذا فَرَجْ[١٣].

وقد وضح ابن عقيل الداعى إلى الروم بأنه للدلالة على حركة الحرف فى الوصل عند الوقف عليه[١٤].

وقد نص ابن يعيش على اختلاس حركة الموقوف عليه عند تعريفه للروم بأنه «صوت ضعيف، كأنك تروم الحركة ولا تتمها، وتختلسها اختلاساً، وذلك مما يدركه الأعمى والبصير لأن فيه صوتاً يكاد الحرف يكون به متحركاً...»[١٥].

وقد أشار مكى بن أبى طالب القيسى إلى أن الكوفيين «يترجمون عن الإشمام، الذى لا يسمع، بالروم، ويترجمون عن الروم، الذى يسمع، بالإشمام، الذى لا يسمع. فكأن الروم عندهم من قولك: رمت فعل كذا، وأنت لم تفعله. والإشمام من قولك: شممت كذا، إذا وجدت ريحه، فذلك أمكن فى وجود الفعل من الروم، فلذلك سموا ما يسمع بالإشمام، وما لا يسمع بالروم»[١٦] وبهذا يُعْرَفُ أن ابن كيسان كان متابعاً للكوفيين فى استعمالهم هذين المصطلحين عندما ذهب إلى أن الإشمام أظهر من الروم مؤيداً رأيه بمعنى الروم والإشمام من ناحية الدلالة المعجمية لكل منهما[١٧].

---

(١٣) انظر الكتاب ١٦٩/٤ وشرح الهداية فى توجيه القراءات ٧٢/١.

(١٤) انظر المساعد ٣١٣/٤ وانظر الكتاب ١٦٨/٤.

(١٥) شرح ابن يعيش على المفصل ٦٧/٩.

(١٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١٢٢/١، ١٢٣.

(١٧) انظر: شرح الهداية فى توجيه القراءات جـ ٧٢/١.

ويبدو أن الكوفيين وابن كيسان أقرب إلى الصواب من البصريين ومن تابعهم فى استعمالهم مصطلحى الروم والإشمام. ذلك أننا إذا جئنا إلى باب النائب عن الفاعل وجدنا النحاة يذكرون أن الفعل المبنى للمجهول إذا كان ماضياً ثلاثياً معتل العين فقد سمع فى فائه ثلاثة أوجه منها الإشمام. وبعد أن بيَّن ابن عقيل الوجه الأول وهو إخلاص الكسر نحو بِيْعَ وقِيْل والثانى وهو إخلاص الضم نحو بُوْعَ وقُوْل[18] قال عن الوجه الثالث الإشمام ـ وهو الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر، ولا يظهر ذلك إلا فى اللفظ ولا يظهر فى الخط وقد قرىء فى السبعة قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ بالإشمام فى «قيل وفى غيض»[19] وبهذا يتضح أن الإشمام إنما هو لفظ بالحركة، يسمعه الأعمى والبصير، وأما ضم الشفتين من غير نطق الحركة فلا يدركه إلا المبصر، لأنه إشارة بحركة الشفتين دون النطق.

ويمكن أن تعد ظاهرة القلقة التى تحدث عنها القراء من أمثلة الحركة المختلسة. فهم يذكرون أن القاف والطاء والباء والجيم والدال، تقلقل حين سكونها والقلقة عندهم هى «اضطراب الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية»[20] وقد ذكر لى الأستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب أن القلقلة ما هى إلا ظاهرة صوتية حقيقتها أن ننطق بحركة مخطوفة بين صامتين أولهما حرف القلقلة[21]. وإلى قريب من هذا ذهب الدكتور إبراهيم أنيس[22].

(١٨) انظر شرح ابن عقيل ٢/١١٤، ١١٥.
(١٩) شرح ابن عقيل ٢/١١٧ والآية ٤٤ من سورة هود.
(٢٠) غاية المريد فى علم التجديد ص ١٤٥.
(٢١) انظر : التطور اللغوى مظاهره وعلله ص ٧٠.
(٢٢) انظر: الأصوات اللغوية ص ١٥٦ وانظر: علم اللغة مقدمة للقارىء العربى ص ١٣٥.

ويؤيد ذلك كلام القراء عن كيفيتها ،وأما كيفية القلقلة فقد اختلف العلماء فيها، فقيل إنها أقرب إلى الفتح مطلقاً وهو الأرجح، وقيل إنها تابعة لما قبلها، فإن كان ما قبلها مفتوحاً نحو (أقرب) كانت قريبة إلى الفتح، وإن كان ما قبلها مكسوراً نحو (إقرأ) كانت قريبة إلى الكسر، وإن كان ما قبلها مضموماً نحو (اقتلوا) كانت قريبة إلى الضم»[٢٣] وهذا الكلام وإن كان وصفاً غير دقيق لتلك الظاهرة فإنه يشير إلى تلك الحركة المختلسة التى تكون بعد الحرف الساكن بقولهم فى كيفيتها: «إنها أقرب إلى الفتح مطلقاً أو إنها تابعة لما قبلها، فتكون قريبة إلى الفتح أو إلى الضم أو إلى الكسر إن فتح، أو ضم، أو كسر، ما قبلها.

وليست العربية وحدها فى وجود الحركة المختلسة فيها، بل إننا لنجد ذلك فى بعض أخواتها من اللغات السامية كالعبرية مثلاً[٢٤].

(ب) الحركات القصيرة:

وأعنى بها الضمة والكسرة والفتحة وهى معروفة لدى نحاة العربية، ويظهر ذلك من خلال كلامهم على علامات الإعراب والبناء وضبط بنية الكلمة، كضمة الدال من: جاء عبدُ الله، وكسرة الباء من: مررت بصاحبِك، وفتحة الدال من: رأيت عبدالله.

وقد أشار ابن جنى إلى أن بعض متقدمى النحاة كان يسمى الضمة بالواو الصغيرة، والكسرة بالياء الصغيرة والفتحة بالألف الصغيرة[٢٥].

(٢٣) غاية المريد فى علم التجويد ١٤٥.

(٢٤) انظر: دروس اللغة العبرية، ربحى كمال ص ٧٥ وكتاب الأساس فى الأمم السامية وقواعد اللغة العبرية ص ٦٦، فقد عرض للحركة المختلسة فيها تحت عنوان: السكون المتحرك وله مواضع معينة، وهو بمقدار نصف حركة.

(٢٥) انظر: الخصائص ٣١٥/٢ وسر صناعة الإعراب ١٧/١ والأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى ١٧٣/١، ١٥٤.

(ج) الحركات الطويلة:

تتحول الحركات القصيرة إلى حركات طويلة إذا زدنا فى الوقت الذى يستغرقه إحداث الحركة القصيرة. ومعنى ذلك أن مخرج الفتحة الطويلة مثلاً هو مخرج الفتحة القصيرة والفرق بينهما إنما هو فى المدة التى تستغرقها كل من الحركتين، فالفتحة الطويلة تستغرق ضعف الزمن الذى تستغرقه الفتحة القصيرة ومعهما تهتز الأحبال الصوتية محدثة صفة الجهر وعمل الشفتين معهما واحد.

وطول الحركة أو قصرها أمر نسبى يختلف من شخص لآخر، لكننا نلاحظ الفرق واضحاً بينهما فى كلام الشخص الواحد. بحيث يصير مدى النطق بالحركة الطويلة مساوياً لمدى النطق بحركتين بسيطتين(٢٦).

وإذا كان رمز الحركات القصيرة يكتب فوق الحرف كرمز الضمة ورمز الفتحة أو تحت الحرف كرمز الكسرة، فإن الحركات الطويلة يرمز لها بحروف تدخل بنية الكلمة من الناحية الخطية. فللفتحة الطويلة الألف وللكسرة الطويلة الياء وللضمة الطويلة الواو. وتعرف عندئذ بحروف المد. كالألف فى قولنا: قام وعاد والياء فى قولنا: سير وبيع والواو فى قولنا: يقول وعجوز ولكن الواو فى نحو «وزن» وفى نحو «القَوَد» و«الخَوَنة»، والياء فى نحو «يئس وفى نحو الصَّيَد»، هما حرفان صحيحان، أو قل صوتان صامتان كما هما كذلك فى نحو: «ليْل» و«يوم».

والمتأمل للتراث النحوى يجد أن نحاة العربية كثيراً ما يعدون حروف المد حروفاً عادية من جنس الأصوات الصامتة. فهذا سيبويه فى حديثه

---

(٢٦) انظر: المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص ٩٦.

عن الإدغام فى باب «عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها....» يذكر أن حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً ويعد منها: الألف والواو والياء(٢٧).

فأما الواو والياء فيحتملان ذلك في نحو: بيت ويوم، وأما الألف فلا تكون إلا حرف مد أو فتحة طويلة كما يقول المحدثون. ويؤكد ذلك بعدُ فيقول: «وتكون خمسة وثلاثين بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين...» فيعد منها النون الخفيفة والألف التى تمال إمالة شديدة وألف التفخيم(٢٨) فقد جعل هذين الألفين من عدة حروف العربية أى صوامتها وهما من جنس الحركات الطويلة.

ومع ذلك فإننا نجد مواضع كثيرة فى الكتاب تشير إلى فهم سيبويه للعلاقة بين حروف المد والحركات القصيرة من ذلك قوله: «وأما واو «عجوز» و«جزور» فإنها لا تثبت (يقصد فى التصغير) وإنما هى مدة تبعت الضمة...»(٢٩) ونجده أحياناً ينص على هذه العلاقة فمن ذلك قوله: «وإنما الحركات من الألف والياء والواو»(٣٠). وقوله: «لأن الضمة من الواو... وإنما الكسرة من الياء»(٣١) ويكاد سيبويه ينطق بما يقوله المحدثون من أن الألف حركة فقد قال: «لأن حرف المد بمنزلة متحرك فى الإدغام ألا تراهم قالوا: رادٌّ وتُمُوْدَّ الثوبُ... ومما يدلك على أن حرف المد بمنزلة متحرك...»(٣٢)

---

(٢٧) انظر: الكتاب ٤/٤٣١.
(٢٨) انظر: الكتاب ٤/٤٣٢.
(٢٩) الكتاب ٣/٤٧٠ وانظر الكتاب ٤/٣٧٢ فقد جعل الألف مدة الفتحة فى فاعلت والواو مدة الضمة فى «بوطر» وانظر: الكتاب ٣/٤٢٦ فقد ذكر أن حروف المد هى التى يمد بها الصوت وهى الألف والواو والياء.
(٣٠) الكتاب ٤/١٠١ وانظر ٢/٢٦٥ فقد نص على أن الفتحة من الألف.
(٣١) الكتاب ٤/١١٤، ١١٥.
(٣٢) الكتاب ٤/٤٣٧، ٤٣٨.

فهو يكاد يقول: إن الألف فى «راد» فتحة طويلة، والواو فى «تمود» ضمة طويلة والمشهور عند النحاة أن حروف المد ساكنة حيث وقعت.

وإذا جئنا إلى المبرد نجده كذلك فى بعض المواضع يشير إلى شيء من علاقة الحركات القصيرة بحروف المد وإن كانت ساكنة عنده على ما هو الشائع عند عامة نحاة العربية.

من ذلك قوله: «فأما الألف فإنها لا تكون أصلاً في اسم ولا فعل، وإنما تكون زائدة أو بدلاً، ولا تكون أبداً إلا ساكنة ولا يكون ما قبلها أبداً إلا منها، أى مفتوحاً، لأن الفتحة من الألف والضمة من الواو والكسرة من الياء(٣٣) وقريب من هذا قوله عن الياء والواو المديتين «لأنه ليس كلمة تخلو منهما ومن الألف أو من بعضهن، وبعضهن حركاتهن»(٣٤).

وقد وصف المبرد حروف المد بأنها حروف «مصوتة» مما يجعله يقارب ما قال به المحدثون من أنها حركات فى مقابل الصوامت أو السواكن. قال: «... فمن حروف البدل حروف المد واللين المصوتة وهى الألف والواو والياء»(٣٥) وقال مرة أخري: «... وذلك أنك إذا صغرت اسماً على خمسة ورابعه أحد الحروف الثلاثة المصوتة وهى الياء والواو والألف فإن جمعه وتصغيره غير محذوف فيهما شيء وذلك قولك فى مثل: دينار دنانير، إذا جمعت، ودنينير إذا صغرت»(٣٦).

---

(٣٣) المقتضب ١/١٩٤ وانظر المقتضب ١/٢٣٣، ١/١٨٣ فقد قال: لأن الكسرة بعض الياء، ٢/٢٥٦ فقد قال وإنما الكسرة من الياء.

(٣٤) المقتضب ١/٣٤٦.

(٣٥) المقتضب ١/١٩٩.

(٣٦) المقتضب ١/٢٥٧.

بل إننا لنجد المبرد ينص صراحة على ما ينص عليه المحدثون من اتحاد مخرج الحركة الطويلة والقصيرة إذا اتحد نوعهما، قال: «فإن أردت التخفيف نحوت بها (يقصد بالهمزة) نحو الألف لأنها مفتوحة، والفتحة من مخرج الألف، فقلت: قرا يا فتى»[37] ينقصه أن يقول وتستغرق الفتحة من المدى والزمن نصف ما تستغرقه الألف.

وقد كان ابن جنى من أبرز القدامى الذين وضحوا علاقة الحركات القصيرة بحروف المد فى مواضع متعددة من كتابيه «سر صناعة الإعراب» و«الخصائص». ومن ذلك قوله: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهى الألف والياء والواو فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهى الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو»[38] و«... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه...»[39] ويؤكد ذلك مرة ثالثة بقوله: «فالألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة...»[40]، ومن اللغويين من أدراك أن حروف المد إنما هى حركات رمز لها فى الخط بالألف والواو والياء، وهو ما سيتضح عند العرض لما فرق فيه بين المعانى بالحركة الطويلة على ما نرى فى صنيع ابن مالك فى: «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» وابن السيد فى «المثلث».

---

(٣٧) المقتضب ٢٩٢/١.

(٣٨) سر صناعة الإعراب ١٧/١ وانظر شرح ابن يعيش ١٤١/٩ فى كون الحركات أبعاض حروف المد.

(٣٩) سر صناعة الإعراب ١٨/١ وانظر: الخصائص ٣١٥/٢، ١٢١/٣.

(٤٠) سر صناعة الإعراب ٢٣/١ وانظر: ٢٧/١.

(د) الحركات البالغة فى الطول (الحركات الطويلة الممطولة) :

عقد ابن جنى باباً فى الخصائص لمطل الحركات وآخر لمطل الحروف[٤١] وقد نقل السيوطى معظم هذين البابين فى الأشباه والنظائر فى الفائدة الثامنة فى كلامه عن الحركات، بعنوان: «مطل الحركات ومطل الحروف»[٤٢].

فأما مطل الحركات فيعنون به إطالة الحركة السابقة من فتحة أو ضمة أو كسرة فينشأ عن ذلك حركة طويلة رمزها الحظى حروف المد الثلاثة الألف والواو والياء. ويدخل هذا الباب تحت القسم السابق: «الحركات الطويلة».

وأما القسم الثانى وهو مطل الحروف، فيعنون بالحروف هنا حروف المد التى هى حركات طويلة فى الأصل، فإذا طالت عن ذلك تولدت حركات بالغة الطول. قال ابن جنى فى أول باب مطل الحروف: «والحروف الممطولة هى الحروف اللينة المصوتة، وهى الألف والياء والواو. اعلم أن هذه الحروف أين وقعت، وكيف وقعت، وكيف وجدت (بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضهم غير مدغمات) ففيها امتداد ولين، نحو: قام، وسير به، وحوت، وكوز، وكتاب، وسعيد، وعجوز. إلا أن الأماكن التى يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة. وهى أنه تقع بعدها ـ وهى سواكن توابع لما هو منهن وهو الحركات من جنسهن ـ الهمزة أوالحرف المشدد أو أن يوقف عليها عند التذكر»[٤٣].

---

(٤١) انظر الخصائص ٣/١٢١ وما بعدها، ٣/١٢٤ وما بعدها.

(٤٢) الأشباه والنظائر فى النحو ١/١٦٢ ـ ١٦٦ .

(٤٣) الخصائص ٣/١٢٤، ١٢٥ وانظر الأشباه والنظائر ١/١٦٣ .

فهو يذكر أن حروف المد الثلاثة فيها امتداد ولين كما فى كتاب «وسعيد» و«عجوز»، ولكنها تتعرض لمزيد من الطول وتمكن المدة فى مواضع معينة ذكر منها ثلاثة فأما الموضع الأول[٤٤] : فإن تقع الهمزة بعد حروف المد، نحو: «كساء» و«خطيئة» و«مقروءة» فكل حرف مد فى ذلك يمثل حركة طويلة بالغة الطول بسبب مجىء الهمزة بعده.

وأما الموضع الثانى[٤٥] فإن يقع بعد أحد حروف المد حرف مشدد وذلك نحو قولهم: شابّة ودابّة، وهذا قضيب بكر[٤٦] فى قضيب بكر بعد سلب حركة الباء من قضيب وإدغام بائه فى الباء بعدها، وقد تُمُوْدَّ الثوبُ، وقد قُوْصَّ بما عليه.

والمد فى هذه المواضع ينشىء حركة طويلة بالغة فى الطول لكن ابن جنى يلاحظ أن طول الحركة هنا يكون أوفى وأبلغ مع الألف، يليها فى ذلك الياء ثم الواو. وقد عبر عن ذلك بقوله: «فكلما رسخ الحرف فى المد كان حينئذ محفوظاً بتمامه، وتمادى الصوت به، وذلك الألف ثم الياء ثم الواو. فشابة إذا أو فى صوتا وأنعم جرساً من أختيها، وقضيب بكر أنعم وأتم من قوص به، وتُمُوْدَّ ثوبُه»[٤٧] وكلام ابن جنى هنا يعنى بصراحة ووضوح أن هذه الحركة البالغة يختلف طولها، فالفتحة الطويلة البالغة أو فاها ثم الياء البالغة فى طولها ثم الواو. وسنرى أن علماء التجويد كانوا أدق من اللغويين فى تحديد مدى وطول هذه الحركات.

---

(٤٤) انظر الخصائص ٣/١٢٥ والاشباه ١/١٦٣.

(٤٥) إنظر الخصائص ٣/١٢٦.

(٤٦) تقابل هذه الصورة الإدغام الكبير فى رواية السوسى، ففيه تسقط حركة الحرف الأول ثم يدغم فى مماثله.

(٤٧) الخصائص ٣/١٢٦.

ونظراً لما تتطلبه الحركة الطويلة البالغة فى طولها من جهد وتمكن عند مدها والإتيان بها فى هذه المواضع المشار إليها، فإن بعض العرب لا يقوى على ذلك فيهمز الألف التى هى أطول الحركات البالغة فيقول فى: احمار وشابة ودابة: احمأر وشأبة ودأبة وعليه جاء قول كثير(٤٨).

إذا ما العوالى بالعبيط احمأرت

وقوله:

وللأرض أمَّا سُودُها فتجلَّلت بياضاً وأمَّا بِيْضُها فاسوأَدَّتِ

وإذا نظرنا إلى مسلك بعض العرب هذا فى ضوء نظام المقاطع فى اللغة العربية عرفنا أن نحو «احمارت» و«اسوادت» ينشىء مقطعاً غير مسموح به فى العربية إلا فى موضعين(٤٩) هو المقطع الرابع من أنواع المقاطع فى العربية وهو:

(ص + ح طـ + ص) = م + ا رْ فى احمارت

(و = و + ا دْ فى اسوادت) فيتحول هذا المقطع بهمز الألف إلى مقطعين مسموح بهما فى العربية فى حالة الوصل هما (ص + ح ق +ص + ح ق + ص = مَ + أَ رْ فى : احمأرت، = وَ + أَ دْ فى أسوأدت).

وأما الموضع الثالث من مواضع الحركة البالغة فى الطول فإنما يقع ذلك عند التذكر(٥٠) فتطول الحركة الطويلة عندئذ لتتحول إلى حركة بالغة

---

(٤٨) انظر الخصائص ٣/١٢٦، ١٢٧ وقد استشهد بقول كثير على همز الألف التى هى رمز الحركة الطويلة البالغة فى هذا الموضع.

(٤٩) انظر: فى نظام المقاطع فى العربية: المدخل إلى علم اللغة العربية د. رمضان عبدالتواب ص ١٠٢.

(٥٠) انظر الخصائص ٣/١٢٨.

فى الطول كقولك: أخواك ضربا، فتمد الألف من «ضربا» وأنت تتذكر المفعول به، وتطول الواو كذلك فى نحو: أخوتك ضربوا، وأنت تتذكر المفعول به أو الظرف تقصد: ضربوا زيداً، أو ضربوا يوم الجمعة. ومثل ذلك مطل الياء فى قولك: اضربى... فتطول الياء وأنت تتذكر المفعول به تقصد: أضربى ولدك.

ويمكن أن يعد من هذا النوع تطويل الحركة فى باب الندبة إذ إن المندوب متفجع عليه أو متوجع منه. تقول فى الأول: «وازيداه» و«واغلامهوه» و«اغلا مكيه» وفى الثانى نقول: «واظهراه» و«واظهرهُوه» و«واظهركيه».

وقد أوضح ابن جنى أن العرب تأتى فى الوقف بهاء السكت بعد ألف الندبة ليتمكنوا من إطالة الصوت بمطل الألف أو الواو أو الياء فى نحو: «وازيداه» و«واغلا مهوه» و«اغلا مكيه» وقد ربط بين الندبة والتذكر فجعل المعنى الجامع بينهما هو قوة الحاجة إلى إطالة الصوت فى الموضعين(٥١). وقد عالج بعض اللغويين المحدثين مطل الحركة وعدوها صورة من صورة التنغيم(٥٢) والنبر(٥٣) فى اللغة العربية.

وإذا جئنا إلى القراء لننظر فى قواعد التجويد والأداء الصوتى للقرآن الكريم فإننا نلمس أن القراء كانوا أدق من اللغويين فى تحديد مقدار الحركة فى باب «المد وأنواعه» ووحدة القياس الزمنى المستخدمة عندهم هى المدى

---

(٥١) انظر: الخصائص ٣/١٢٩.

(٥٢) انظر من وظائف الصوت اللغوى فصل: اللغة العربية وظاهرة التنغيم فقد عالج باب «الندبة» مستشهداً بنصوص من كتب النحو القديمة تؤيد ما ذهب إليه من أنها لون من ألوان التنغيم فى اللغة العربية ص ٥٩.

(٥٣) انظر: مدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص ١٠٥. ١٠٦.

الذى يستغرقه بسط الإصبع أو قبضها بحالة متوسطة ليست بسرعة ولا بتأن(٥٤) وهى وحدة قياس تعتمد على الدربة والمارسة على يد شيخ. وباب «المد» فى القراءات القرآنية ما هو إلا ضرب من الأداء الصوتى يظهر لنا طول الحركة فى سياقاتها المختلفة أو قل فى نوع المد كما يقول القراء.

وحروف المد عند القراء هى الألف ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً والواو إذا كانت ساكنة بعد ضم، والياء إذا كانت ساكنة بعد كسر وهى المجموعة فى كلمة «نُوحيها»(٥٥) وهى عينها الرموز الخطية للحركة الطويلة عند اللغويين.

وينقسم المد إلى قسمين رئيسين: المد الأصلى ويسمى كذلك بالمد الطبيعى، والمد الفرعى(٥٦) فأما المد الطبيعى أو الأصلى: فهو يقابل القسم الثالث من أقسام الحركات التى سبق أن أشرت إليه وهو: «الحركات الطويلة» ومقدار هذا النوع عندهم حركتان، أى: المدى الذى يستغرقه قبض إصبع أو بسطها مرتين. ويعرف ذلك عند القراء «بقصر المد» ويشترط القراء لوجود هذا النوع من المد، وجود أحد حروف المد الثلاثة وليس قبلها همزة أو بعدها همز أو سكون، كالمد فى: «قالوا» و«يُوصيكم».

وقد سبق القول إن الحركة الطويلة تستغرق ضعف المدى الذى تستغرقه الحركة ا لقصيرة، وإذا كان المد الطبيعى أو الأصلى يستغرق مدى حركتين، فإن الحركة القصيرة على هذا تستغرق مدى حركة واحدة من حركات الإصبع قبضاً أو بسطاً.

---

(٥٤) انظر: المهذب فى القراءآت العشر ١/٣٩ وغاية المريد فى علم التجويد ص٩٣ وقواعد التجويد والإلقاء الصوتى ص ٧٧.

(٥٥) انظر: غاية المريد فى علم التجويد ص ٩٢.

(٥٦) انظر فى أقسام المد: غاية المريد ص٩٣ وما بعدها.

وأما المد الفرعى: فهو يقابل فى معظم صور أدائه القسم الرابع من أقسام الحركات فى العربية وهو الحركة البالغة فى الطول وهو مد زائد على المد الأصلى لأحد سببين: الهمز والسكون وأنواعه خمسة:

١ ـ المد المتصل.

٢ ـ المد النفصل.

٣ ـ مد البدل.

وهذه الأنواع الثلاثة سببها الهمز.

٤ ـ المد العارض للسكون.

٥ ـ المد اللازم.

وهذان النوعان سببهما السكون(٥٧).

فأما المد المتصل فإنه ينشأ بأن يكون حرف المد والهمز فى كلمة واحدة مثل: «الصائمين» و«قروء» و«هنيئا» والقراء يتفقون على وجوب زيادة مده عن مقدار المد الأصلى. وتتراوح مراتب أدائهم لهذا المد بين فويق القصر والتوسط وفويق التوسط والإشباع(٥٨).

وقد أوضح صاحب المهذب مقدار المد بكل مرتبة من مراتب الأداء الصوتى هذه، فالقصر مقداره حركتان، وفويق القصر مقداره ثلاث حركات، والتوسط مقداره أربع حركات، وفويق التوسط مقداره خمس حركات والإشباع مقداره ست حركات(٥٩) من وحدة القياس المشار إليها عندهم قبل ذلك.

---

(٥٧) انظر: غاية المريد ص ٩٥.

(٥٨) انظر: المهذب فى القراءات العشر ص ١/٣٩.

(٥٩) انظر: المهذب ص ١/٣٨.

وتمثل كل مرتبة من مرتبة الأداء هذه طول الحركة وكلُها يُعَدُّ من الحركات البالغة فى الطول أو الطويلة طولاً بالغاً وإن اختلف طولها بحسب المدى الذى تستغرقه كل مرتبة منها.

وأما المد المنفصل فينشأ بأن يكون حرف المد فى كلمة والهمزة فى كلمة أخرى كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[٦٠] و﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[٦١] و﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[٦٢] وتتراوح مراتب الأداء الصوتى لهذا المد بين القصر وفويق القصر والتوسط وفويق التوسط والإشباع[٦٣].

وأما مد البدل فينشأ بأن يكون الهمز قبل حرف المد مثل (ءامن، إيمان، وأوتوا، ولجميع القراء فيه القصر وهو يوافق الحركة الطويلة فى كلام اللغويين المحدثين، وللأزرق[٦٤] فيه: القصر والتوسط والإشباع[٦٥].

وثلاثة أنواع المد هذه تنشىء حركات بالغة فى الطول ويقابل المد المتصل والمنفصل الموضع الأول من كلام ابن جنى عن مطل حروف المد الذى ينشىء الحركات البالغة فى الطول بسبب وقوع الهمز بعد حرف المد. وأما النوع الثالث وهو مد البدل فيوافق الحركات الطويلة فى مرتبة القصر، ويتحول إلى حركة بالغة الطول تتراوح بين التوسط والإشباع فى قراءة الأزرق.

وأما المد العارض للسكون فينشأ بأن يقع بعد حرف المد أو حرف اللين ساكنٌ عارضٌ لأجل الوقف. ومن أمثلته: الرحمن[٦٦]، «العالمين»[٦٧]

---

(٦٠) سورة الكوثر آية (١).
(٦١) سورة التحريم آية (٦).
(٦٢) سورة الذاريات آية (٢١).
(٦٣) انظر: المهذب فى القراءات العشر ١/٣٨.
(٦٤) الأزرق أحد وراة «ورش» توفى ٢٤٠. انظر: المهذب ١/١٤.
(٦٥) انظر: المهذب فى القراءات العشر ١/٣٩.
(٦٦) سورة الرحمن آية (١).
(٦٧) سورة الفاتحة آية (٢).

و«المصلحون»[٦٨] ويكفى أن نشير هنا إلى أن هذا المد يتراوح فى أدائه الصوتى بين القصر والتوسط والإشباع فى الأداء الصوتى لرواية حفص عن عاصم[٦٩] فينشأ عن التوسط وفى إشباعه حركات بالغة الطول من القسم الرابع من أقسام الحركات فى العربية، ويختلف طولها ففى التوسط تستغرق الحركة البالغة الطول ضعف ما تستغرقه الحركة الطويلة من الزمن. وفى الإشباع تستغرق ثلاثة أضعاف ما تستغرقه الحركة الطويلة من الزمن.

وأما المد اللازم فينشأ بأن يأتى بعد حرف المد أو اللين ساكن لازم وصلاً أو وقفاً سواء كان ذلك فى كلمة أو حرف، ومن أمثلته: «الحاقة»[٧٠] و«ءالآن»[٧١] و«الم»[٧٢] و«كعيعص»[٧٣] والشائع فى الأداء الصوتى لهذا النوع فى رواية حفص الإشباع بمقدار ست حركات[٧٤] فينشأ عنه حركات بالغة الطول تستغرق من الزمن ثلاثة أضعاف ما تستغرقه الحركة الطويلة.

وهكذا نرى أن القراء كانوا أدق من اللغويين فى تقدير طول زمن المد بما وضعوه لأنفسهم من «وحدة قياس» تقدر بالزمن الذى يستغرقه بسط إصبع أو قبضها، وبوصفهم لمراتب الأداء الصوتى من حيث القصر أو فويقه والتوسط أو قويفه والإشباع.

ثانياً: المقاطع اللغوية:

يختلف اللغويون فى تعريف المقطع اللغوى ويمكن القول بأنه: «كمية من الأصوات، تحتوى على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف

(٦٨) سورة البقرة آية (٥).
(٦٩) انظر: غاية المريد فى علم التجويد ص ١٠٣.
(٧٠) سورة الحاقة آية (١).
(٧١) سورة يونس آية (٥١)
(٧٢) سورة البقرة آية (١).
(٧٣) سورة مريم آية (١).
(٧٤) انظر: غاية المريد فى علم التجويد ص ١٠٦ وما بعدها.

عليها، من جهة نظر اللغة موضوع الدراسة»(٧٥). وتختلف اللغات طبقاً لتعريف المقطع من حيث الصوت الذى يمكن أن يمثل بداية المقطع الصوتى، فمن اللغات ما يجوز فيها أن يكون المقطع بادئاً بحركة، ومنها ما لا يبدأ فيه المقطع إلا بصوت صامت، كالعربية الفصحى، فكل مقطع فيها لابد أن يكون مبتدئاً بصوت صامت.

وتنحصر أنواع المقاطع فى العربية الفصحى فى خمسة أنواع هى(٧٦):

* **المقطع الأول:**

قصير مفتوح، ويتكون من صوت صامت وحركة قصيرة، نحو: «كَ» و«تَ» مشكلة بالفتحة، و«كُ» و«تُ» مشكلة بالضمة و«كِ» و«تِ» مشكلة بالكسرة. وإذا رمزنا للصوت الصامت بـ (ص) وللحركة القصيرة بـ (ح ق) فمن الممكن أن نرمز لهذا المقطع بالرمز (ص + ح ق).

* **المقطع الثانى:**

طويل مفتوح، ويتكون من صوت صامت وحركة طويلة مثل: «قا» و«تا» و«مو» و«طو» و«بى» و«لى» وأمثلته مجموعة فى قولك: «نُوحيها». فإذا رمزنا للحركة الطويلة بـ (ح طـ) فإن رمز هذا المقطع يكون: (ص+ح طـ).

---

(٧٥) المدخل إلى اللغة د. رمضان عبدالتواب ١٠١.

(٧٦) انظر فى أنواع المقاطع فى العربية الفصحى: المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبدالتواب ص ١٠١، ١٠٢ والأصوات اللغوية ص ١٥٩ ـ ١٦٥. والتطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه ص ٦٣، ٦٤.

* **المقطع الثالث:**

طويل مغلق حركته قصيرة، ويتكون من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة. ومن الممكن أن نرمز له بهذا الرمز: (ص+ح ق + ص) مثل: «مِن» و«عَنْ» و«إِنْ» و«لَمْ».

* **المقطع الرابع:**

طويل مغلق حركته طويلة، مثل: «بابْ» و«تابْ» و«قامْ» في حالة الوقف. ويرمز له بالرمز: (ص+ح ط + ص). وهذا المقطع غير جائز في العربية الفصحى إلا في موضعين؛ الأول: أن يكون في آخر الكلمة في حالة الوقف. والثاني أن يكون في وسطها بشرط أن يكون المقطع التالي له مبتدئاً بصامت يماثل الصامت الذى ختم به المقطع السابق. كالمقطع الصوتي (ضالْ) ـ بسكون اللام ـ من قولنا: الضالّين. و(هامْ) ـ بسكون الميم ـ من مدهامّتان. وتُحوِّل اللغةُ هذا المقطع إذا نشأ اشتقاقياً في غير هذين الموضعين إلى مقطع من النوع الثالث، مثال ذلك الفعل «يكون» عند الجزم ينشأ المقطع الرابع (كون) من (لم يكون) فيتحول إلى مقطع من النوع الثالث بتقصير الحركة فيصير (كن) ويصير الفعل عندئذ (لم يكن) ثم عمم ذلك في حالة الوصل والوقف طرداً للباب على وتيرة واحدة.

* **المقطع الخامس:**

مقطع زائد في الطول، ويتكون من صامت وحركة قصيرة ثم صوتين صامتين متواليين، مثل: «أخت» و«أَهْل» و«بيت» في حالة الوقف، ويرمز له بالرمز: (ص + ح ق + ص + ص).

والمقاطع الثلاثة الأولى شائعة في اللغة لا قيد عليها، غير أن اللغة تكره توالي أربعة مقاطع من النوع الأول فتحول الثاني والثالث منها إلى

مقطع من النوع الثالث نحو: «ضرب» عند إسناده إلى تاء الفاعل، فالأصل فيه : (ضَرَبَتُ) فيتحول إلى (ضَرَبْتُ) بتحويل المقطع الثانى والثالث من الأصل إلى مقطع واحد من النوع الثالث. والمقطعان الرابع والخامس لا يقعان فى الفصحى إلا فى الحالات الخاصة التى ذكرت.

الفرق بالحركة بين المعانى المختلفة فى العربية

يتجلى ذلك فى مواضع كثيرة منها:

أولاً: فى الضمائر:

يقسم نحاة العربية الضمير إلى بارز ومُستتر ويقسمون البارز إلى منفصل ومتصل. ويعد الضمير البارز بأقسامه المختلفة صورة من صور الفرق بالحركة بين المعانى المختلفة فى العربية. فالضمير البارز ينقسم إلى منفصل ومتصل. والمنفصل ينقسم إلى ضمير رفع وضمير نصب.

فضمائر الرفع البارزة المنفصلة هى: أنا ونحن، أنت وأنتِ وأنتما وأنتم وأنتن وهو وهى وهما وهم وهنَّ. وإذا نظرنا إلى الضمرين أنتَ وأنتِ (ضمير المفرد المذكر المخاطب والمفردة المخاطبة) وجدنا أنهما يتحدان مقطعياً، فكل منهما مكون من مقطعين متماثلين فى الصوامت وطول الحركات (المقطع الأول «أنْ» والثانى هو التاء المحركة بالفتحة فى الضمير الأول والكسرة فى الضمير الثانى). ووجدنا كذلك أن اللغة قد فرقت بين المخاطب والمخاطبة بتغيير حركة المقطع الثانى لتكون حركة الفتحة مع التاء فى الضمير الأول دالة على المخاطب وفى الضمير الثانى تأتى الكسرة مع التاء ليكون الضمير دالاً على المفردة المؤنثة المخاطبة.

وإذا نظرت إلى الضمير أنتما وأنتم وجدت أن الفرق بينهما يكمن فى حركة الميم فالضمير الأول حركة الميم فيه هى الفتحة الطويلة ورمزها الخطى الألف وإذا أسقطت هذه الحركة من هذا الضمير نشأ الضمير الثانى لجماعة المخاطبين أنتم، فكأن الفتحة الطويلة كانت وسيلة اللغة للتفريق بين الاثنين وجماعة المخاطبين.

وإذا نظرنا إلى هما وهم، وجدنا أن حركة ميم ضمير المثنى بالفتحة الطويلة هى الفرق بين الضميرين، فإذا أسقطت حركة الميم من الضمير الأول، بدا على نفس صورة ضمير جماعة الغائبين، فكانت الحركة الطويلة هنا وسيلة اللغة للتفريق بين الضميرين.

وإذا نظرنا إلى القسم الثانى من الضمائر المنفصلة البارزة وهى ضمائر النصب وجدنا أنها: إياى وإيانا وإياك وإياك وإياكما وإياكم وإياكن. وإياه وإياها وإياهما وإياهم وإياهن. ويذكر النحاة أن «إيا» هى الضمير وأما ما يلحق به فوظيفته أن يحدد ويعين المقصود بهذا الضمير. ويمكننا أن نلمح كذلك أثر الفرق بالحركة بين المقصود بهذا الضمير فيما يلى:

«إياك» و«إياك» ضمير المفرد المذكر المخاطب والمفردة المخاطبة فتركيبهما المقطعى واحد، لكنهما يختلفان فى نوع حركة المقطع الأخير (ك) فبفتحها يعنى الضمير المفرد المذكر المخاطب وبكسرها يعنى الضمير المفردة المخاطبة.

وإذا نظرنا إلى الضميرين: إياكما وإياكم وجدنا أن فرق ما بين الضميرين هو تحريك ميم ضمير المثنى بالفتحة الطويلة فلو أسقطت اتحد الضميران فى بنيتهما المقطعية ولأدى ذلك إلى التباس الضميرين، فكانت الفتحة الطويلة وسيلة من وسائل اللغة للفرق بين المعنيين.

وإذا جئت إلى ضمير الغائب وجدت الضميرين «إياه» و«إياها» متحدين فى تكوينهما من حيث الصوامت والحركات فيما عدا حركة الهاء فيهما. ففى ضمير الغائب (إياه) نجد أن حركة الهاء هى الضمة. وبتغيير هذه الحركة إلى الفتحة الطويلة ينتج الضمير الثانى (إياها) فيكون فرق ما بين الضميرين هو تغيير نوع الحركة مع تغيير كميتها.

وأما الضميران «إياهما» و«إياهم»: فيمكن أن يقال فيهما ما قيل فى «إياكما» و«إياكم».

وإذا نظرنا إلى الضمائر المتصلة وجدنا أن النحاة يقسمونها إلى ضمائر رفع وضمائر نصب وضمائر جر. ومن بين ضمائر الرفع البارزة المتصلة يمكن أن نلمح أثر الحركة فى الفرق بين المعانى فى تاء الفاعل بفروعها المختلفة فهى للمتكلم مضمومة تقول: «كتبتُ» وللمخاطب مفتوحة تقول: «كتبتَ» وللمخاطبة مكسورة فتقول: «كتبتِ».

فالضمير فى تلك المواضع واحد هو تاء الفاعل وتغيير الحركة هو عماد اللغة ووسيلتها فى تغيير المقصود بهذا الضمير فإذا تلوتها بضمة كانت للمتكلم وإذا تلوتها بفتحة كانت للمخاطب وإذا تلوتها بكسرة كانت للمخاطبة(١).

وقد ذكر الأستاذ الدكتور محمود حجازى أنه بمقارنة اللغات السامية نجد أن الضمير الشخصى للمتكلم يختلف من لغة لأخرى فهو فى بعض اللغات يتكون من (الكاف) كالأكادية والحبشية، وفى لغات أخرى يتكون من (التاء) كالعربية. ومن الراجح أن اللغة السامية الأولى كانت تستخدم الكاف للمخاطب وأن العربية والعبرية خالفتا اللغة السامية الأم فى هذا الجانب، فبدلاً من أن تستخدم العربية الكاف للمخاطب والتاء للمتكلم استخدمت التاء لهما وميزت بعد التاء بالضمة والفتحة والكسرة بين الصيغ المختلفة(٢).

---

(١) فى باب المعرفة والنكرة من المقتضب سرد المبرد الضمائر بصورة يؤخذ منها أثر الفرق بالحركة بين الضمائر من نحو أنتَ وأنتِ وضربتَ وضربتِ، وضربكَ وضربكِ انظر المقتضب ٤/٢٧٩ تحقيق الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٨.

(٢) انظر: علم اللغة العربية أ. د. محمود فهمى حجازى ص ٢٠٤، ٢٠٥ وانظر أسس اللغة العربية أ. د. حجازى ص ٢٠٩.

وإذا أردت الاثنين قلت: ضربتما وإذا أردت جماعة المخاطبين قلت: ضربتم، وإذا نظرت إلى الضميرين لتحدد وصفياً ما بينهما من فروق فى هذين الفعلين السابقين وجدت أن فرق ما بينهما هو فتحة طويلة تلى الميم عند إرادة المثنى، وإذا اسقطت هذه الفتحة الطويلة التى يرمز لها فى الخط بالألف ـ نتج الضمير الثانى لجماعة المخاطبين.

وإذا نظرت إلى ثلاث الجمل التالية: الطالب كتب درسه، والطالبان كتبا دروسهما والطلاب كتبوا دروسهم. وجدت أن الفعل فى الجملة الأولى جاء مجرداً من الضمير، وهو مبنى على الفتح وأن الفعل في الجملة الثانية لحقته الفتحة الطويلة (وهى ما يسمى بألف الاثنين) وفى الجملة الثالثة لحقت الفعل الضمة الطويلة (وهى ما يسمى بواو الجماعة).

فمن الناحية الصوتية نجد فروقاً تبعتها فروق دلالية، فمجىء الفعل على الأصل يعنى أنه مسند للمفرد المذكر الغائب، وإلحاق الفتحة الطويلة به يعنى أنه مسند إلى اثنين غائبين وإلحاق الضمة الطويلة به يعنى أنه مسند إلى جماعة الغائبين.

وإذا نظرنا إلى الجملتين التاليتين:

نحن ضربنا

والنسوة ضربنَ

وجدنا أن الفعلين يتفقان فى البنية المقطعية من حيث المقطع الأول (ض) والثانى (رب) ويختلفان فى المقطع الثالث (نا) فى الجملة الأولى وفى الجملة الثانية (ن) وإذا تأملنا المسند إليه فى الجملتين وجدناه (نا) لجماعة المتكلمين فى الجملة الأولى ونون النسوة فى الجملة الثانية، ووجدنا أن المسند إليه مقطع فى كليهما صامته النون المحركة بالفتحة الطويلة فى

الجملة الأولى وبالفتحة القصيرة فى الجملة الثانية. وكأن الفرق فى كمية حركة المقطع الأخير كان وسيلة اللغة فى التفريق بين جماعة المتكلمين وجماعة الغائبات.

وإذا أنعمنا النظر فى ضمائر النصب البارزة المتصلة وهى عينها ضمائر الجر البارزة المتصلة يمكن أن نلمح أثر الحركة فى الفرق بين المعانى المختلفة فيما يلى:

فى نحو: عرفتَك وعرفتكِ ومررت بكَ ومررت بكِ نجد أن الكاف هى الصامت المكون للضمير، أو بعبارة أخرى نجد أن الضمير فى هذه الجمل عبارة عن مقطع واحد مكون من صامت + حركة قصيرة وهو ما يعرف بالمقطع القصير المفتوح (ص + ح ق). وقد وضح من الجمل السابقة أن الحركة تلعب دوراً أساسياً فى تعيين المقصود بالضمير يستوى فى ذلك ضمير النصب وضمير الجر، فإذا كانت حركة المقطع الفتحة القصيرة كان الضمير للمفرد المخاطب، وإذا كانت حركة المقطع الكسرة القصيرة كان الضمير للمفردة المخاطبة. وفى نحو: سمعتكما وسمعتكم، وهذا كتابكما وكتابكم نجد أن الفرق بين ضميرى النصب والجر هو الفتحة الطويلة للمثنى، فلو أسقطت هذه الحركة نتج ضمير جماعة المخاطبين.

وقد فطن سيبويه إلى قيمة الحركة فى الفرق بين بعض الضمائر نلمح شيئاً من ذلك فى الباب الذى عقده بعنوان: «هذا باب الكاف التى هى علامة المضمر» قال: «اعلم أنها فى التأنيث» مكسورة وفى المذكر مفتوحة وذلك قولك للمرأة: رأيتكِ، ورأيتكَ للرجل. والتاء التى هى علامة الإضمار كذلك، تقول: ذهبتِ للمؤنث؛ وذهبتَ للمذكر»(٣).

---

(٣) الكتاب ٤/١٩٩ تحقيق أ. عبدالسلام هارون طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وقد ذهب سيبويه إلى أبعد من هذا، فإذا كان قد عد الحركة فى النص السابق للفصل بين المذكر والمؤنث، فقد ذهب إلى تأكيد هذا وإلى التماس ما يؤكد وجوده عند الوقف فى لهجات العرب فقال: واعلم أن ناساً من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث. وإنما ألحقوا السين لأنها قد تكون من حروف الزيادة في استفعل. وذلك أعْطيتكس، وأكرمكس فإذا وصلوا لم يجيئوا بها، لأن الكسرة تبين».

«وقوم يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة فى الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان وذلك قولهم: أعطيتكش، وأكرمكش، فإذا وصلوا تركوها وإنما يلحقون السين والشين فى التأنيث لأنهم جعلوا تركها بيان التذكير»(٤).

وإذا كانت الحركة القصيرة هى فرق ما بين المذكر والمؤنث فى نحو قولك للرجل: عرفتكَ وللمرأة: عرفتكِ فقد نجد أن بعض العرب يبالغ فى هذه الحركة فيجعلها حركة طويلة إذا جاء بعد كاف الضمير هاء الضمير. قال سيبويه: «واعلم أن ناساً من العرب يلحقون الكاف التى هى علامة الإضمار إذا وقعت بعدها هاء الإضمار. ألفاً فى التذكير، وياء فى التأنيث، لأنه أشد توكيداً فى الفصل بين المذكر والمؤنث... وذلك قولك: «أعطيكيها وأعطيكيه للمؤنث وتقول فى التذكير: أعطيكاه وأعطيكاها»(٥).

ثانياً: فى بعض الأساليب والظواهر:

١- فى توكيد الفعل بالنون:

للتوكيد فى العربية أساليب مختلفة منها إلحاق نون التوكيد بالفعل المضارع وفعل الأمر. وأما الماضى فيمتنع توكيده بالنون، وما جاء منه

(٣) الكتاب ٤/١٩٩ تحقيق أ. عبدالسلام هارون طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٤) الكتاب: ٤/١٩٩، ٢٠٠ وتعرف الحالة الأولى بظاهر «الكسكسة» والثانية بظاهرة «الكشكشة» وهما من ألقاب اللهجات العربية، انظر فى هاتين الظاهرتين وفى تفسيرهما: فصول فى فقه العربية ص ١٤٠ ـ ١٤٩ وفى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٢١ ـ ١٢٥ ودراسات فى فقه اللغة د. صبحى ص ٦٧ ـ ٦٩.

(٥) الكتاب ٤/٢٠٠.

مؤكداً بالنون فمؤول، كقوله صلى الله عليه وسله: «فإما أدركنَّ أحدا منكم الدجال»(٦).

وقوله:

دامَنَّ سعدُكِ إنْ رحمتِ مُتَيَّما لولاك لم يكُ للصبابة جانحا

فالفعل فيهما مستقبل معنى وإن كان بصيغة الماضى.

تقول:

والله لتخرجَنَّ يا زيد فالفعل هنا مسند إلى المفرد المخاطب

وتقول:

والله لتخرجِنَّ يا هند(٧) فالفعل هنا مسند إلى المفردة المخاطبة

والله لتخرجُنَّ ياقوم(٨) والفعل هنا مسند إلى جماعة المخاطبين

وإذا أنعمنا النظر فى ثلاث الجمل المذكورة آنفاً وجدنا أن البنية المقطعية للفعل فيها واحدة من الناحية الوصفية ومع ذلك تختلف دلالة

(٦) تهذيب التوضيح الجزء الثانى ص ٥٩ للمرحوم أحمد مصطفى المراغى والمرحوم محمد سالم على الطبعة التاسعة بلا تاريخ.

(٧) الأصل: لتخرجين ثم ألحقت نون التوكيد بالفعل فالتقت ثلاث نونات حذفت النون الأولى وهى نون الرفع لتوالى الأمثال ثم حذفت ياء المخاطبة لالتقاء الساكنين على حد تعبير النحاة أو بمعنى آخر قُصرت حركة الجيم لنشوء مقطع غير مسموح به فى الوصل «جين» (ص + ح ط + ص) فتلجأ اللغة إلى تحويله إلى مقطع مسموح به فى وصل الكلام فيتحول إلى (جن) (ص + ح ق + ص) بمعنى آخر تقصر حركة المقطع ويحذف رمزها الحظى وهو الياء وتبقى الكسرة دليلاً على الياء المحذوفة أو على نوع الحركة الطويلة المقصرة فيصير الفعل: والله لتخرجن ياهند.

(٨) الأصل: لتخرجون ثم ألحقت بالفعل نون التوكيد فتحذف نون الرفع لتوالى الأمثال ثم تحذف واو الجماعة لالتقاء الساكنين على حد ما ذكر مع ياء المخاطبة أو تقصر الحركة الطويلة ويحذف رمزها الحظى لنشوء مقطع غير مسموح به فى الوصل (جون) ويتحول إلى (جن) فيصير الفعل: والله لتخرجن يا قوم.

الفعل فيها من ناحية الإسناد. لاختلاف حركة المقطع قبل الأخير (جنْ) فكل فعلٍ مكون من البنية المقطعية التالية:

١ـ لَ = ص + ح ق

٢ـ تخْ = ص + ص + ص ق + ص

٣ـ رُ = ص + ح ق

٤ـ جن = ص + ح ق + ص

٥ ـ نَ = ص + ح ق

والمقطع الرابع (جن) تتغير حركته ويتبع كلَ تغيير فى الحركة تغيير فى دلالة الفعل من ناحية الإسناد. فإذا نظرنا إلى الفتحة بوصفها الحركة الأصلية للجيم عندما تتصل نون التوكيد بالفعل اتصالاً مباشراً فى قولك والله لتخرجن يازيد، فعند تغييرها إلى الضم فى قولك: والله لتخرجن ياقوم نجد أن الفعل فيها من ناحية الإسناد دل على جماعة المخاطبين، وإذا غيرت حركة الجيم إلى الكسر فى قولك: والله لتخرجن ياهند نجد أن الفعل من ناحية الإسناد قد صار للمفردة المخاطبة.

وعلى هذا فإن حركة المقطع الرابع فى الفعل فى الجمل السابقة كان تغييرها سبباً فى تغيير دلالة إسناد الفعل.

وإذا نظرنا فى الجمل التالية:

والله لأخرجن معكم

والله لنخرجن معاً

والله لتخرجن يارجل

وجدنا أن الفعل هنا يتفق فى بنيته المقطعية مع الأفعال فى الجمل المذكورة قبل ذلك ووجدنا أن المقطع الرابع منها فى هذه الجمل وهو (جن) حركته الفتحة ودلالة ا لفعل من ناحية الإسناد مختلفة لاعتمادها على قرينة أخرى غير حركة هذا المقطع. فحرف المضارعة فى هذه الأفعال صار وسيلة تحديد المسند إليه، فالهمزة فى الفعل المضارع فى الجملة تدلنا على أنه للمفرد المتكلم والنون فى الفعل المضارع فى الجملة الثانية تدلنا على أنه لجماعة المتكلمين والتاء فى الفعل المضارع فى الجملة الثالثة مع النداء تدلنا على أنه للمفرد المخاطب.

وإذا نظرنا إلى الجملتين التاليتين:

والله لتخرجن يا على

والله لتخرجان يا رجلان

وجدنا أن الفعل فى الجملة الأولى للمفرد المخاطب وأنه فى الجملة الثانية للمخاطبين وإذا نظرنا إلى البنية المقطعية للفعلين وجدناها متفقة إلا فى المقطع الرابع. فهو فى فعل الجملة الأولى (جن) مكون من (ص + ح ق + ص) وفى فعل الجملة الثانية (جان) مكون من (ص + ح ط + ص) والنحاة يقولون بحذف الساكن الأول (الألف) لالتقاء الساكنين إلا فى حالات معينة منها هذه الحالة لأن حذف الألف سيؤدى إلى التباس المعنى عندئذ، فلا يدرى أيكون الفعل للمفرد المخاطب أم للمخاطبين.

أو بمعنى آخر يظل المقطع الرابع فى الفعل (لتخرجانّ) بحركته وهى الفتحة الطويلة، مع أنه مقطع غير مسموح به فى الوصل حتى لا يلتبس المعنى وحتى يفرق بين حالتى الإسناد بكمية حركة هذا المقطع، فالفتحة

القصيرة فيه للمفرد المخاطب والفتحة الطويلة فيه للاثنين المخاطبين، إضافة إلى تغيير حركة المقطع الأخير إلى الكسرة.

٢- فى الفرق بين الخبر والاستفهام إذا دخل على «ما» الاستفهامية حرفُ الجر:

مرَّ من قبلُ مثالٌ على الفرق فى المعنى بكمية الحركة فى قولك لتخرجن يا رجل ولتخرجان يا رجلان، وقد رأينا أن الفتحة الطويلة دليل على أن الفعل للمخاطبين، وسنرى هنا أن نقص الحركة الطويلة وتحويلها إلى حركة قصيرة سيكون للفرق بين حالتى الإخبار والاستفهام.

يذكر النحاة أن «ما» الاستفهامية يحذف ألفها إذا دخل عليها أحد حروف الجر للفرق بين الخبر والاستفهام(٩). تقول: علام تقول كذا وكذا؟ فيمَ صنعت؟ ولمَ فعلت؟ وحتامَ؟ وإلامَ؟ والأصل: على ما؟ وفى ما؟ ولما؟ وحتى ما؟ وإلى ما؟ فحذفت الألف من «ما» الاستفهامية وبقيت الفتحة السابقة دليلاً على تلك الألف المحذوفة. أو بمعنى آخر: قصرت الحركة فصارت الفتحة القصيرة بدلاً من الفتحة الطويلة. قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟(١٠) وقال الشاعر:

علامَ تقول الرمحُ يثقل عاتقى إذا أنا لم أطعن إذا الخيل كرَّتِ(١١)

وتسقط هذه الألف لفظاً وخطاً فى الاستفهام وتبقى فى الخبر. قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾(١٢) أى لهدايته إياكم وقد نص

---

(٩) انظر: الأزهية فى علم الحروف للهروى ص ٨٥، ٨٦ وشرح ابن يعيش ٩/٤٥، ٤/٨، ٩، ومشكل إعراب القرآن للقيسى ١/٢٠٣، ٢٠٤، ٢/٤٤٩ ومغنى اللبيب ١/٢٩٨، ٢٩٩ والأصول فى النحو لابن السراج ٢/٣٨١ وتسهيل الفوائد ٣٣٢.

(١٠) سورة النبأ آية (١).

(١١) مغنى اللبيب ١/١٤٣.

(١٢) سورة البقرة آية (١٨٥).

النحاة على ذلك معللين لحذف الألف فى الاستفهام قال ابن هشام بعد أن ذكر جملة من شواهد حذف ألف «ما» الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر وعلة حذف الألف الفرق بين الاستفهام والخبر فلهذا حذفت فى نحو:

«فيمَ أنت من ذكراها» «فناظرة بمَ يرجع المرسلون» لمَ تقولون ما لا تفعلون وثبتتْ فى: «لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم» «يؤمنون بما أنزل إليك «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى»(١٣) وقد سمى بعضهم علة هذا الحذف للفرق بين الخبر والاستخبار(١٤) ولما كانت الفتحة الباقية دليل معنى الاستفهام من «ما» الاستفهامية نجد أن العرب يلحقون هاء السكت بها عند الوقف فيقولون لمه؟ وعمَّه وعليه جاءت قراءة ابن كثير بالوقف فى قوله تعالى: ﴿عم يتساءلون: «عمَّهْ»، لإرادة بيان الحركة(١٥).

وقد ذكر ابن يعيش(١٦) أنهم إنما خصوا ألف الاستفهام بالحذف دون الخبرية لأن الخبرية تلزمها الصلة والصلة من تمام الموصول فكأن ألفها وقعت حشواً غير متطرفة فتحصنت عن الحذف. وقد تثبت الألف فى الاستفهام وعليه جاءت قراءة عكرمة «عما يتساءلون» وقد ذكر أبو حيان أنه أصل «والأكثر حذف الألف وعلى مثل هذه القراءة جاء قول الشاعر بإثبات الألف:

على ما قام يشتمنى لئيم ... كخنزير تمرغ فى رماد(١٧)

وقد خرج ابن هشام قراءة عكرمة على أنها من النادر والبيت على الضرورة(١٨).

---

(١٣) مغنى اللبيب ١/٢٢٩ وانظر مشكل إعراب القرآن للقيسى ٢/٤٤٩.
(١٤) انظر: شرح ابن يعيش ٩/٤٥.
(١٥) انظر شرح ابن يعيش ج ٩/٤٥ وانظر كذلك مشكل إعراب القرآن للقيسى ٢/٤٤٩ وانظر كذلك الأصول فى النحو لابن السراج ٢/٣٨١.
(١٦) انظر شرح ابن يعيش ج ٤/٩.
(١٧) انظر البحر المحيط ٨/٤١٠ وقد ورد الشاهد وهو لحسان فى المغنى ١/٢٢٩.
(١٨) المغنى ١/٢٩٩.

وقد بين الهروى صاحب الأزهية فى علم الحروف أن بقاء ألف «ما» الاستفهامية عند دخول الجار عليها لغة لبعض العرب. واستشهد بالبيت السابق واستشهد كذلك بقول كعب بن مالك(١٩):

إنا قتلنا بقتلانا سراتكم   أهل اللواء ففيما يكثر القيل

وإذا كان بعض العرب يثبت ألف «ما» الاستفهامية عند دخول الجار عليها كما ذكر الهروى فإن حذف الفتحة بعد حذف ألف الاستفهام ضرورة شعرية قال ابن هشام «وربما تبعت الفتحةُ الألفَ فى الحذف وهو مخصوص بالشعر كقوله:

يا أبا الأسود لمْ خلفتنى   لهموم طارقاتٍ وذِكَرْ(٢٠)

٣- فى أسلوب الاستغاثة:

أسلوب الاستغاثة صورة من صور النداء يتركب من أداة نداء ومستغاث وهو المدعو ومستغاث له. كقولك: يا لزيد لعمرو وقول عمر بن الخطاب لما طعن: يا لله للمسلمين، بفتح اللام الأولى مع المستغاث وكسر اللام الثانية مع المستغاث من أجله(٢١).

ومنه قول الشاعر:

يا لَقوم لزفرة الزفرات   ولِعين كثيرة العبرات(٢٢)

---

(١٩) الأزهية فى علم الحروف للهروى ٨٦.
(٢٠) مغنى اللبيب ١/٢٩٨، ٢٩٩.
(٢١) انظر فى إثبات معنى الاستغاثة للام وحركتها: الأصول لابن السراج ١/٣٥١ - ٣٥٣ والكتاب ٢/٢١٨، ٢١٩، ٢١٦ والمقتضب ٤/٢٥٤ والجمل فى النحو للخليل ٢٥٤ والمقتصد فى شرح الإيضاح ٢/٧٨٧، ٧٨٨ وشرح الرضى للكافية ١/١٤٣ وشرح التحفة الوردية ٣١٤، ٣١٥.
(٢٢) الجمل فى النحو ٢٥٤

وما فتح اللام مع المستغاث وكسرها مع المستغاث له للفرق بينهما إلا عند من قال بأن لام المستغاث هى حرف جر، وليست بقية اسم تقديره فى الأصل «يا آل» ثم لكثرة الاستعمال صار «يال»،[٢٣] وقد استدلوا على كسرها للفرق بينهما بأنه عند العطف على المستغاث بدون «يا» تكسر اللام فيقال: يا لبكر ولزيد فكسرت اللام الداخلة على «زيد» لزوال السبب، ولأمن اللبس ومن ذلك قول الشاعر:

يبكيك ناء بعيد الدار مغترب   يا لَلْكُهول وللشُّبان للعجب[٢٤]

فإذا عطف على المدعو المستغاث بإعادة «يا» فتحت اللام مع المعطوف تقول: يا لزيد ويا لبكر لمحمد، وعليه جاء قول الشاعر:

يَا لَقومى ويا لَأمثال قومى   للأناس عُتُوُّهُمْ فى ازدياد[٢٥]

ولام المستغاث له إنما هى بمعنى «من أجل» يؤيد ذلك قول سيبويه بعد أن أورد قول قيس بن ذريح:

....   فيا للناس للواشى المطاع

وقوله:

يا لقومى لفرقة الأحباب   ....

قال: «كسروها لأن الاسم الذى بعدها غير منادى فصار بمنزلته إذا قلت: هذا لزيدٍ، فاللام المفتوحة أضافت النداء إلى المنادى المخاطب، واللام

(٢٣) انظر فى آراء النحاة في أصل لام المستغاث أهى لام الجر وهو رأى جمهور البصريين أم أنها بقية ال وهو رأى الكوفيين شرح الرضى للكافية ١/١٤٤ وشرح ابن يعيش ١/١٣١.

(٢٤) شرح التحفة الوردية ٣١٥ وهو فى شرح الزجاجى ٢/١١٠ وقد قبل ذكر الشاهد علة بينهما وانظر المقتصد فى شرح الإيضاح ٢/٧٨٨.

(٢٥) شرح التحفة الوردية ص ٣١٥، ٣١٦.

المكسورة أضافت المدعو إلى ما بعده لأنه سبب المدعو، وذلك لأن المدعو إنما دعى من أجل ما بعده لأنه مدعو له،(٢٦).

٤ـ فى أسلوب المدح والذم:

يعرض النحاة لأسلوب المدح والذم ويذكرون ما يجرى مجراهما فيذكرون للمدح نعم ويجرى مجراها حبذا ويذكرون للذم بئس ويجرى مجراها ساء ولا حبذا(٢٧).

ويذكر النحاة أنه يجوز فى كل فعل ثلاثى أن يبنى على وزن فَعُل بضم العين ـ ويراد به معنى المدح أو الذم وذلك فى الأفعال التى يجوز التعجب منها بقياس(٢٨) وإلى هذا أشار ابن مالك بقوله:

واجعل كبئس «ساء» واجعل فَعْلا — من ذى ثلاثة كنعم مُسْجَلا(٢٩)

وقد أوصح صاحب الأزهار الزينية معنى قول ابن مالك مبيناً المقصود منه بقوله «أى اجعل كبئس ساء فى المعنى والحكم تقول: ساء الرجل أبو جهل، وساء حطب النار أبو لهب وفى التنزيل: «وساءت مرتفقا»، و«ساء ما يحكمون» (من ذى ثلاثة كنعم مسجلا) أى مطلقاً من أسجلت الشىء إذا مكنت الغير من الانتفاع به، أى يكون لها ما لهما من عدم التصرف وإفادة المدح أو الذم واقتضاء فاعل كفاعلهما فيكون ظاهراً مصاحباً لأل أو مضافاً إلى مصاحبها أو ضميراً مفسراً بتمييز، وسواء فى ذلك ما هو على «فَعُلَ» أصالة نحو ظَرُفَ الرجل زيد بمعنى نعم الرجل زيد

(٢٦) الكتاب ٢/٢١٩.

(٢٧) انظر شرح التحفة الوردية ص ٢٦٦ ـ ٢٧١ والمقرب ص ٦٩ وما بعدها.

(٢٨) انظر المقرب لابن عصفور ٧٤.

(٢٩) شرح ابن عقيل تحقيق الشيخ محيى الدين عبدالحميد ٣/١٦٨.

ـ وحسنت مرتفقاً ،وخُبُث غلامُ القوم عمرو ـ وما حُوِّل إليه نحو: ضَرُبَ رجلاً زيدٌ وفَهُمَ رجلاً خالدٌ»(٣٠).

وقد أجرى (فَعُل) هذا مجرى باب نعم وبئس باطراد(٣١) ويتضمن الفعل عندئذ معنى التعجب بوضع كقولك: حسن الخلق خلق الحكماء وقبح العمل عناد المبطلين ومنه قوله تعالى: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾(٣٢) أو بتحويل، كقولهم: قَضُوَ الرجل فلان وعَلُمَ الرجل فلان وفيه معنى التعجب كذلك، ففيه معنى ما أقضاه وما أعلمه.

وفي المحول هذا تأتي ضمة العين للدلالة على معنى المدح أو الذم عندما يتحول الثلاثي من فَعَل ـ بفتح العين أو فَعِل ـ بكسر العين إلى فَعُلَ وقد جعل ابن عقيل الفعل «ساء» من هذا النوع المحول من فَعَل إلى فَعُلَ في قوله تعالى ﴿ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾(٣٣).

٥ ـ في التعجب بالإضافة إلى صيغتيه القياسيتين:

يذكر النحاة أنه يجوز بقياس في التعجب أن تصوغ من الفعل الثلاثي المستوفي للشروط على «ما أفعله» و«أفعل به» فتقول: ما أكرم محمداً وأكرم به. وتجدهم كذلك ينبهون على جواز صياغة «فَعُل» من كل فعل ثلاثي لإفادة معنى التعجب محولاً من فَعَل أو فَعِل فتقول: جَهُل الرجل فلان وعَلُم الرجل فلان وقَضُوَ الرجل فلان وهو عين ما أشاروا إليه في عرضهم لأسلوب المدح والذم(٣٤).

---

(٣٠) الأزهار الزينية في شرح متن الألفية ص ١١٣.

(٣١) انظر: شرح التحفة الوردية ٢٧١ والمساعد على تسهيل الفوائد ٢/١٣٨.

(٣٢) سورة الكهف آية (٥).

(٣٣) سورة الأعراف آية ١٧٧ انظر: في الكلام عن «ساء» وأنها في الأصل من فعل بفتح العين: المساعد على تسهيل الفوائد ٢/١٣٧، ١٣٨.

(٣٤) انظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٢/١٣٨، وشرح التحفة الوردية ٢٧١ وتهذيب التوضيح ج ٢/٢٢.

وبهذا تكون ضمة العين وسيلة من وسائل اللغة لإفادة معنى التعجب إضافة إلى ما يمكن أن تؤديه هذه الحركة من معنى المدح أو الذم. وقريب من هذا ما يشير إليه الصرفيون عند عرضهم لأبواب الفعل الثلاثى فينبهون عقب العرض لباب «فَعُل» «يَفْعُل» من نحو كَرُم يكْرُم إلى أنه يجوز بقياس أن تُحَوّل الأفعال الثلاثية إلى باب «فَعُل» بضم العين للدلالة على أن معناها صار كالغريزة فى صاحبه[٣٥] وبهذا تكون الحركة (ضمة عين الفعل) كذلك وسيلة للدلالة على أن معنى الفعل صار كالغريزة فى صاحبه، وبهذا قال أبو البقاء العكبرى فى الفرق بين (فَقُه) بضم القاف و(فَقِهَ) بكسرها فى الكلام على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الناس معادن، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» قال «الجيد هنا ضم القاف من فَقُه يَفقُهُ، إذا صار فقيهاً، مثل ظرف يظرف فهو ظريف». وأما فقه ـ بكسر القاف ـ يَفْقَه ـ بفتحها ـ فهو بمعنى فهم الشيء فهو متعدٍ، قال الله تعالى: ﴿لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾[٣٦] و﴿لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾[٣٧] بفتح القاف فى المستقبل وماضيه بالكسر، أما المضموم القاف فهو لازم لا مفعول له»[٣٨].

٦ـ فى علامات الإعراب:

يكتفى بعض النحاة بذكر أنواع الإعراب التى تدخل الاسم المعرب (المتمكن) والعلامة الأصلية لكل منها، فالرفع علامته الضمة والنصب علامته الفتحة والجر علامته الكسرة، تقول: جاء محمدٌ وقابلت محمداً وهذا

---

(٣٥) انظر: تهذيب التوضيح ص ٢٢.
(٣٦) سور النساء آية ٧٨.
(٣٧) سورة الكهف آية ٩٣.
(٣٨) إتحاف الحثيث بإعراب ما يُشْكلُ من ألفاظ الحديث ص ١٥٢.

كتاب محمدٍ ويذكر بعضهم أن أنواع الإعراب هذه إنما هى أمارات على المعانى النحوية المختلفة يقول الزمخشرى فى مفصله عنها: «هى الرفع والنصب والجر وكل واحدٍ منها علم على معنى، فالرفع علم الفاعلية والفاعل واحد ليس إلا وأما المبتدأ وخبره، وخبر إن وأخواتها ولا التى لنفى الجنس واسم ما «ولا» المشبهتين بليس فملحقات بالفاعل على سبيل التشبيه والتقريب «وكذلك النصب علم المفعولية والمفعول خمسة أضرب: المفعول المطلق والمفعول به والمفعول فيه والمفعول معه والمفعول له؛ والحال والتمييز والمستثنى المنصوب والخبر فى باب كان والاسم فى باب إن والمنصوب بـ «لا» التى لنفى الجنس وخبر «ما» ولا المشبهتين بـ «ليس» ملحقات بالمفعول والجر علم الإضافة»(٣٩). وقد جعل ابن عصفور حركات الإعراب دليلاً على المعانى النحوية من فاعلية ومفعولية وإضافة(٤٠) وقد ذهب ابن هشام إلى أن الأصل فى الإعراب إنما هو للفرق بين المعانى(٤١) وقد جعل ابن فارس الإعراب مما اختصت به العرب للفرق بين المعانى المختلفة ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت ولا تعجب من استفهام ولا نعت من توكيد(٤٢).

وقد بين ابن أبى الربيع الأشبيلى فى البسيط فى شرح جمل الزجاجى أن «الإعراب» مأخوذ من قولهم: أعرب الرجل عن حاجته: إذا أبان عنها ومنه الحديث النبوى: «البكر تُستأمرُ فى نفسها وإذنها صُماتها، والثيب تُعْرِب عن نفسها»، وكذلك الإعراب إنما هو تغيير يقصد إليه المتحدث ليدل

---

(٣٩) شرح ابن يعيش ١/٧١، ٧٢.

(٤٠) انظر شرح جمل الزجاجى لابن عصفور ١/١١٥.

(٤١) انظر شرح شذور الذهب ص ١٦٧.

(٤٢) انظر الصاحبى فى فقه اللغة لابن فارس ص ٧٦.

على المعانى المختلفة التى يقصد إليها من فاعلية ومفعولية وإضافة[٤٣] وقد حاول بعض النحاة الاعتلال لدخول الإعراب ومجيئه فى الكلام، فهذا أبو القاسم الزجاجى فى كتابه الإيضاح فى علل النحو يعقد باباً يؤصل فيه لذلك بعنوان «باب القول فى الإعراب، لم دخل فى الكلام جاء فيه: «فإن قال: فقد ذكرت أن الإعراب داخل فى الكلام فما الذى دعا إليه واحتيج إليه من أجله؟ الجواب أن يقال: إن الأسماء لما كانت تعتورها المعانى، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة، ومضافاً إليها ولم تكن فى صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعانى بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبىء عن هذه المعانى، فقالوا: ضرب زيد عمراً، فدلوا برفع زيد على أن الفعل له وبنصب عمرو على أن الفعل واقع به... وقالوا هذا غلام زيد، فدلوا بخفض زيد على إضافة الغلام إليه وكذلك سائر المعانى جعلوا هذه الحركات دلائل عليها ليتسعوا فى كلامهم، ويقدموا الفاعل إن أرادوا أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه، وتكون الحركات دالة على المعانى»[٤٤].

وإذا كان النحاة القدامى يقولون بأن الضمة علامة الفاعلية فإن الأستاذ إبراهيم مصطفى فى كتابه «إحياء النحو» يدفع بهذه العلامة قدماً فيجعلها «علم الإسناد» ليدخل بذلك المبتدأ ونائب الفاعل واسم كان، وقد جعل الكسرة علم الإضافة[٤٥] وقد د فع الأستاذ إبراهيم مصطفى إلى القول بذلك محاولة إسقاط نظرية العامل وهو فى ذلك يلتقى مع ابن مضاء فى ثورته على نظرية العامل وفى الدعوة إلى إلغائها[٤٦] وهى النظرية التى تلعب دوراً رئيساً فى النحو العربى وفى وجوه الإعراب وحركاته.

---

(٤٣) انظر البسيط فى شرح جمل الزجاجى ج١/ ١٧١، ١٧٢.

(٤٤) الإيضاح فى علل النحو للزجاجى ص ٦٩، ٧٠.

(٤٥) انظر تيسير النحو التعليمى قديماً وحديثاً د. شوقى ضيف ٢٨، ٢٩.

(٤٦) انظر تيسير النحو، التعليمى ص ٢٧.

وإذا كان كثير من النحاة يرجعون اختلاف الإعراب وعلاماته إلى العامل فإن من النحاة من جعل ذلك للمتكلم وعلى رأس هؤلاء الرضى فى شرحه للكافية فقد نص على ذلك أكثر من مرة قال: «وإن كان فاعل الاختلاف فى الحقيقة هو المتكلم بآلة الإعراب إلا أن النحاة جعلوا العامل كالعلامة المؤثرة، وإن كان علامة لا علة»(٤٧).

وينص على ذلك مرة أخرى مؤكداً دور المتكلم فى إحداث المعانى التى تدل عليها علامات الإعراب فيقول: «ثم اعلم أن محدث هذه المعانى فى كل اسم هو المتكلم، وكذلك محدث علاماتها، لكنه نسب إحداث هذه العلامات إلى اللفظ الذى بواسطته قامت هذه المعانى بالاسم فسمى عاملاً، لكونه كالسبب للعلامة»(٤٨).

وإذا كان المتكلم هو مُنْشِىء علامات الإعراب للدلالة على المعانى فإنه قد يستغنى عنها لدلالة طبائع الأشياء على علاقات المفردات بعضها ببعض فى الجملة من نحو قولهم: كسر الزجاجُ الحجرَ وخرق الثوبُ المسمارَ وعلى هذا جاء قول الشاعر:(٤٩):

مثل القنافذ هدًا جون قد بلغت نجرانَ أن بلغت سوآتهم هجرُ

وقوله:

إن من صاد عقعقاً لمشومُ كيف من صاد عقعقان وبوم

(٤٧) شرح الرضى الكافية ١/١٨.

(٤٨) شرح الرضى للكافية ١/٢١.

(٤٩) همع الهوامع ١/١٦٥ وانظر شرح ابن عقيل ٢/١٤٧ تعليق رقم (١) فقد نقل هذه الشواهد الشيخ محمد محيى الدين رحمه الله عن همع الهوامع.

وقوله:

قد سالم الحياتِ منه القدما   الأفعوانَ والشجاعَ الشجعما

وقد ذكر السيوطى أن المبيح لذلك كله هو فهم المعنى وعدم الإلباس ولا يقاس على شيء م ذلك بل يكتفى بما جاء مسموعاً عن العرب. وقد نقل الشيخ محيى الدين عن ابن مالك فى تعليل ما جاء من ذلك ـ قوله: «وقد يحملهم ظهور المعنى على إعراب كل واحد من الفاعل والمفعول به بإعراب الاخر كقولهم خرق الثوبُ المسمارَ...»(٥٠).

إذا كانت العلامة الإعرابية أمارة للتعرف على المعانى المختلفة التى يقصد إليها المتكلم من ناحية، فإنها من ناحية أخرى تتيح له قدراً من التصرف والتوسع فى ترتيب أجزاء الكلام بالتقديم والتأخير وتكون علامة الإعراب فى هذه الحالة وسيلة طيعة للمتكلم وهادية للسامع إلى التعرف على العلاقات النحوية بين مفردات الجملة.

ومن صور ذلك(٥١):

ـ تقديم المفعول على الفاعل كقولك: دعا زيدا محمدٌ، ولقي خالدا إبراهيمُ. وقد يقدم المفعول على الفعل كقولك: محمدا لقى علىٌّ، وعليا ضربَ محمودٌ.

وقد يتقدم الظرف على الفاعل تقول: قام اليوم محمد وقد يتقدم على الفعل تقول: صباحاً يلتقى الرجلان ويوم الجمعة سافر جعفر. والأصل فى الجملة الفعلية أن تبتدىء، بالفعل ثم بالفاعل ثم بمكملات المعنى ومنها المفعول والظرف. فما جاء مخالفاً لذلك فإنه من باب التقديم الذى يبيحه

(٥٠) شرح ابن عقيل ١٤٧/٢ تعليق رقم (١).
(٥١) أنظر الخصائص ٣٨٢/١ وما بعدها.

إدراك العلاقة القائمة بين مفردات الجملة، والعلامة الإعرابية خير معين على ذلك.

ومن ذلك: تقديم الحال على صاحبها كقولك: جاء راكبا عمر وتقديمها على عاملها كقولك: راكبا جاء عمر.

ومن ذلك: تقديم خبر كان وأخواتها على أسمائها وعليها تقول:

كان قائماً عمر، وقائماً كان عمر وزيداً ليس أخوك ومنطلقين ليس أخواك.

ومن ذلك: تقديم المفعول له على ناصبه كقولك: طمعا فى برك أتيتك ورغبة فى صلتك قصدتك.

وإذا ك كانت هناك صور كثيرة تتيحها العلامة الإعرابية للمتكلم، فيقدم ويؤخر فى أجزاء الجملة ومكونات الكلام، فإن النحاة قد ذكروا مواضع لا يجوز فيها تقديم المتأخر ولا تأخير المتقدم وإنما يلزم المتكلم فيها أن يأتى بمكونات الجملة على ترتيبها الأصلى. ومن ذلك(٥٢):

لا يجوز تقديم الصلة ولا شىء منها على الموصول. ولا الصفة وما اتصل بها على الموصوف، ولا المبدل على المبدل منه ولا الفاعل ونائبه على الفعل، لأن الجملة عندئذ تتحول إلى جملة اسمية فلا تقول: «محمد سافر»، بتقديم الفاعل، هذا ما يقوله البصريون وأما الكوفيون فيجيزون فى الجملة الفعلية أن يتقدم فيها الفعل على الفاعل وتظل الجملة عندهم مع التقديم جملة فعلية.

---

(٥٢) انظر الخصائص ٢/٣٨٥ وما بعدها. والأشباه والنظائر فى النحو ١/١٤٠، ١٤١.

ولا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف، ولا شيء مما اتصل به، والأفعال التى لا تتصرف لا يقدم عليها ما بعدها. والحروف التى لها صدر الكلام لا يقدم ما بعدها عليها. وما عمل فيه حرف أو اتصل به لا يقدم على الحرف، وما شُبِّه من هذه الحروف بالفعل فنصب ورفع فلا يقدم مرفوعها على منصوبها.

هذا إضافة إلى المواضع التى يلزم فيها تقديم بعض مكونات الجملة أو تأخيره، كمواضع تقديم الخبر وجوباً وتأخير المبتدأ وجوباً.

ثالثاً : فى بعض صور الاشتقاق والعدد:

١ـ فى صياغة اسم الفاعل واسم المفعول من غير الثلاثى:

يصاغ اسم الفاعل من غير الثلاثى على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الآخر. تقول فى: كاتَب مُكاتِب واستخرج: مُستخرِج وكرَّم: مُكرِّم(٥٣).

ويصاغ اسم المفعول من غير الثلاثى على وزن مضارعه بإبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وفتح ما قبل الآخر تقول فى كاتب: مكاتَب واستخرج: مُستخرَج وكرّم: مُكرَّم(٥٤) وإذا نظرنا إلى أسماء الفاعلين والمفعولين السابقة من الناحية الوصفية وجدناهما متفقين فى البنية المقطعية فهى (م + كا + تب) فى مكاتب على الوقف(٥٥) غير أن حركة المقطع الأخير (تب) كسرة فى اسم الفاعل وفتحة فى اسم المفعول.

وهكذا فى بقية أسماء الفاعلين والمفعولين السابق ذكرها فالفرق بينهما هو حركة ما قبل الصامت الأخير، ولقد فطن سيبويه إلى التفريق

(٥٣) انظر الكتاب لسبيويه ٢/٣٣١، ٣٣٢ شذا العرف ص ٧٥ وتسهيل الفوائد ١٣٦.
(٥٤) انظر المقتضب ١/٢٤٦ وشرح الكافية ٢/٢٠٣ وشرح ابن يعيش ٦/ ٨٠.
(٥٥) هذا فى الوقف أما فى الوصل فيتحول هذا المقطع الأخير إلى مقطعين.

بالحركة بين هذين المشتقين فبعد أن تكلم على زيادة التاء فى الفعل من وزن (فاعل) فيكون على «تفاعل» ومضارعه «يتفاعل» قال: «فأما الاسم فعلى مُتفاعِل للفاعل وعلى مُتفاعَل للمفعول وليس بين الفاعل والمفعول فى جميع الأفعال التى لحقتها الزوائد إلا الكسرة التى قبل الآخر، والفتحة»[٥٦]. وهكذا كانت الحركة فى هذين المشتقين من غير الثلاثى فرقاً بين ما صيغ لمن وقع منه الفعل أو تعلق به وما صيغ لما وقع عليه الفعل.

٢- فى الفرق بين اسم المرة واسم الهيئة وبناء «فُعْلة» الدال على المقدار

فأما اسم المرة فهو مصدر مصوغ من الفعل الثلاثى على وزن «فَعْلة» - بفتح فسكون - للدلالة على وقوع الحدث مرة واحدة تقول جلس جلسة وشرب شربة وضرب ضربة[٥٧].

وأما اسم الهيئة فهو مصدر مصوغ من الفعل الثلاثى على «فِعْلة» - بكسر فسكون - للدلالة على هيئة وقوع الفعل وذلك نحو: قِتْلة وجِلْسة وذِبْحة[٥٨] وقد ذكر الصرفيون عدة أحرف جاء على «فعلة» لبيان الهيئة من غير الثلاثى قالوا: امرأة حسنة الخِمْرة والنِقْبة ورجل حسن العِمَّة والقِمْصة من اختمرت وانتقبت واعتم وتقمص[٥٩].

وإذا نظرنا إلى «فَعْلة» اسم المرة و«فِعْلة» اسم الهيئة وجدناهما من الناحية المقطعية مستاويين فكل منهما مكون من (فع + لة) عند الوقف ولكن كلاً منهما يدل على معنى مغاير للآخر، وقد كانت حركة المقطع

(٥٦) الكتاب ٤/٢٨٢.
(٥٧) انظر شرح الشافية ١/١٧٨، ١٧٩، حاشية الصبان ٢/٣١٠ وشذا العرف ٧٣.
(٥٨) انظر: الكتاب ٢/٢٢٩ وشرح الشافية ١/١٧٨ وشذا العرف ٧٤.
(٥٩) انظر حاشية العبان ٢/٣١١ وشرح التصريح ٢/٧٧ وشذا العرف ٧٤.

الأول هى وسيلة اللغة إلى الفرق بين معناهما، فيكون (فعله) بفتح الفاء اسماً للمرة و«فعلة» بكسر الفاء اسماً للهيئة.

وإذا أضيف بناء «فُعْلة» ـ بضم الفاء وسكون العين ـ إلى البناءين السابقين كـ «فُرْجة» فى قول الشاعر:

لا تضيقن بالأمور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال

ربما تكره النفوس من الأمر له فُرْجة كحل العقال[٦٠].

فإن الفرق هنا من الناحية المقطعية لا يعدو تغيير حركة المقطع الأول وقد قال المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مهدى علام فى تعليقه على كلمة «فرجة» فى البيت الثانى فى محاضرة لطلاب الفرقة الرابعة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٩٠: «يقول النحاة: إن فَعْلة يدل على المرة وفِعْلة يدل على الهيئة وقد نسى النحاة أنَّ فُعْلة يدل على المقدار» ولعل النظر فى ديوان الأدب للفارابى يؤيد ما ذهب إلى أستاذنا المرحوم الدكتور مهدى نلمح شيئاً من ذلك فى عرضه لبناء «فعلة» من كتاب الاسم الصحيح فمما ورد فيه دالاً على المقدار:[٦١]:

الجُلْبة: التى تعلو الجرح عند البرء. والجلبة: الأثر.

والسُّرْبة: جماعة الطيرة، والظباء، والحمر، ونحوها. والشعبة: المسيل الصغير.. والطائفة من الشيء (والإكمال ٢/ ٣٤٠) والشُّعْبة: الرُّؤْبة وهى القطعة التى يُشعَب أى يُرْأَب بها الإناء.

والحُدْرة من الإبل: ما بين العشرة إلى الأربعين[٦٢].

---

(٦٠) البيتان فى شرح شذور الذهب ص ١٣٩.

(٦١) انظر: ديوان الأدب بناء «فعلة» من الاسم الصحيح ج ١/ ١٦١ ـ ١٧٥.

(٦٢) إكمال الإعلام لابن مالك ١/ ١٤٠.

والعُصْبة من الرجال: العشرة إلى الأربعين (والمثلث ٢/٢٩٢).

والعُقْبة: الشيء من المرقة يرده مستعير القدر إذا ردها فيها (والإكمال ٢/٤٣٩ والمثلث ٢/ ٢٩٠).

والنُّقْبة: قطعة من الثوب تشد كالإزار. والنقبة: واحدة النقب وهى أول ما يبدو من الجرب (والإكمال ٢/ ٢٧٠ والمثلث ٢/ ٢٧٠).

والجُحّفة بقية الماء فى البئر وموضع معروف(٦٣)

والغُمَّة: الجرعة

والرُكْحة: البقية من التريد تبقى فى الجفنة.

ويقال: أعطنى قُدْحة من مرقتك، أى: غرفة.

والثُغْرة: الثغر. وثغرة النحر: نقرته.

الجُذْوة: قطعة من الحطب موقود(٦٤)

والخُمْرة: شيء منسوج من السعف أصغر من المصلى (والإكمال ١/ ١٩٩، ٢٠٠ والمثلث ١/٥٠٣).

والزُمْرة: الجماعة من الناس

والسُتْرة: ما يستتر به الصائد وغيره.

والعُذْرة من الدابة: الشعر الذى يقبض عليه الراكب عند ركوبه.

والنُقْرة: قطعة فضةٍ مذابة. والنقرة حفرة فى الأرض غير كبيرة.

---

(٦٣) إكمال الإْلام بتثليث الكلام ١/ ٩٩ والمثلث ١/ ٤١٤.

(٦٤) إكمال الإعلام لابن مالك ١/ ١٠٦ والمثلث ١/ ٣٩٣.

والجُمْزة: كتلة من تمر ونحوه[٦٥]

وفُرْضة النهر: ثلمته التى يستقى منها. وهى فرضة الدواة وفرضة الباب. و(الإكمال ٢/ ٤٨٠). ويقال أصابتهم دفعة من مطر أى: قطعة.

ويقال: عنده شُعْبة من طعام أى قدر ما يشبع به مرة.

واللُّمْعة: الموضع الذى لا يصيبه الماء فى الغسل أو الوضوء من الجسد. واللمعة: قطعة من النبت أخذت فى اليبس.

ويقال: ما عليه مُزْعة لحمٍ، أى قطعة (والإكمال ٢/٦٢٥).

والمُضْغة: قطعة لحم. وقلب الإنسان مضغة من جسده.

والسُّلْفة: ما يتعجله الرجل قبل الغداء. (والإكمال ٢/ ٣١٠).

والنُّزْفة: القليل من الماء والشراب.

والزُّجْلة: الجماعة من الناس. (والإكمال لابن مالك ١/٢٧٦).

والبُهْمة: الجماعة من الفرسان.

والرُّجْمة: واحد الرجام، وهى حجارة ضخام دون الرضام.

والحُزَّة: قطعة من الشيء مستطيلة[٦٦]

والصُّفْتة: دلو صغيرة لها حلقة على حدةٍ

تلك جملة مما أورده الفارابى تحت بناء «فُعْلة» من الاسم الصحيح مما جاء دالاً على المقدار ويؤكد كذلك صحة الملاحظة التى أبداها أستاذنا

---

(٦٥) إكمال الإعلام لابن مالك ١/ ١٢٠.

(٦٦) إكمال الإعلام ١/١٤٧.

الدكتور مهدى رحمه الله نظرة فى كتاب إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك فمما ورد فيه إضافة إلى ما سبق قوله:

الحُسْوة: قدر ما يسحى (إكمال الاعلام ١/ ١٥٠).

والحُصَّة: القطعة من الحص وهو الورس (الإكمال ١/١٥١)

والخُبَّة: مستنقع الماء والمرعى وقطعة من القميص مدورة وطرف الثوب (الإكمال ١/١٧٣).

والرُّمة: القطعة من الحبل (الإكمال ١/ ٢٦٤).

الزُّغْلة: الدفعة مما يصب، وملء الفم من لبن (الإكمال ١/٢٧٨)

السُّحْبة: بقية الماء من الغدير (والإكمال ٢/٢٩٤)

والشُّمْلة: الماء القليل فى الإناء وغيره (الإكمال ٢/ ٣١٤)

الشُّرْبة: مقدار ما تشرب (الإكمال ٢/ ٣٣٠)

الصُّبة: الجماعة من الناس والإبل والشاء (الإكمال ٢/ ٣٥٤)

الصُّحْرة: قطعة من الأرض لينة تطيف بها حجارة أو جبال.. (الإكمال ٢/٣٥٨)

والصُّدْرة: القميص القصير، والدرع القصير، وما أشرف من أعلى الصدر (الإكمال ٢/٣٥٩)

الصُّلة: بقية الماء فى الحوض وغيره (الإكمال ٢/٣٦٨ والمثلث ٢/٢٣٠)

والطُّرَّة: البادى من ناصية الجارية تحت التاج، وجانب الثوب الذى لا هدب فيه أ موضع هدبه، وحرف كل شيء... (الإكمال ٢/٣٨٧)

الطُرْمة: نتوء فى وسط الشفة العليا (الإكمال ٢/ ٣٩٠)

الطُلْبَة: الجماعة من الناس (الإكمال ٢/ ٣٩١)

والطُّلة: الشربة من اللبن (الإكمال ٢/ ٣٩٤) + والمثلث ٢/ ٨٩

والعُذْرة: الخصلة من الشعر، وبكارة الجارية... (الإكمال ٢/ ٤١٥)

والعُلْقة: ما يتبلغ به من الغذاء ونبات لا يلبث (الإكمال ٢/ ٤٤٧ والمثلث ٢/ ٢٩٣)

الغُرَّة: أول الشيء، وخياره... وبياض فى جبهة الفرس فوق الدرهم (الإكمال ٢/ ٤٦٤)

الغُرْفة: قدر ما يغرف (الإكمال ٢/ ٤٦٦)

اللُّبْنة: اللقمة الكبيرة (الإكمال ٢/ ٥٥٩)

والمُلْحة: المستطرف من الكلام، واليسير من الكلأ (الإكمال ٢/ ٦٧٣)

والنُدْأة: (بالضم وبالفتح) كثرة المال، وقوس قزح (الإكمال ٢/ ٧١٠)

والنُدْهة: المال الكثير (الإكمال ٢/ ٧١١)

والهُمْرة: الدفعة من المطر (الإكمال ٢/ ٧٤٠)

ويضاف إلى ذلك مما ورد فى مثلث ابن السيد البطليوس ما يلى:

البُلَة ـ بالضم ـ بقية الكلأ (المثلث ١/ ٣٦٧)

والثُّلة ـ بالضم ـ الجماعة من الناس (المثلث ١/ ٣٨٥)

والثلة: بقية الدين (المثلث ١/ ٣٧٨).

والجُلة ـ بالضم ـ قفة كبيرة يجعل فيها التمر (المثلث ١/ ٤١١)

والجُلْدة ـ بالضم ـ ما يقطعه الخاتن من ذكر الصبى (المثلث ١/ ٤١٥)

والدُّرة ـ بالضم ـ اللؤلؤة العظيمة (المثلث ٢/ ١٧)

والكُبّة ـ بالضم ـ ... الإبل الكبيرة (المثلث ٢/ ١١٩)

والقُطْبة ـ بالضم ـ نصل صغير مربع ... (المثلث ٢/ ٣٨١)

ذلك قدر مما جمعته كتب الأبنية والمثلث، وهو يؤكد أن بناء «فُعْلة» فى كثير من استعمالاته عند العرب يدل على المقدار كما يدل على بناء «فِعْلة» على الهيئة، وبناء «فَعْلة» على المرة من الفعل الثلاثى. وقد فرقت حركة الفاء فى كل ذلك بين هذه المعانى.

٣ـ فى تحويل الفعل المبنى للمعلوم إلى المبنى للمجهول:

هناك أسباب كثيرة ذكرها النحويون عند وجود واحد منها فإن المتكلم يلجأ إلى حذف الفاعل. ويسند الفعل عندئذ إلى ما كان مفعولاً به فى الجملة أو إلى المصدر أو إلى الجار والمجرور أو الظرف، عند فقد المفعول به. ولابد عندئذ من تغيير يطرأ على صيغة الفعل(٦٧) يشعر بما أراده المتكلم وقصد إليه من حذف المسند إليه أساساً وهو الفاعل وتحويل الإسناد إلى غيره من مكملات الجملة ليصير نائباً عن الفاعل ويصبح له من الأحكام ما كان للفاعل.

وإذا نظرنا إلى ما يقوله النحويون عن التغيير الذى يطرأ على صيغة الفعل وجدنا أنه لون من ألوان الدلالة بالحركة على المعانى المختلفة فإذا كان الفعل ماضياً: ضم أوله وكسرما قبل آخره. ولننظر فى الأفعال التالية:

نَصَر على زيداً نُصِر زيد

---

(٦٧) انظر فى سبب بناء الفعل للمجهول وما يلزم لذلك: شرح ابن يعيش ٧/ ٦٩ وبعدها وشرح الملوكى فى التصريف ص ٣٠، ٣١.

ذَهَبَ محمد إلى أخيه	ذُهِبَ إلى الأخ
رَضِىَ زيد الموعد	رُضِىَ الموعد
ضَرَبَ الولد أخاه	ضُرِبَ الأخ

فالفعل فى الجمل الأولى وهى جمل المبنى للمعلوم لا يختلف من الناحية المقطعية عن مقابله المبنى للمجهول، فكل فعل مبنى للمعلوم مكون من ثلاثة مقاطع هى عينها عند بناء الفعل للمجهول. وإذا نظرنا إلى حركة المقطع الأول والثانى نجدها قد تغيرت للدلالة على بناء الفعل لغير فاعله. فصارت عند البناء للمجهول حركة المقطع الأول الضمة بدلاً من الفتحة، وحركة المقطع الثانى الكسرة.

ولننظر إلى الأفعال التالية من الرباعى والثلاثى المزيد:

دَحْرَج	دُحْرِج
عَلَّم	عُلِّم
أَكْرَم	أُكْرِم
تَعَلَّمَ	تُعُلِّمَ
اسْتَخْرَجَ	استُخْرِج

وما قيل فى الأفعال السابقة يقال هنا كذلك فكل فعل مبنى للمعلوم يساوى مقابله من الناحية المقطعية عند بنائه للمجهول. والفرق فى حركة المقطع الأول والمقطع قبل الأخير على فرض وصل الأفعال لا الوقف عليها. ويذكر الصرفيون أنه عند بناء الفعل المضارع للمجهول فإنه يضم أوله ويفتح ما قبل آخره كما فى الأفعال التالية:

(١) يَنْصُر	يُنْصَر
يَنْفع	يُنْفَع
يَعْلَم	يُعْلَم
يَضْرِب	يُضْرَب
(٢) يُدَحْرِج	يُدَحْرَج
يُقَطِّع	يُقَطَّع
يُكَرِّم	يُكَرَّم
يَسْتَمْتِع	يُسْتَمْتَعُ

وما قيل فى الأفعال الماضية يقال فى المضارع فكل فعل مضارع مبنى للمجهول يساوى مضارعه المبنى للمعلوم من الناحية المقطعية والفرق فى الدلالة على بناء الفعل للمجهول إنما هو بتغيير حركة المقطع الأول والمقطع قبل الآخر على فرض وصل الفعل لا على الوقف عليه. يستوى فى ذلك الفعل الثلاثى وغير الثلاثى من المجموعتين السابقين. أما الأفعال التى يكون المضارع فيها قد فتح ما قبل آخر من نحو:

يتعلم ويتقدم ويتقاسم ويتضارب ويتدحرج فإنه يكتفى فيه للدلالة على بناء الفعل لغير فاعله بأن تغير حركة المقطع الأول فيقال: يُتَعلَّم ويُتَقَدَّم ويُتَقاسم ويُتَضَارَبُ ويُتَدَحْرَجُ.

وقد فطن سيبويه ـ رحمه الله ـ إلى أن الفرق بين البناءين إنما يكون بالحركة قال فى باب «هذا باب ما تسكن أوائله من الأفعال المزيدة» بعد أن ذكر عدة أبنية من هذه الأفعال موضحاً كيف يُؤْتى منها بالمبنى للمجهول

قال: «وجميع هذه الأفعال المزيدة ليس بين يُفْعَل (يقصد المبنى للمجهول) ويُفْعِل (يقصد المبنى للمعلوم) بعد ضمة أولها وفتحته إلا كسرة الحرف الذى قبل آخر حرف وفتحته، إلا ما كان على يتفاعل ويُتَفَعَّل وما جاء من هذا المثال نحو يتدحرج وما لحق به نحو يتحوقل، فإنه لما كان مفتوحاً فى يُفْعَل (يقصد فى المضارع المبنى للمعلوم) يُترك فى يُفْعَلُ (يقصد فى صيغة الفعل المضارع المبنى للمجهول) كما تفعل ذلك فى غير المزيد، نحو قولك: «يَسْمَعُ ويُسْمَعُ»(٦٨) وإذا كانت الحركة فى المبنى للمجهول علامة على بناء الفعل لغير فاعله فقد أكد النحاة عليها، لأنه بضياعها يلتبس المعنى وهذا هو السبب الذى جعل النحاة يشترطون ضمن ما يشترطون فى الفعل الذى يصاغ منه فعلا التعجب «ألا يكون الفعل مبنياً للمفعول نحو: ضُرِبَ زيدٌ، فلا تقول: ما أضرب زيداً، تريد التعجب من ضرب أُوْقِعَ به، لئلا يلتبس بالتعجب من ضَرْبٍ أوقعه»(٦٩).

٤- فى الفرق بين المثنى وجمع المذكر السالم فى حالة النصب والجر:

يذكر النحاة أن المثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ويذكرون أن الياء هذه يفتح ما قبلها ويكسر ما بعدها وهو النون فنقول فى تثنية: كاتب وطالب: رأيت كاتِبَيْنِ وطالِبَيْنِ ومررت بكاتبَيْنِ وطالبيْنِ. وإذا جئنا إلى جمع المذكر السالم نجده ينصب ويجر بالياء كذلك ويقولون إن هذه الياء يكسر ما قبلها ويفتح ما بعدها للفرق بينه وبين المثنى، نقول فى جمع كاتب وطالب: قابلت كاتِبِيْنَ وطالِبِيْنَ مررت بكاتِبِيْنَ وطالِبِيْنَ.

ومثنى «كاتب» فى حالة النصب والجر يتكون من المقاطع التالية:

(٦٨) الكتاب لسيبويه ٤/٢٨٣. وانظر الإيضاح فى علل النحو ٦٩.
(٦٩) شرح ابن عقيل ٣/١٥٤.

(كا + تِ + بَيْ + نِ) فى الوصل، وجمع «كاتب» جمع مذكر سالماً في حالة النصب والجر يتكون من المقاطع التالية: (كا + تِ + بِي + نَ).
ويكمن الفرق بين المثنى والجمع فى هذه الحالة فى حركة المقطع قبل الأخير والأخير. وقد أشار الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد إلى شيء قريب من هذا فى تحقيقه لشرح ابن عقيل وهو يعلق على كسر نون المثنى وفتح نون الجمع بقوله: «والمشهور الكثير أن هذه النون مكسورة فى المثنى مفتوحة فى الجمع فأما مجرد حركتها فيهما فلأجل التخلص من التقاء الساكنين، وأما المخالفة بينهما فليميز كل من الآخر»(٧٠).

٥ ـ فى الفرق بين المثنى وجمع التكسير:

وردت لذلك أمثلة منها(٧١):

صِنْو، مثناه: صِنْوانِ وجمعه المكسر: صِنْوانٌ.

وقِنْو، مثناه: قِنْوانِ وجمعه المكسر: قِنْوانٌ.

والرئد: وهو المثل، مثناه: رِئْدانِ وجمعه المكسر: رِئْدانٌ.

والشِّقْذ: ولد الحرباء ـ مثناه: شِقْذانِ وجمعه المكسر: شِقْذانٌ.

والحُشّ ـ وهو البستان ـ مثناه: حُشّانِ وجمعه المكسر: حِشّانٌ.

٦ـ فى الفرق بين المفرد والجمع:

ورد لذلك أمثلة كثيرة منها(٧٢):

---

(٧٠) شرح انب عقيل تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد ص ٧١ بقية هامش رقم (١) من ص ٧٠.
(٧١) انظر: ليس فى كلام العرب ص ١٥٩، ٢٣٦ والمزهر ص ٢/٨٨، ٢٧١.
(٧٢) انظر: المزهر ٢/٨٨، ٢٧١ وليس فى كلام العرب ص ٢٣٦.

زُبور ـ بفتح الزاى ـ وجمعه: زُبُور ـ بالضم

وتَخوم الأرض ـ بفتح التاء ـ وجمعه : تُخوم ـ بالضم

ورجل عذوب ـ بفتح العين ـ وقوم عُذُوب ـ بالضم وعلى هذا جاء قول الشاعر:

بتنا عُذُوبا وبات البقُّ يأكلنا نشوى القَّراح كأنّ لاحىّ بالوادى(٧٣)

والدُّلامز ـ بضم الدال ـ القوى الماضى، والجمع: دُلامز ـ بفتح الدال.

والجُلادح ـ الطويل ـ بضم الجيم ـ والجمع: جَلادح ـ بفتح الجيم.

ودُخَان ـ بضم الدال ـ والجمع: دِخان ـ بكسر الدال.

وقد يأتى الجمع بنقص حركة من المفرد وتغيير أخرى، ومن ذلك:

الكَرَوان ـ بفتحتين ـ والجمع: كِرْوان ـ بكسر فسكون.

والوَرَشان ـ بفتحتين ـ والجمع: وِرْشان ـ بكسر فسكون

والكروان والورشان طائران.

٧ـ فى الفرق بين الجمع والمصدر:

ذكر ابن خالويه أن فى القرآن الكريم ثمانية أحرف تكون جمعاً ومصدراً وهى(٧٤):

الحرف الأول فى سورة آل عمران آية ٤١ ﴿بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ ـ ذكر الأخفش.

---

(٧٣) البيت فى: ليس فى كلام العرب ص ٢٣٦، والقَراح: الماء الساخن.

(٧٤) انظر: ليس فى كلام العرب ص ٢٦١، ٢٦٢.

والحرف الثانى فى سورة الأنعام آية ٩٦ ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ والأصباح فى قراءة الحسن.

والحرف الثالث فى سورة براءة آية ١٢ ﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ ولا إيمان لهم فى قراءة ابن عامر.

والحرف الرابع فى سورة هود آية ٣٥ ﴿فعليَّ إجْرامِي﴾ ذكره الفراء.

والحرف الخامس فى سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم آية ٢٦ ﴿واللهُ يعلمُ إسْرارَهُمْ﴾ وأسرارهم قرأها حمزةوالكسائى.

والحرف السادس فى سورة ق آية ٤٠ ﴿وأَدْبارَ السُّجُود﴾ وإدبار السجود قرأها أبو عمرو.

والحرف السابع فى سورة الطور آية ٤٩ ﴿وإِدْبارَ النُّجُومِ﴾ وأدبار النجوم، قرأها الأعمش.

والحرف الثامن فى سورة المنافقون آية ٢ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وإيمانهم ذكره الزجاجى.

هذه الحروف إذا كُسِرَتْ فهى مصادر، وإذا فُتحتْ فهى جمعٌ.

رابعاً: فى بعض الحروف للفرق بين المعانى:

١- للفرق بين لام الجر ولام الابتداء عند دخولهما على الاسم الظاهر:

يذكر النحاة أن لام الجر عند دخولها على الاسم الظاهر تكسر فى نحو قولك: إن هذا لمحمدٍ حتى لا تختلط بلام التوكيد خاصة وأن الحرف الأخير تذهب علامة إعرابه عند الوقف عليه، فلو جاءت اللام مفتوحة لم يدر أهو محمد أم هو له.

وكسر لام الجر مع الاسم الظاهر يجيء على غير الأصل فى حركة هذه اللام، فالأصل فى حركتها هو الفتحة القصيرة يدلنا على ذلك عودة الفتحة عند اتصالها بالضمائر، والضمائر كثيراً ما ترد الأشياء إلى أصولها(٧٥)، وعلى هذا ففتحها مع المضمر ما هو إلا مراجعة للأصل فى هذه الحركة.

وقد علل نحاة العربية كسر اللام مع المظهر وما فى حكمه بأنه مخالفة صوتية مقصودة للفرق بين لام الجر ولام التوكيد، فإذا فصل بينهما بالحركة أمن اللبس وعرف المقصود، لأنه إذا قيل إن هذا لسعيد ـ بفتح اللام ـ لم يعرف المقصود لذهاب حركة الإعراب ومن ناحية أخرى فإن هناك بعض الأسماء فى العربية لا تظهر على آخرها علامة الإعراب فى الوقف والوصل، مما يؤدى إلى وقوع اللبس نحو: هذا لمصطفى وموسى وهذا لهذا وهذا لمن يُكرمك، فإذا كانت اللام مفتوحة فى هذا ونحوه، لم يعرف ألام الجر هذه أم لام التوكيد. ولهذا قال عبدالقاهر: «والأسماء التى لا يظهر الإعراب فى آخرها كثير، فلما وقع هذا اللبسُ كُسر لام الجر فى كل اسم ظاهر، وإن كان معرباً، ليجرى الباب على سنن واحد، وقوى ذلك أن الأسماء المعربة لفظاً كان يحصل هذا اللبسُ فيها عند الوقف(٧٦) وعلى هذا فإذا كانت العلة دائمة فى بعض الأسماء، مشروطة بالوقف فى بعضها الآخر، فقد أكمل القياس دور هذه العلة وأجرى الباب كله على سنن واحد. وإن لم توجد العلة كما عبر الشيخ عبدالقاهر.

---

(٧٥) انظر: الأصول لابن السراج ٢/١٢٤ ومشكل إعراب القرآن للقيسى ١/٨، ٩ والمقتصد فى شرح الإيضاح ١/١٤٤ والكتاب ٢/٣٧٦ وشرح ابن يعيش ٨/٣٣.

(٧٦) المقتصد فى شرح الإيضاح ١/١٤٣.

وإذا كان فتح اللام مع الظاهر يُوقِع فى اللَّبْس فإنّ الأمر مع المضمر بخلاف ذلك: «فلا لبس فيه فى مثل هذه الحال لأن علامة المضمر المخفوض غير علامة المضمر المرفوع، فأنت تقول إذا أردت الإضافة: إن هذا لك ولكما، وإذا لم ترد الإضافة وأردت أن المشار إليه هو المخاطب أو غيره، وأن الثانى هو الأول، قلت: إن هذا لأنت، فلم يقع لبس فبقيت اللام على أصلها مفتوحة»(٧٧).

٢ـ فى الفرق بين ضمير المفرد الغائب والمفردة الغائبة إذا دخل عليهما باء الجر ووقف على الضمير فى لغة بنى طىء

حكى الفراء أنه سمع بعض السؤال يقول فى المسجد الجامع: «بالفضل ذو فضلكم الله بِهْ، والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ»(٧٨) أى أسألكم بالفضل الذى فضلكم الله به وبالكرامة التى فضلكم الله بها. وقد بين ابن هشام أن قوله (بَهْ) أصله (بها) فحذفت الألف ونقلت حركة الهاء وهى الفتحة إلى الباء بعد تقدير سلب كسرتها أما (بِهْ) من «بالفضل ذو فضلكم الله بِهْ» فإن حركة الباء الكسرة على الأصل. وإنما غيرت إلى الفتحة فى قوله: «والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ» لتكون الفتحة علامة وإشارة إلى ضمير المفردة المؤنثة الغائبة حتى لا يلتبس بضمير المفرد الغائب.

٣ـ فى لام الجر إذا قصد بها التعجب:

تكسر لام الجر إذا دخلت على الظاهر لغير التعجب تقول: لمحمد كتاب وهذا لعلى. فإذا جاءت اللام للتعجب داخلة على الاسم الظاهر

---

(٧٧) اللامات للزجاجى ٩٨ وانظر المقتضب ١/٣٨٩، ٣٩٠، ج ٤/٢٥٥ والكتاب ٢/٣٧٦ وشرح الرضى للكافية ٢/٣٦٤.

(٧٨) شرح شذور الذهب ص ١٣٠.

فتحوها، وغالباً ما يكون ذلك فى باب النداء ومن ذلك قولهم: يا لَلْعجب ويا لَلْماء والمعنى: يا قوم تعالوا إلى العجب، والتقدير: يا قوم للعجب أدعو(٧٩).

وقد يرد التعجب فى غير النداء باللام المكسورة ومنه قولهم: لله دره فارسا، ولله أنت، ومنه قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾.

فأما إذا دخلت اللام على الضمير وأفادت التعجب فحكمها عندئذ حكم اللام إذا لم تفد التعجب ودخلت على المضمر، فحركتها الفتحة فى الحالين. وقد جعلوا من مجيئها على معنى التعجب داخلة على الضمير قول امرىء القيس:

فيا لكَ من ليلٍ كأن نجومه ... بكل مُغار الفتل شُدَّتْ بيذبُلِ(٨٠)

خامساً: فى بنية بعض الألفاظ للفرق بالحركة بين معنيين أو أكثر:

يقع ذلك فى مواضع منها:

(أ) فى الفرق بين معنيين:

ومن أمثلته ما يلى:

١ـ فى «فُعَلَة» و«فُعْلَة»: يذكر اللغويون(٨١) أن «فُعَلَة» ـ بضم الفاء وفتح العين ـ عند الوصف بها فإنها للفاعل وتفيد وقوعه منه بكثرة تقول: هو رجل هُذَرة ونُكَحة وسُخَرة ولُعَنة وهُزَأة وضُحَكة وخُدَعة وصُرَعة، إذا

---

(٧٩) انظر المقتضب ٤/٢٥٤ والكتاب ٢/٢١٧، ٢١٨ والمقتصد فى شرح الإيضاح ٢/٧٩٠.

(٨٠) رصف المبانى ص ٢٢٠.

(٨١) انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٥٦ وفقه اللغة سر العربية للثعالبى ص ٥٨٠ والصاحبى لابن فارس ص ٣٧٦ وإكمال الإعلام لابن مالك ١/١٧٩، ٢/٤٢٣ فقد قال: الكثير الخروج والعرقة الذى يكثر عرقة وانظر المزهر ١/٣٣٦، ٢/١٥٤، ١٥٥، ١٥٦.

كان يكثر من الهذر والنكاح والسخرية من الناس، ولعنهم والاستهزاء بهم والضحك عليهم وخداعهم ويصرع غيره بكثرة.

فإذا أسكنت العين فهو وصف للمفعول به تقول هو رجل لُعْنَةٌ: أى يلعنه الناس كثيراً وهو سُخْرة وضُحْكَة وخُدْعة وسُبّة وصُرْعة إذا كان يفعل به ذلك كثيراً ولهذا قال مكى بن أبى طالب القيسى فى مشكل إعراب القرآن فى تفسيره لسورة «الجمعة» فى قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ قال: «يجوز إسكان الميم من «الجمعة» استخفافاً، وقيل هى لغة، وقيل أيضاً: لما كان فيه معنى الفعل صار بمنزلة: رجل هُزْأة، إذا كان يُهْزَأ به، فلما كان فى الجمعة معنى التجميع، أسكنت الميم، لأنه مفعول به فى المعنى، أو يشبه المفعول به، فصار كهزأة للذى يهزأ منه». وفى لغة ثالثة: فتح الميم من «الجمعة» على نسب الفعل إليها كأنها تجمع الناس، كما يقال: رجل لُحَنَةٌ، إذا كان يُلحِّن الناس، وقُرَأَةٌ، إذا كان يُقْرِئُ الناس»[٨٢].

٢- فى الفرق بين المصدر والمفعول:

من ذلك: السلْب والسَّلَب: فالسلْب - بسكون اللام - المصدر، والسلَب بفتح اللام المسلوب، ولهذا قال ابن الخباز[٨٣] فى قوله ذى الرمة:

زين الثياب وإن أثوابها استُلبت فوق الحشية يوما زانها السلَبُ

قال (السلب) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد السلْب - بسكون اللام - فحرك للضرورة...

والثانى: أن يريد بالسَّلَب المسلوب، وهاهنا مضاف محذوف.

(٨٢) مشكل الإعراب القرآن ج٢/٣٧٧ والآية من سورة الجمعة (٩) وانظر معانى القرآن للفراء ٣/١٥٦ آية (٩) سورة الجمعة.

(٨٣) انظر الفريدة فى شرح القصيدة فى عويص الإعراب ص ١١٨، ١١٩.

أى زانها أخذ السلَب، ويريد بالسلَب ثيابها...

ومن ذلك: اللقْط بسكون القاف مصدر لقطت واللقَطُ ـ بفتح القاف ما سقط من ثم الشجر فلقط[٨٤].

والهدْم مصدر هدمت والهَدَم ما انهدم من جوانب البئر فسقط منها[٨٥].

والنفْض ـ بسكون الفاء ـ مصدر نفضت الشيء. والنَّفَضُ ـ بفتح الفاء ـ ما سقط من الشيء تنفضه[٨٦].

ومن ذلك:[٨٧] الرَّعْى ـ مصدر رعيت والرِعْى الكلأ والذَّبْح مصدر ذحبت، والذِّبْح: المذبوح. ومن قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[٨٨].

والطَّحْن: مصدر طحنت،. والطِّحْن: الدقيق المطحون والقَسْم: مصدر قسمت، والقِسْم: النصب أى المقسوم والسَّمْع: مصدر سمعت. والسِّمْع: الذِّكْرُ، يقال: ذهب سِمْعُه فى الناس. ومن الفرق بين المصدر والمفعول كذلك قوله: الرُكوب ـ بضم الراء ـ مصدر ركبت والرَّكوب ـ بفتح الراء ما يركب[٨٩].

وقريب من هذا أن يفرق بالحركة بين المصدر والفاعل ومنه السَّبُّ: مصدر سببت، والسِّبُّ ـ بكسر السين ـ الذى يسابك[٩٠].

---

(٨٤) أدب الكاتب ص ٢٤٣.
(٨٥) أدب الكاتب ص ٢٤١.
(٨٦) أدب الكاتب ص ٢٤٤.
(٨٧) انظر فى الألفاظ التالية أدب الكاتب ص ٢٤٠، ٢٤١.
(٨٨) سورة الصافات آية ١٠٧.
(٨٩) انظر مشكل القرآن الكريم ٢/ ٢٣١، ٢٣٢ فى كلامه عن قوله تعالى: ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبهم﴾ من سورة يس آية (٧٢).
(٩٠) انظر: أدب الكاتب لابن قتيبة ٢٤١.

٣ـ فى الفرق بين المصدر وما يقع به الحدث:

من ذلك: الطُّهور ـ بضم الطاء ـ الفعل والحدث أى التطهر ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ـ الطهور شطر الإيمان. والطَّهور بفتح الطاء ما يتطهر به.

والوُضوء: بضم الواو الأولى ـ الفعل والحدث أى التوضؤ.

والوَضوء: بفتح الواو الأولى ـ ما يتوضأ به.

والوُقود ـ بضم الواو ـ المصدر، والوَقود ـ بفتحها ـ ا لحطب.

(انظر: ليس فى كلام العرب ص ٢٤٧ والمزهر ص ١/١٢٧).

٤ـ فى الفرق بالحركة بين هيئات الأشياء وأشكالها:

ذكر السيوطى فى المزهر ٢/٢٨٩ أن الفراء قال: كل مستدير كِفَّة ـ بكسر الكاف، وكل مستطيل كُفَّة ـ بضم الكاف. وقد ذكر ذلك ابن منظور فى اللسان وزاده شرحاً وتمثيلاً قال: «الكِفَّة ـ بالكسر ـ كل شىء مستدير، كدارة الوشم، وعود الدف وحبالة الصيد... وكل شىء مستطيل فهو كُفَّة ـ بالضم ـ ككُفة الرمل والثوب والشجر، وكُفة اللثة، وهى ما سال منها على الضرس. (اللسان مادة كفف ١١/٢١٥)

٥ ـ فى الفرق بين معنيين مختلفين لا يخضعان لقاعدة:

وذلك كثير، وقد جاءت منه نماذج كثيرة فى الباب الذى عقده ابن قتيبة بعنوان: «باب الحرفين يتقاربان فى اللفظ وفى المعنى ويلتبسان فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر» ومن ذلك ما يلى:(٩١)

---

(٩١) انظر: أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٢٣٩، ٢٤٠.

المَيْل ـ بسكون الياء ـ ما كان فعلاً، يقال مال عن الحق ميلاً. والمَيَل ـ بفتح الياء ـ ما كان خلقة، تقول فى عنقه مَيَلٌ. الغَبْن ـ بسكون الباء ـ فى الشراء والبيع. والغَبَنُ ـ بفتح الباء ـ فى الرأى، يقال: فى رأيه غَبَنٌ. والحَمْل ـ بفتح الحاء ـ حمل كل أنثى وكل شجرة قال الله تعالى: ﴿ حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا ﴾(٩٢)، والحِمْل ـ بكسر الحاء ـ ما كان على الظهر. و«فلان قَرْن فلان ـ بفتح القاف ـ إذا كان مثله فى السن، وقِرْنُهُ ـ بكسر القاف ـ إذا كان مثله فى الشدة. وعَدْل الشىء ـ بفتح العين ـ مثله، وعِدْل الشىء ـ بكسر العين ـ زِنَتُه والقُرْح ـ بضم القاف وسكون الراء ـ يقال إنه وجع الجراحات. والقَرْح بفتح فسكون ـ الجراحات بأعيانها.

ومن ذلك(٩٣):

الجِرْم ـ بكسر الجيم ـ البدن، والجُرْم ـ بضم الجيم ـ الذنب.

والورق ـ بفتح فكسر ـ المال من الدراهم، والورق ـ بفتحتين: المال من الغنم والإبل. والعِوَجُ ـ بكسر ففتح ـ فى الدين والأرض قال الله تعالى: ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾(٩٤) والعَوَج ـ بفتحتين ـ ما خالف الاستواء وكان قائماً مثل الخشبة والحائط ونحوهما. وتقول(٩٥): السَّداد ـ بفتح السين ـ فى المنطق والفعل، وهو الإصابة. والسِّداد ـ بكسر السين ـ كل شىء سددت به شيئاً مثل سداد القارورة.

وقد أورد السيوطى فى مزهره قصة طريفة تتعلق بهذه الكلمة الأخيرة (سداد) وكان ضبط حركتها سبباً فى جائزة مقدارها ثمانون ألف درهم ونظراً لطرافتها فهى كما أوردها السيوطى:

---

(٩٢) سورة الأعراف آية (١٨٩).
(٩٣) انظر أدب الكاتب ص ٢٤٣.
(٩٤) الإعراف آية (٤٥).
(٩٥) أدب الكاتب ص ٢٤٥.

«وقال الإمام أبو محمد بن على البصرى الحريرى صاحب المقامات: أخبرنا أبو على التسترى عن القاضى أبى القاسم عن عبد العزيز بن محمد عن أبى أحمد الحسن بن سعيد العسكرى اللغوى عن أبيه عن إبراهيم بن صاعد عن محمد بن ناصح الأهوازى؛ حدثنى النضر بن شميل. قال: كنت أدخل على المأمون فى سمره، فدخلت ذات ليلة وعلىَّ قميص مرقوع، فقال: يا نضر، ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين فى هذه الخلقان؟ قلت. يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد، فأتبرد بهذه الخلقان. قال لا، ولكنك قشف. ثم أجرينا ذكر الحديث فأجرى هو ذكر النساء فقال: حدثنا هشيم عن الشَّعْبى عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز» فأورده بفتح السين، فقلت: صدق يا أمير المؤمنين هشيم، حدثنا عوف بن أبى جميلة عن الحسن عن أبى طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِدادٌ من عوز» قال: وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً، فقال سداد؟ قلت: لإن السداد هنا لحن، قال: أو تلحننى‹ قلت: إنما لحن هشيم ـ وكان لحاناً ـ فتبع أمير المؤمنين لفظه. قال: فما الفرق بينهما؟ قلت: السَّداد (بالفتح) القصد فى الدين والسبيل. والسِّداد (بالكسر) البُلْغه وكل ما سددت به شيئاً فهو سِدادٌ. قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم هذا العرجى يقول:

أضاعونى وأىّ فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسِداد ثغر

قال المأمون: قبح الله من لا أدب له. وأطرق ملياً، ثم قال: ما مالك يا نضر؟ قلت: أريضة لى بمرو اتصابها وأتمززها، قال: أفلا نفيدك معها مالاً؟ قلت: إنى إلى ذلك لمحتاج. قال: فأخذ القرطاس وأنا لا أدرى ما

يكتب ثم قال: كيف تقول إذا أمرت من يترب الكتاب؟ قلت أَتْرِبْه قال: فهو ماذا؟ قلت مُتْرَبٌ. قال: فمن الطين؟ قلت طِنْهُ، قال: فهو ماذا؟ قلت: مَطِينٌ، فقال: هذه أحسن من الأولى، ثم قال: يا غلام، أَتْرِبه وطِنْه؛ ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه: تبلغ معه إلى الفضل بن سهل. قال: فلما قرأ الكتاب قال: يا نصر، إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم فما كان السبب فيه؟ فأخبرته ولم أكذبه، فقال: ألحنت أمير المؤمنين؟ فقلت: كلا وإنما لحن هشيم ـ وكان لحانة ـ فتبع أمير المؤمنين لفظه، وقد تُتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار، ثم أمر لى الفضل بثلاثين ألف درهم فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف اسْتُفِيْد منى.» (٩٦).

ونقول:(٩٧) هذا رجل لَبِنٌ ـ بكسر الباء ـ إذا كان يعام إلى اللبن، من العيمة وهى شدة اشتهاء اللبن. «ورجل لابن» .: يسقى الناس اللبن. والفرق بينهما أن حركة اللام فى الثانى زيدت فصارت فتحة فالفرق بين المعنيين هنا بكمية حركة فاء الكلمة. ومثل ذلك فى الفرق بكمية الحركة قولهم(٩٨): هذا رجل شَحِمٌ لَحِمٌ ـ بكسر عين الكلمة ـ إذا كان قَرِماً إلى الشحم واللحم وهو يشتهيهما. فإن أطعمهما الناس قلت: «شاحم لاحم».

ومن الفرق بين معنيين بحركة قولهم(٩٩):

العديل: ما عاد لك من الناس. والعدل لا يكون إلا للمتاع وبناء حَصِينٌ وامرأةٌ حَصَانٌ فرّقوا بين البناء والمرأة ففرق بينهما بنوع الحركة الطويلة، ومثله قولهم: الرزين من الحجارة والحديد، والمرأة رَزَانٌ.

(٩٦) المزهر ٢/٢٩٤. ٢٩٥.
(٩٧) أدب الكاتب ص ٢٥٣.
(٩٨) أدب الكاتب ص ٢٥٣.
(٩٩) انظر الكتاب لسيبويه ٢/١٠٢.

ومن الفرق بين معنيين بحركة قولهم:

مررت بخَمْس نساء ـ بفتح الخاء ـ تريد العدد كاملاً ومررت بخُمْس النساء ـ بضم الخاء تريد جزء العدد.

وقد تكون الحركة مشعرة باستعمال معين لإحدى الكلمتين والمعنى واحد ومن ذلك: العُمْر والعَمْر فبالفتح ـ لا تقع إلا في القسم[100]، تقول: لعَمْرُك لأقاتلن أعداء الله. وبالضم في غير القسم، تقول: بلغ الرجل من العُمْر أرذله.

(ب) في الفرق بين أكثر من معنيين بحركة أو حركتين:

ترجع أمثلة هذا الجزء إلى ما ألف في فن المثلثات اللغوية ككتاب «المثلث» الذي ألفه أبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب، والمثلث لابن السيد البطليوسي وإكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك وهو لون من التأليف اللغوي المعجمي يبين ضرباً من سعة هذه اللغة وتنوع أبنيتها و «له فوائد أدبية كثيرة منها انقياد المتجانسات لطالبيها وامتياز الملتبسات بكشف معانيها[101].

والمثلث هو «مجموعة من ثلاث مفردات مركبة من الحروف نفسها، وهذه الحروف تتفق في ترتيبها، وفي تعاقب الحركة والسكون عليها والتثليث يكون بتحريك حرف أو حرفين (بالفتح) في المفردة الأولى ونفس الحرف أو الحرفين يحركان (بالكسرة) في المفردة الثانية، ويحرك الحرف أو الحرفان بالضم في المفردة الثالثة[102].

(١٠٠) انظر: المقتضب ٤/١٧٧.

(١٠١) انظر إكمال الإعلام لابن مالك ١/٣ من المتن.

(١٠٢) إكمال الإعلام لابن مالك ١/٤٦ وانظر المثلث لابن السيد ١/٦٤.

وقد تكون الكلمة المثلثة اسما، أو فعلاً، أو حرفاً وفعلاً، ويكون التثليث فى الكلمة فى الحرف الأول أو الحرف الثانى أو الثالث أو فى الحرف الأول والثانى أو الحرف الأول والثالث(١٠٣).

وينقسم المثلث إلى قسمين: المثلث المتفق المعانى وهو ما اختلفت فيه الحركة، وظل معنى المفردة واحداً، والمثلث المختلف المعانى وهو ما يصحب تغير الحركة فيه تغيير المعنى(١٠٤).

فمما جاء من ذلك النوع الثانى وقد وقع التثليث فيه بحركة واحدة فمنه ما وقع تثليثه بتغيير حركة الحرف الأول ومن أمثلته:

١ـ الأَمْر والإِمْر والأُمْر(١٠٥)

«الأَمْر ـ بفتح الهمزة نقيض النهى. والأمر أيضاً: كل حدث يحدث وكل قصة تقع والأمر أيضاً: مصدر أمرت الشئ، أى كثرته، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾(١٠٦).

وقد ذكر الزمخشرى فى الكشاف ٢/٤٤٢ أن بعضهم فسر «أمرنا» من الآيه المذكورة بـ «كثرنا» وذكر حديثاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستشهداً على ورود هذا المعنى وهو قوله ـ ص ـ: «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة» أى كثيرة النتاج وكذلك ما روى من أن رجلاً من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إنى أرى أمرك هذا حقيراً، فقال ـ صلى الله عليه وسلم: إنه سيأمر، أى: سيكثر ويكبر. وقد أورد البيضاوى فى تفسيره: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ شيئاً قريباً مما أورده الزمخشرى فى تفسير الآيه (أنظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٥٨٠).

---

(١٠٣) إكمال الإعلام بتثليث الكلام ١/٤٦، ٤٧ من الدراسة ١/ ٤ من النص

(١٠٤) انظر: إكمال الإعلام ١/٤٧ والمثلث لابن السيد ١/٤٨.

(١٠٥) المثلث لابن السيد ١/٣١٢، ٣١٣، ٣١٤.

(١٠٦) الآية ١٦ من سورة الإسراء.

(١٠٧) الآية ٧١ من سورة الكهف.

وأما الإمر بالكسر ـ فهو العجب، قال الله تعالى «لقد جئت شيئاً إمراً»(١٠٧) وأما الأُمُر بضم الهمزة: فهو جمع أَمور من قولهم: فلان أمور بالمعروف ونُهُوٌّ عن المنكر. وأصله أَمُرٌ ـ بضم الميم، ثم خفف لتوالى الضمتيين...

٢ـ الحَجّة والحِجّة والحُجّة(١٠٨)

الحَجّة: الشجة، والمرة من حج. وقد تكسر المرة من حج البيت ولهذا قيل فى اسم الشهر: ذى الحجة (بالفتح والكسر) والحِجَّة: (بالكسر): السنة، وشحمة الأذن والهيئة من حج. والحُجّة ـ بالضم ـ البرهان.

ومما جاء من المثلث مختلف المعانى وقد اختلفت فيه حركة الثانى:

١ـ بَطَل(١٠٩) الشئ بطلا وبطلاناً: ضد ثبت. وبطل الأجير بطالة: تعطل.

وبطِل ـ بكسر الطاء ـ الرجل: هزل، فهو بطال.

وبُطُل ـ بضم الطاء ـ بطالة شجع.

٢ ـ خَبَر الأرضَ(١١٠) بفتح الباء ـ حرثها، والشىءَ: امتحنه، وجربه والطعامَ: دسمه. وخَبِر الشىءَ ـ بكسر الباء ـ عَلِمَهُ، وأيضاً امتحنه، وخَبِرت الأرضُ: صارت خبراء أى سهلة يجتمع فيها ماء السماء، وتنبت السدر وخَبُر الرجل: صار خبيراً، والناقةُ: غَزُرَ لبنُها.

---

(١٠٨) إكمال الإعلام ١/١٣٦ وانظر المثلث ١/٤٦٠.

(١٠٩) إكمال الإعلام ١/٦٩.

(١١٠) الإكمال ١/١٧٤.

(١١١) الإكمال ٢/٦٣١، ٦٣٢.

ومما جاء من المثلث مختلف المعانى وقد اختلفت فيه حركة الحرف الثالث(١١١) المُسْعَط ـ بفتح العين ـ مفعول من أسعطه الدواء: أنشقه إياه والرمح: طعن به ف يأنفه، والعلم: بالغ فى تعليمه إياه والمُسْعِط ـ بكسر العين ـ فاعل ذلك. والمُسْعُط ـ بضم العين ـ الإناء الذى يسعط به العليل.

وأما ما جاء من المثلث بحركتين فإنه ينقسم إلى قسمين:

(أ) ما كان تثليثه بتحريك الحرف الأول والثانى وهو أكثر القسمين ومن أمثله:

١ـ الأَبَد(١١٢) ـ بفتح الهمزة والباء ـ الدهر، ومصدر أَبِد. بمعنى غَضِبَ، وبمعنى: تَوَحَّش والإِبِد (بكسر الهمزة والباء) الوَلُودُ من الإماء والأُتُن. والأُبُد (بضم الهمزة والباء): جمع أَبُوْد: وهو الكثير الغضب.

٢ـ النَّعَم(١١٣) (بفتح النون والعين): الإبل، والبقر، والغنم، والنِّعِم (بكسر النون والعين): لغة فى النَّعِم وهو المُتَنعم والنُّعُم: جمع نَعام ونَعيم.

(ب) ما كان تثليثه بتحريك الأول والثالث وهو أقل القسمين ومنه:

١ـ السَّمْسَم(١١٤) (بفتح فسكون ففتح): الثعلب، واسم موضع معروف والسم والسِّمْسِمُ(بكسر الأول وسكون الثانى وكسر الثالث): الجلجلان.

والسُّمْسُم (بضم فسكون فضم): الخفيف من الرجال.

٢ـ الجَرْجار(١١٥) والجِرْجير (بفتح الأول وكسره): نوعان من النبات والجُرْجُور من الإبل (بضم الأول): العظيمة، وقيل: الكريمة وقد وقع الفرق فى هذه الكلمة بالحركة القصيرة لفائها وبالحركة الطويلة للامها.

---

(١١٢) إكمال الإعلام ١/٣٣.

(١١٣) إكمال الإعلام ٢/٧١٧.

(١١٤) انظر المثلث لابن السيد ٢/٤٣٢، ٤٣٣.

(١١٥) المثلث ١/٤٢٥ ومثل هذه الكلمة: الهمام والهمهيم والهمهوم انظر: المثلث ٢/٤٦٣،

وقد يقع الفرق بالحركة القصيرة ككل الأمثلة التى سبق ذكرها إلا المثال الأخير فقد وقع فيه الفرق بالحركة القصيرة والطويلة معاً. وقد يقع الفرق بالحركة الطويلة وحدها ومن ذلك:

١ـ الجَهاد(١١٦) (حركة الهاء من الفتحة الطويلة): الأرض الصلبة. والجَهيد (حركة الهاء هى الكسرة الطويلة): المرعى المجهود بالرعى والجُهُود (حركة الهاء هى الضمة الطويلة): مبالغة فى فاعل جهد فى الأمر: جد، والدابةَ: حمل عليها فوق طاقتها، واللبنَ: أخرج جميع زبده، والطعامَ: أكثر من أكله.

٢ـ الخَلاق(١١٧) النصيب من الخير.

والخليق: الحقيق بالشىء.

والخلوق: ضرب من الطيب.

والمتتبع لهذا القسم الأخير يلمس أن اللغويين كانوا يدركون أن حروف المد ما هى إلا تطويل للحركات القصيرة والدليل على ذلك مجىء كثير من المثلث من نوع المثالين الأخيرين والحركة فيهما حركة طويلة وغيرهما كثير ويكفى أن نشير إلى شىء من هذه الأمثلة من نحو:

الأمار والأمير والأمور(١١٨)

والأمان والأمين والأمون(١١٩)

ومثله الفرفار والفرفير والفرفور، والمثلث ٢/ ٢٤٤.

(١١٦) الإكمال ١/ ١٢٥.

(١١٧) الإكمال ١/ ١٩٧.

(١١٨) الإكمال ١/ ٥٢.

(١١٩) الإكمال ١/ ٥٤.

(١٢٠) الإكمال ١/ ١١٠.

والجزار والجزير والجزور[120]

والجناب والجنيب والجنوب[121]

والحطاط والحطيط والحطوط[122]

ففى هذه الأمثلة نجد أن ابن مالك قد اعتد بالفرق بالحركة الطويلة التى رمز لها فى الخط بالإلف وهى الفتحة الطويلة وبالياء وهى الكسرة الطويلة وبالواو وهى الضمة الطويلة.

لكننا نلاحظ أن ابن مالك كان يخلط أحياناً بين الواو والياء بوصفها رمزاً خطياً للضمة والكسرة الطويلتين والواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلها وهما صوتان صامتان ذلك أنه فى بعض الأمثلة التى ساقها قد اعتد بالواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلها وهما فى هذه الحالة من جنس الصوامت لا من الحركات ولننظر فى المثال التالى:

الخَوْط[123] ـ بفتح فسكون ـ والخَيْط ـ بفتح فسكون، والخِيط ـ بكسر فسكون فالواو فى الكلمة الأولى ليست من جنس الحركات وإنما هذا تركيب حركى كما فى كلمة (يوم) والياء فى الكلمة الثانية كذلك ليست من جنس الحركات وإنما هى ياء ساكنة بعد فتح وهو تركيب حركى كالموجود فى كلمة (بيع) وإذا لاحظنا أن حركة فاء الكلمتين هى الفتحة، وأن الكلمة الثالثة حركة الفاء فيها هى الكسرة الطويلة، فليس هذا اللفظ من المثلث، أو أن هناك خلطاً بين الحركة ا لطويلة التى يكون رمزها الواو أو الياء والواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلها.

وأما الأمثلة التالية:

---

(١٢١) الإكمال ١/١٢٣.

(١٢٢) الإكمال ١/١٥٣، ١٥٤.

(١٢٣) انظر الإكمال ١/٢٠٣، ٢٠٤.

(١٢٤) الإكمال ١/٢٠٤.

الخَوْلة ... والخِيْلة ... والخُوْلة[124]

والخَوْر ... والخِيْر ... والخُوْر[125]

والحَوْص ... والحِيْص ... والحُوْص[126]

والنَّوْل ... والنِّيْل ... والنُّوْل[127]

والنَّوْم ... والنِّيْم ... والنُّوْم[128]

فإن العمود الأول منها حركة فائه هى الفتحة القصيرة والثانى حركة فائه هى الكسرة الطويلة والثالث حركة فائه هى الضمة الطويلة. فقد فرق ابن مالك هنا بكمية الحركة ونوعها بين المعانى المختلفة للفظ الواحد وقد وقع مثل ذلك فى مثلث ابن السيد البطليوسى ومنه:

الهَيْف والهِيْف والهُوْف[129]

والهَوْد والهِيْد والهُوْد[130]

والحَوْر والحِيْر والحُوْر[131]

والفَوْقة والفِيْقة والفُوْقة[132]

والغَوْل والغِيْل والغُوْل[133]

والعَوْس والعِيْس والعُوْس[134]

---

(125) الإكمال 1/202.
(126) الإكمال 1/170.
(127) الإكمال 2/732، 733.
(128) الإكمال 2/733.
(129) المثلث 2/458.
(130) المثلث 2/459.
(131) المثلث 1/454.
(132) المثلث 2/341.
(133) المثلث 2/316، 317.
(134) المثلث 2/281، 282.

خاتمة البحث

لعله قد اتضح من ذلك العرض ما يلى:

١ ـ أن علماء العربية قد اهتموا باللغة وبدراستها من فترة طويلة تلت نزول القرآن الكريم بفترة قصيرة، وأنهم قد عرضوا فى درساتهم لقضاياها المختلفة ومنها الحركات وأنواعها، من حيث الطول والقصر، وأن كثيراً منهم كان يدرك العلاقة بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة المعروفة عندهم بحروف المدّ التى رُمِزَ لها فى الخط بالألف والواو والياء إذا كانت إشباعاً للحركة السابقة عليها.

٢ ـ تضم العربية فى نظامها الصوتى أربعة أنواع من الحركات ـ من حيث الطول والقصر ـ هى: الحركات المختلسة والحركات القصيرة والحركات الطويلة والحركات الطويلة الممطولة أو البالغة فى الطول.

٣ـ كان للقراء جهود مكشورة فى الدراسات الصوتية ومنها جهودهم فى درس الحركات، وقد تبين من الدراسة أنهم كانوا أدق من اللغويين فى تحديد طول الحركة بما وضعوه لأنفسهم من وحدة قياس تعتمد على المدى الزمنى الذى يستغرقه بسط الإصبع أو قبضها.

٤ـ تلعب الحركة دوراً رئيساً فى اللغة العربية يتمثل فيما يلى:

(أ) أنها تعد مكوناً أساسياً من مكونات الألفاظ فى العربية، فاللفظ فى أبسط صور تحليله ينحل إلى مكونين اثنين هما:

الحركات والصوامت. فليست الحركات فى العربية حلية لفظية عند النطق أو زينة خطية عند الكتابة ـ كما قد يظن.

(ب) تعد الحركة وسيلة من وسائل اللغة فى التفريق بين المعانى المختلفة، وقد بان دورها فى سياقات مختلفة لخصتها هذه الدراسة على النحو التالى:

أولاً: فى بنية الضمائر بصورها المختلفة فى العربية.

ثانياً: فى بعض الأساليب والظواهر (فى توكيد الفعل بالنون ـ فى الفرق بين الخبر والاستفهام إذا دخل حرف الجر على «ما» الاستفهامية ـ فى أسلوب الاستغاثة ـ فى أسلوب المدح والذم ـ فى التعجب عند صياغته من فعل ثلاثى بالإضافة إلى صيغتيه القياسيتين وفى الدلالة على أن الفعل صار كالغريزة فى صاحبه ـ فى علامات الإعراب ودلالتها على المعانى النحوية التى يرمى إليها المتحدث).

ثالثاً: فى بعض صور الاشتقاق والعدد (فى صياغة اسم الفاعل واسم المفعول من غير الثلاثى ـ فى الفرق بين اسم المرة «فَعْلة» واسم الهيئة «فِعْلة» وبناء «فُعْلة» الدال على المقدار وقد دلل البحث على صدق ملاحظة أ. د. محمد مهدى علام على البناء الأخير وأنه دال على المقدار بما أثبته بنقل بعض ما جاء فى كتب اللغة لهذا البناء دالاً على ذلك ـ فى تحويل الفعل المبنى للمعلوم إلى المبنى للمجهول ـ فى الفرق بين المثنى وجمع المذكر السالم فى حالة النصب والجر ـ فى

الفرق بين المثنى وجمع التكسير ـ فى الفرق بين المفرد والجمع ـ فى الفرق بين الجمع والمصدر) .

رابعاً: فى بعض الحروف للفرق بين المعانى: (للفرق بين لام الجر ولام الابتداء عند دخولهما على الاسم الظاهر ـ فى الفرق بين ضمير المفرد الغائب والمفردة الغائبة إذا دخلت عليهما باء الجر عند بعض بنى طيء ـ فى لام الجر إذا قصد بها التعجب ودخلت على الاسم الظاهر) .

خامساً: فى بنية بعض الألفاظ للفرق بالحركة بين معنيين أو أكثر:

(أ) فى الفرق بين معنيين (فى بناء «فُعَلة» للفاعل وبناء فُعْلة للمفعول وكلاهما دال على المبالغة والتكثير ـ فى الفرق بين المصدر والمفعول ـ فى الفرق بين المصدر وما يقع به الحدث ـ فى الفرق بين أشكال الأشياء وهيئاتها ـ فى الفرق بين معنيين مختلفين لا يخضعان لقاعدة معنية) .

(ب) فى الفرق بين أكثر من معنيين. وأكثر أمثلة هذا القسم تعود إلى كتب المثلثات اللغوية. وقد تخيَّرت أمثلة للمثلث المختلف المعانى يصوره المختلفة، إذ كانت الحركة فى كل ذلك وسيلة من وسائل اللغة فى التفريق بين المعانى المختلفة.

وفى هذا القسم بان بوضوح إدراك اللغويين الأقدمين لما ترمز إليه حروف المد، فقد عدوها حركة وقع التثليث فى الكلام عن طريقها.

مراجع البحث

١ ـ إتحاف الحثيث بإعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث، لأبى البقاء العكبرى. تحقيق محمد إبراهيم سليم. القاهرة ١٩٩٠م.

٢ـ أدب الكاتب لابن قتيبة. تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد دار الجيل. الطبعة الرابعة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

٣ـ الأزهار الزينية فى شرح متن الألفية، تأليف السيد أحمد زينى ابن أحمد دحلان. طبعة الحلبى. الطبعة الثالثة ١٣٧٩هـ/١٩٥٢م.

٤ـ الأساس فى الأمم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية، د. على العنانى وآخرين. الطبعة الأولى. بولاق ١٣٥٤هـ/١٩٣٥.

٥ـ أسس علم اللغة العربية أ.د. محمود فهمى حجازى دار الثقافة. القاهرة ١٩٧٨م.

٦ـ الأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى، تحقيق طه عبدالرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٧ـ الأصول فى النحو لأبى بكر محمد بن سهل السراج، تحقيق د. عبدالحسين الفتلى. مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الثانية ١٤٩٧هـ/ ١٩٨٧.م.

٨ـ الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس. الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٧٩م.

٩ـ أصوات اللغة د. عبدالرحمن أيوب، مطبعة الكيلانى القاهرة، الطبعة الثانية. ١٩٦٨م.

١٠ـ إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك، دراسة وتحقيق سعد ابن حمدان الغامدى. طبعة جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١١ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى، الطبعة الثانية، القاهرة طبعة الحلبى عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١٢ ـ الإيضاح فى علل النحو، لأبى القاسم الزجاجى المتوفى ٣٣٧هـ، تحقيق د. مازن المبارك. بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٣ـ البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

١٤ ـ البسيط فى شرح جمل الزجاجى، لابن أبى الربيع عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشى الإشبيلى ٥٩٩ ـ ٦٨٨. تحقيق ودراسة د. عياد عيد الثبيتى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

١٥ـ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ـ تحقيق محمد كامل بركات القاهرة ١٩٦٧م.

١٦ـ التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه. أ.د. رمضان عبدالتواب الطبعة الأولى، الخانجى، القاهرة ١٩٨١م.

١٧ـ تهذيب التوضيح، الجزء الثانى (الصرف) للمرحوم أحمد مصطفى المراغى والمرحوم محمد سالم على، الطبعة التاسعة، بلا تاريخ.

١٨ـ تيسير النحو التعليمى قديماً وحديثاً، مع نهج تجديده للدكتور شوقى ضيف. دار المعارف. القاهرة ١٩٨٦م.

١٩ـ الجمل فى النحو للخليل بن أحمد الفراهيدى، تحقيق د. فخر الدين قباوة، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٠ـ حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، طبعة الحلبى بلا تاريخ.

٢١ـ الخصائص لأبى الفتح عثمان بن جنى، تحقيق محمد على النجا، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية بلا تاريخ.

٢٢ـ دراسات فى فقه اللغة، د. صبحى الصالح. دار العلم للملايين، بيروت الطبعة التاسعة ١٩٨١م.

٢٣ـ دروس اللغة العبرية، ربحى كمال، بيروت ١٩٦٣م.

٢٤ـ ديوان الأدب، لأبى إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى. تحقيق د. أحمد مختار عمر ومراجعة د. إبراهيم أنيس. القاهرة ١٣٩٤هـ/١٣٩٤م.

٢٥ـ رصف المبانى فى شرح حروف المعانى للمالقى، تحقيق أحمد محمد الخراط دمشق ١٩٧٥م.

٢٦ـ سر صناعة الإعراب لإمام العربية أبى الفتح عثمان بن جنى المتوفى ٣٩٢هـ. تحقيق د. حسن هنداوى، دار القلم، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٧ـ شذا العرف فى فن الصرف، للشيخ أحمد الحملاوى، طبعة الحلبى، الطبعة السابعة ١٩٦٨م.

٢٨ـ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، الطبعة العشرون، دار التراث القاهرة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٩ـ شرح التحفة الوردية لزين الدين أبى حفص عمر بن مظفر بن عمر الوردى المتوفى ٧٤٩هـ، تحقيق د. عبدالله على الشلال. مكتبة الرشد الرياض ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٣٠ـ شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهرى، طبعة الحلبى بلا تاريخ.

٣١ـ شرح جمل الزجاجى لابن عصفور الإشبيلى، تحقيق د. صاحب أبو جناح طبعة وزارة الأوقاف والشئون الدينية بالعراق ١٩٨٠م.

٣٢ـ شرح شذور الذهب لابن هشام الأنصارى، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد الطبعة الرابعة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

٣٣ـ شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذى، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين وآخرين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣٤ـ شرح كافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذى، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م (تصوير طبعة الشركة الصحافية العثمانية ١٣١٠هـ).

٣٥ـ شرح الكافية الشافية، لابن مالك، تحقيق د. عبدالمنعم أحمد هريدى، طبعة جامعة أم القرى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٦ـ شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب ببيروت، بلا تاريخ.

٣٧ـ شرح المفصل فى صنعة الإعراب الموسوم بالتخمير، تأليف صدر الأفاضل القاسم بن الحسين الخوارزمى ت ٦١٧هـ، تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، دار الغرب الإسلامى بيروت، الطبعة الزولى ١٩٩٠م.

٣٨ـ شرح الملوكى فى التصريف، صنعة ابن يعيش، تحقيق د. فخر الدين قبادة حلب. الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٣٩ـ شرح الهداية فى توجيه القراءات للإمام أبى العباس أحمد بن عمار المهدوى المتوفى ٤٤٠هـ تحقيق د. حازم سعيد حيدر، طبعة مكتبة الرشيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٠ـ الصاحبى لأبى الحسين أحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة الحلبى، القاهرة ١٩٧٧م.

٤١ـ علم اللغة العربية، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية. أ.د. محمود فهمى حجازى دار غريب ـ القاهرة.

٤٢ـ علم اللغة مقدمة للقارىء العربى د. محمود السعران، الطبعة الثانية، القاهرة ١٤١٧هـ.١٩٩٧م.

٤٣ـ غاية المريد فى علم التجويد للشيخ عطية قابل نصر، الطبعة الخامسة القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٤ـ الفريدة فى شرح القصيدة فى عويص الإعراب، لابن الخباز النحوى الموصلى، تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، الخانجى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٤٥ـ فصول فى فقه العربية د. رمضان عبدالتواب الطبعة السادسة، الأنجلو المصرية ١٩٨٤م.

٤٦ـ فقه اللغة للثعالبى طبعة مطعبة الاستقامة بمصر.

٤٧ـ فى اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس، الطبعة السادسة، الأنجلو المصرية ١٩٨٤م.

٤٨ـ الكتاب لسيبويه، تحقيق وشرح الشيخ عبدالسلام محمد هارون طبعة الهيئة ج٢/١٩٧٩، ج٤/١٣٩٥هـ/١٩٩٥م.

٤٩ـ الكشاف للزمخشرى طبعة الحلبى القاهرة عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٥٠ـ قواعد التجويد والإلقاء الصوتى للشيخ جلال الحنفى البغدادى ـ العراق ١٩٨٧م.

٥١ـ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لأبى محمد مكى بن أبى طالب القيسى المتوفى ٤٣٧. تحقيق د. محيى الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٥٢ـ لسان العرب لابن منظور جـ١١ مصور عن طبعة بولاق القاهرة، بلا تاريخ.

٥٣ـ ليس فى كلام العرب لابن خالويه تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، الطبعة الثانية بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٥٤ـ اللامات للزجاجى، تحقيق مازن المبارك، دار الفكر، الطبعة الثانية، فى دمشق ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٥٥ـ المثلث لابن السيد البصليوسى، تحقيق ودراسة د. صلاح مهدى الفرطوسى، طبعة وزارة الثقافة والاعلام بالعراق ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٥٦ـ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى أ.د. رمضان عبدالتواب الطبعة الأولى ١٩٨٢م/١٤٠٣هـ (الخانجى ـ القاهرة).

٥٧ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين طبعة الحلبى بلا تاريخ.

٥٨ـ المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين عقيل، على كتاب التسهيل لابن مالك، تحقيق د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٥٩ـ مشكل إعراب القرآن الكريم لمكى بن أبى طالب القيسى تحقيق ياسين محمد السواس دار المأمون للتراث ـ دمشق الطبعة الثانية بدون تاريخ.

٦٠ـ معانى القرآن للفراء ج٣ تحقيق د. عبدالفتاح إسماعيل شلبى، مراجعة الأستاذ على النجدى ناصف، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

٦١ـ مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصارى المصرى، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة، بلا تاريخ.

٦٢ـ المقتصد فى شرح الإيضاح لعبد القاهر الجرجانى، تحقيق د. كاظم بحر المرجان طبعة وزارة الثقافة والإعلام بالعراق ١٩٨٢م.

٦٣ـ المقتضب، لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق الشيخ محمد عبدالخالق عضيمة. الطبعة الثانية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٨٨م/١٣٩٩هـ.

٦٤ـ المقرب لابن عصفور الاشبيلى، تحقيق أحمد عبدالستار الجوارى وعبدالله الجبورى طبعة وزارة الأوقاف بالعراق ١٩٨٦م.

٦٥ـ من وظائف الصوت اللغوى محاولة لفهم صرفى ونحوى ودلالى أ.د. أحمد كشك الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٦ـ المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر. د. محمد سالم محيسن مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية. القاهرة ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م.

٦٧ـ همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى، دار المعرفة ببيروت بلا تاريخ.